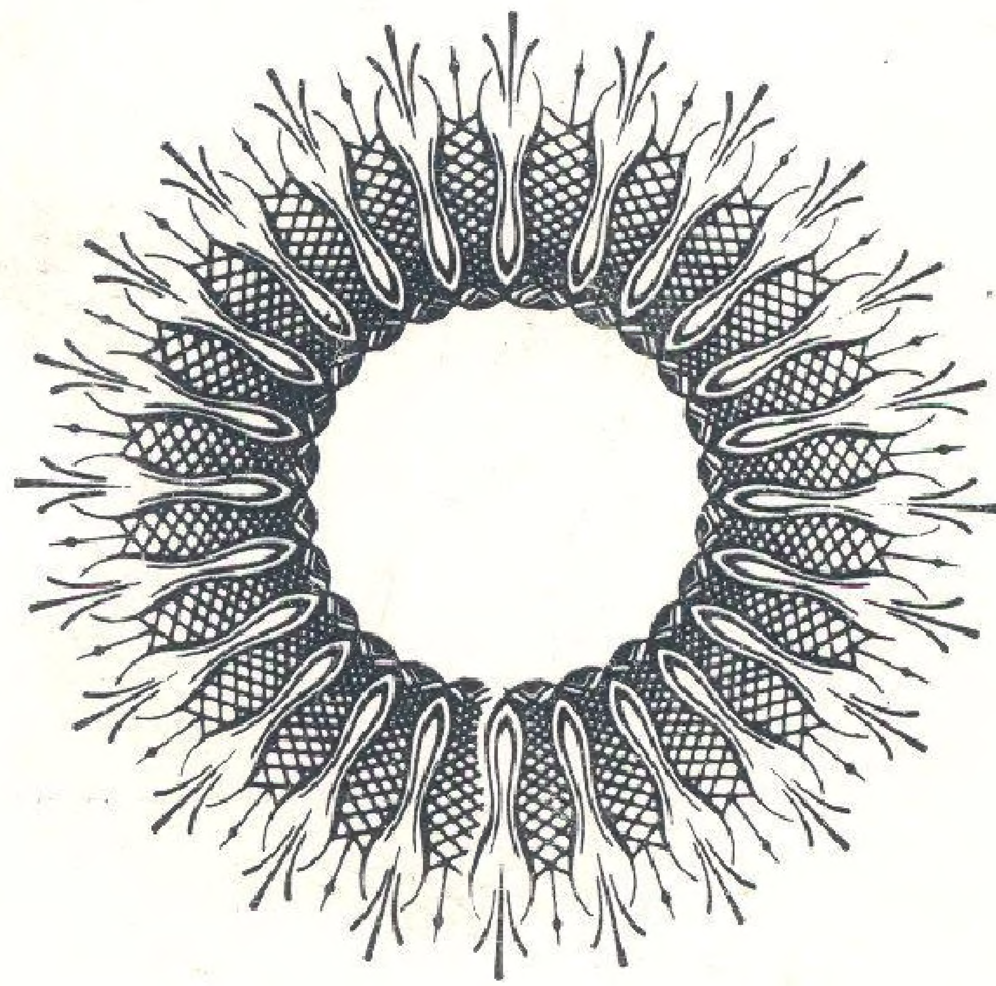
الدكتور قتيبة الشهابي

أبواب دمشق

وأحداثها التاريخيّة



بحث ميداني بعدسة المؤلف



الطبع وفرز الألوان في مطابع وزارة الثقافة

دمشق ١٩٩٦

سعر النسخة داخل القطر

٣٥٠ ل.س

في الأقطار العربية مايعادل

٧٠٠ ل.س

أبواب دمشق
و
أحداثها التاريخية

Dr. K. Shihabi

Gates of Damascus & Their Historical Events

A Field Research

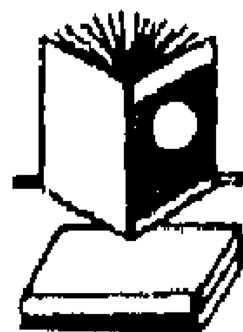
Illustrated & Photographed by the Author

الدكتور قتيبة الشهابي

أبواب دمشق

وأحداثها التاريخيّة

بحث ميداني بعدسة المؤلف



منشورات وزارة الثقافة
في الجمهورية العربية السورية
دمشق ١٩٩٦

أبواب دمشق وأحداثها التاريخية / قتيبة الشهابي . -
دمشق : وزارة الثقافة، ١٩٩٦ . - ٣٦٧ ص: مص؛ ٢٤سم .

العنوان الموازي :
Gates of Damascus & their historical events

١- ١١١ر٩٥٦ ش هـ ا أ ٢- العنوان ٣- العنوان الموازي
٤- الشهابي

مكتبة الأسد

الايداع القانوني : ع - ١٦٢٤ / ١١ / ١٩٩٦

همسة شكر

للسيدة الفاضلة الدكتورة نجاح العطار

وزيرة الثقافة

لما تمنحه من جهد في رعاية الفكر والفن والتراث

ولكل من ساهم معي في إنجاز هذا العمل
السيدة سراب الأتاسي من المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق،
العالم الأثري الأستاذ نسيب صليبي، الصديق المؤرّخ أحمد الإيبش.

وللأستاذ زهير الحمو مدير مطبعة الوازرة شكر خاص على إشرافه الفنّي،
وللسيد قتيبة الكردي ولجميع من ساهم بجهده وعنايته في هذا العمل

قتيبة

قبل البدايــة

شعور غريب مفعم بالخشوع والإجلال يمور في ذاتي كلما مررت بأبواب دمشق العريقة وكأنني أعبر من بوّابات التاريخ، لهيب يؤجّجه كَرُّ الغزاة وصدّ المدافعين، صهيل خيول قرع طبول صليل سيوف صراخ قتال، تعدّد أقوام تنوّع أعراق غرابة لُسن تناقض نسب، رشق سهام قذف رماح هدم سور نزول باب، ملاحم بطولات، أساطير حكايات، أهازيج النصر والانتصار.

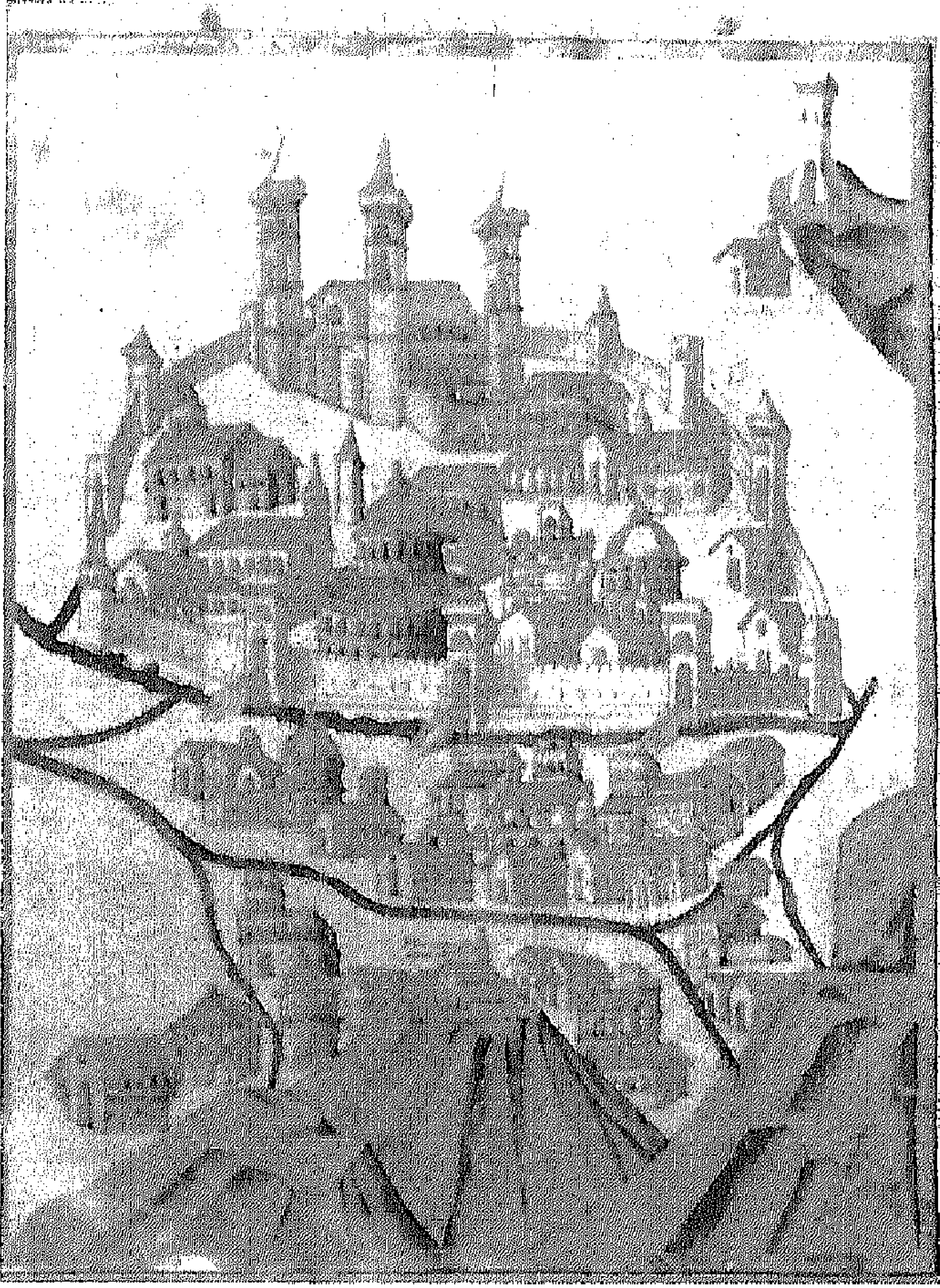
إشراقة الصمود هي أبواب دمشق، لم تستكن لحظة من لحظات تاريخها الطويل، وكعاشق يدفع الضيم عمّن يحبّ، ويزود عن حياضه نوائب الزمن، صمدت صمود الميامين من الأبطال، ودافعت دفاع الأشاوس من الرجال، وردّت عنها عتاة العلوج والطامعين، واستمرّت في شموخها باعتزاز وفَخَار.

لم تنل هذه الأبواب حقّها من التأريخ، وأهمل ذكرها كثير من الكتَبَة، ولم يعبأووا بأهمية دورها في الحفاظ على وجودهم أيام الشدائد والغزوات والحملات، تماماً كأهميّة الهواء والماء والغذاء.

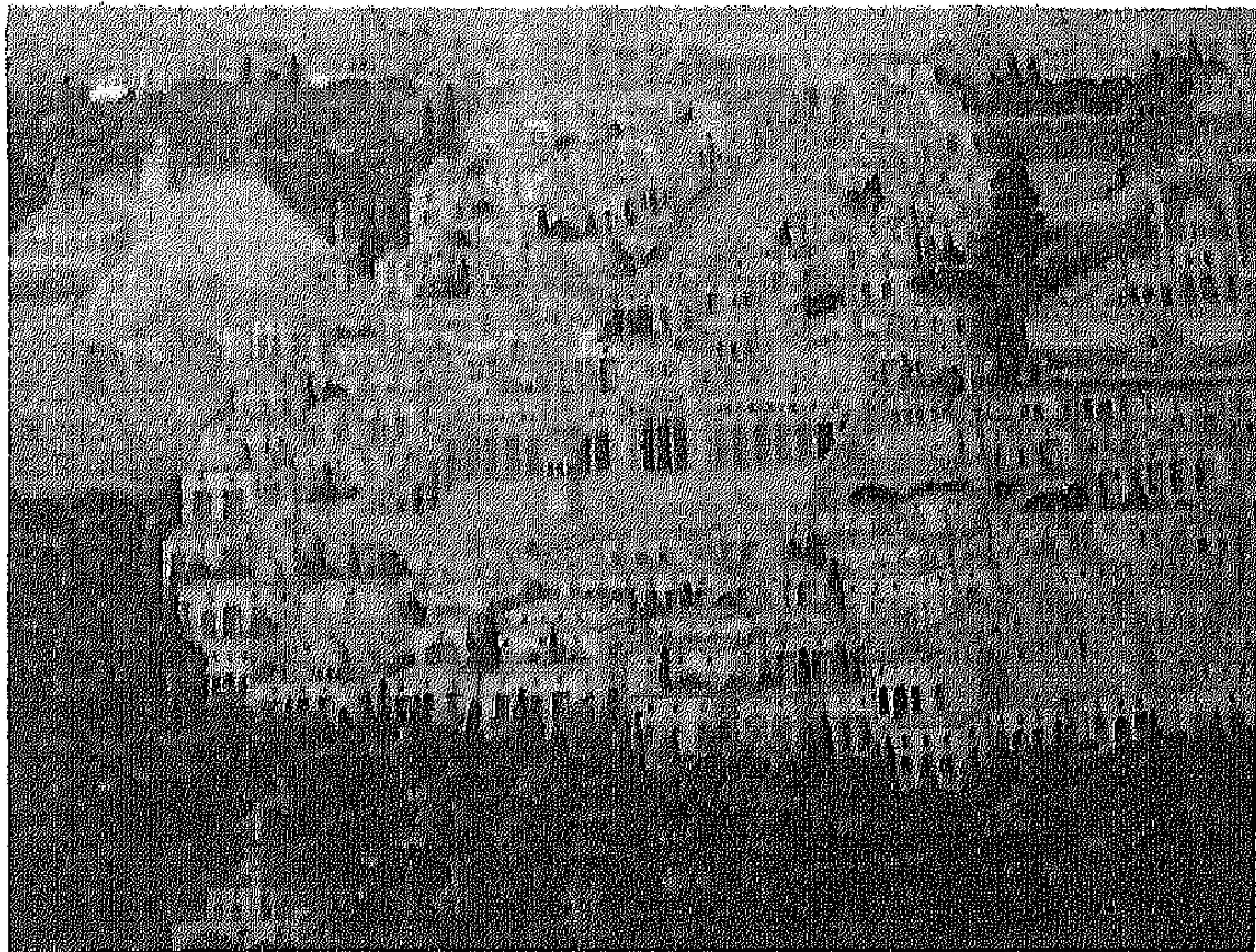
وبعد عشرات القرون من استمرارها وتجاهلها، رأيت أن الوفاء يدفعني لتقديمها بحُلّة جديدة، كعروس حلوة فازت بمحبّها فتزيّنت له بشفوف الأسطورة والرواية والحدث.

وهكذا بدأت.

قتيبــة



مخطط مدينة دمشق عام (١٤٧٠م) يزيّن مقدّمة كتاب الجغرافيا لبطليموس (بريشة الفنّان الإيطالي جاكوبو دي أنجيولو من مدينة فلورنسا)



دمشق في القرن الثامن عشر للميلاد بريشة فنّان أوروبي زار المنطقة ويبدو الجامع الأموي في مركز اللوحة.
(اللوحة محفوظة في متحف التقاليد الشعبية بقصر العظم بدمشق)

مدخل تاريخي لدمشق

يخطىء من يقول: دمشق ليست أقدم المدن التاريخية المأهولة حتى اليوم. و يطلب المستحيل إذا تساءل متى نشأت ومن هو بانيها ؟

والجواب على ذلك ضرب من التخمين والرجم بالغيب، فلا المصادر التاريخية تسعفنا بأكثر من أساطير لا تستند حتى إلى الخيال العلمي، ولا المراجع المطبوعة أو المخطوطات تزوّدنا بغير روايات منسوخة أو منقولة شفهياً، ومعظم من كتب عن دمشق من المؤرّخين القدامى يبدأ بعبارة هي بمثابة التوثيق عنده فيقول: (حدّثنا فلانٌ عن فلانٍ أنّه سمع فلاناً يروي عن فلانٍ بأن باني دمشق هو. . . إلى آخر الحكاية التي تُختتم عادة بعبارة والله أعلم).

وفي حين كان المؤرِّخ القديم يبني تاريخه إما على الوقائع التي عايشها وشهد أحداثها وهو أمر مقبول ومصداقي، أو ينقل عن غيره، وهنا تستفحل الأغلاط وتتصحّف الأسماء وتتدلّس الأحداث لأكثر من سبب، فإن الفكر البشري الحديث لم يعد يأخذ بالرواية إلا إذا دُعّمت بإثبات مادّي ملموس لا يحتمل الشكّ بل اليقين، لذلك اعتبر الكثيرون أن اللقى والمكتشفات الأثرية هي المصداق الوحيد للإثبات.

قلت: ما وصلنا من تاريخ دمشق المُثْبَت أثرياً لا يسبق الألف الثالث قبل الميلاد، فقد اكتشفت في أرضية باحة الجامع الأموي آثار ترجع إلى تلك الحقبة. هذا ما اكتشف، أما ما لم يكتشف بعد فلربّما يرجعها إلى عصور أقدم من ذلك بكثير كما يُعتقد.

ومن الطبيعي أن دمشق نشأت كبقية المدن في العالم، هجرات بشرية

تنتجع الماء والكلأ والموقع والمناخ، والغوطة وبردى موردان معطاءان، فكان التجمّع الرعوي الأول الذي اكتشف هذا الموقع واستوطنه طالما استمر عطاء الطبيعة للخصب والخير والنِعَم، ومع توفّر الإطمئنان المعيشي بدأ نسيج القرية الأولى بالظهور، ثم توسّع الزحف العمراني فتحولت القرية إلى بُلَيدة ثم إلى بلدة حتى صارت مدينة، وهكذا نشأت دمشق.

ويذكر التاريخ أن هذه المدينة تعرّضت إلى عديد من الغزوات التي ترك بعضها بصماته عليها ولم يترك البعض الآخر، فقد سكنها العمّوريون والكنعانيون حوالي الألف الثالث قبل الميلاد، وكان من أشهر ملوك الكنعانيين فيها «بيرليوزا»، ثم تعرّضت للغزو الآشوري، كما خضعت للنفوذ الفرعوني في عهد «تحوتمس الثالث»، وفي النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد سكنها الآراميون وأسّسوا فيها مملكة آرام دمشق ومن أشهر ملوكها «رزون، وبر حدد، وحزائيل وغيرهم»، ثم احتلّها الملك الآشوري «شلمنصر الثالث» سنة (٨٤١) ق.م بعد أن صمدت لكثير من الغزوات قبله وبعده، وفي سنة (٧٣٢) ق.م قضى عليها الآشوريون بقيادة الملك «تغلات بلاسر الثالث» وضمّوها إلى مملكتهم، ثم سقطت بيد الكلدانيين بقيادة «نبوخذ نصر» سنة (٦٠٥) ق.م، بعدها احتلّها الفرس الأخمينيون سنة (٥٣٨) ق.م حتى انتزعها منهم القائد اليوناني «بارمينيو» بأمر من الإسكندر الكبير المقدوني بعد أن انتصر في معركة إيسوس على القائد الفارسي داريوس «دارا» وجيشه الجرّار قرب مدينة الإسكندرونة في اللواء السليب اليوم سنة (٣٣٣) ق.م، ثم أصبحت للسلوقيين خلفاء الإسكندر بعد وفاته، وصارت تنتقل من أيديهم إلى أيدي البطالمة المصريين بين حين وآخر، حتى استولى عليها الأنباط بقيادة مليكهم «الحارث الثالث» بسنة (٨٥) ق.م، ثم خلال السنوات (٨٢ - ٦٧) ق.م خضعت للأمبراطورية الأرمنية في عهد الإمبراطور «ديكران الثاني الكبير»

بعدها عادت لحكم السلوقيين مرّة أخرى، إلى أن احتلّها الرومان بقيادة «پونپيوس» سنة (٦٤) ق. م، وعاد إليها الأنباط ثانية حتى استردّها منهم الإمبراطور الروماني «نيرون» خلال القرن الأول الميلادي، وفي سنة (٣٩٥ م) صارت من نصيب الإمبراطورية البيزنطيّة حتى سنة (٦١٤ م) حين غزاها الفرس فأخرجهم منها القائد البيزنطي «هرقل».

فتح العرب المسلمون دمشق سنة (١٤ هـ) وقيل سنة (١٣ هـ) من العهد الراشدي، وفي سنة (٤١ هـ) صارت عاصمة للدولة الأموية، واحتلّها العباسيون سنة (١٣٢ هـ) ثم استولى عليها الطولونيون سنة (٢٦٤ هـ) ومن بعدهم الإخشيديون سنة (٣٣٠ هـ) بعدهم جاء الحمدانيون بقيادة سيف الدولة الذي اتّفق مع الإخشيديين على إعادة نفوذهم إليها مقابل أن تُترك له حلب وأنطاكية وحمص، وفي سنة (٣٥٩ هـ) احتلّها القائد الفاطمي «جوهر الصقلي»، واستولى عليها السلاجقة الأتراك سنة (٤٦٨ هـ)، ثم صارت للدولة البوريّة، وقد تعرّضت إلى حصار الصليبيين مرّات عديدة دون أن يتمكّنوا من الإستيلاء عليها، وفي سنة (٥٤٩ هـ) استولى عليها السلطان نور الدين محمود بن زنكي (الملقّب بالشهيد) فصارت للدولة الأتابكية النورية، ثم للدولة الأيوبية بعد استيلاء السلطان صلاح الدين الأيوبي عليها سنة (٥٦٩ هـ)، واحتلّها المغول بقيادة «هولاكو» سنة (٦٥٨ هـ) وارتحلوا عنها في نفس العام فأصبحت من نصيب المماليك، وعاود المغول احتلالها ثانية سنة (٦٩٩ هـ) وبقوا فيها مئة يوم رحلوا بعدها، ودخلوها للمرّة الثالثة بقيادة «تيمورلنك» سنة (٨٠٣ هـ) واستمرّوا فيها يعيثون فساداً وتخريباً مدة ثمانين يوماً وغادروها، وفي سنة (٩٢٢ هـ) استولى عليها العثمانيون بعد انتصارهم على المماليك في معركة (مرج دابق) وبقيت بأيديهم حتى احتلّها «ابراهيم باشا المصري» وبقي فيها خلال السنوات (١٢٤٧ - ١٢٥٦ هـ) عادت

بعدها للسيطرة العثمانية ، ثم حرّرتها القوات العربية بقيادة الأمير «فيصل بن الحسين» سنة (١٣٣٦ هـ/ ١٩١٨ م) وتشكّلت فيها أول حكومة عربية ونودي بالأمير فيصل ملكاً عليها في (٨ آذار ١٩٢٠)، وفي (٢٤ تموز)من نفس السنة احتلّتها القوات الفرنسية بعد وقعة ميسلون وبقيت فيها حتى العدوان الفرنسي في (٢٩ أيّار ١٩٤٥) ثم جلت عنها في (١٧ نيسان ١٩٤٦).

المصادر التاريخية المختلفة

هنا بدأت الحضارة للشهابي ٧١

دمشق في المرحلة الآرامية

قليل جداً ما نعرفه عن عمران دمشق في العهد الآرامي حوالي الألف الثاني قبل الميلاد، فجميع آثارها إما درست أو دفنت في باطن الأرض ومن غير الممكن الكشف عنها إلا بهدم المدينة القديمة وهو أمر مستحيل. ولكن من الواضح أنها نشأت أولاً كقرية ضمن واحتها الخضراء الغوطة، ثم تحولت تدريجياً إلى مدينة، ويقول الباحثون ان تخطيط أحيائها كان عشوائياً ولا يشبه بحال النسيج العمراني المنظّم للأحياء اليونانية والرومانية التي تعتمد الشوارع المستقيمة المتعامدة، كما يظنّ أن هذه الأحياء شغلت المنطقة الجنوبية من دمشق، خصوصاً منطقتي تل السمّاكة وتل النجّارين المتجاورتين في محلّة مئذنة الشحم ومحيطها اليوم وكذلك يميل الإعتقادبأن القصر الملكي الآرامي كان هناك، كما يحتمل أنها امتدّت حول معبد الإله (حَدَد) واهب المطر للناس حيث الجامع الأموي.

وفي هذه المدينة أسّس القائد الآرامي «رزون بن إليدع» مملكة آرام دمشق وكان من مشاهير ملوكها «رزون، وبرحدد، وحازائيل وغيرهم»، ولما كانت الضرورات الدفاعية تقضي حمايتها وصدّ غزوات الجيوش الآشورية المتكررةعليها، وجب تحصينها بسور مطوّق يحميها، ومن الطبيعي أن تفتح في هذا السور أبواب للخروج والدخول، ومن المؤسف ألا نعرف عن مواقعها أو مواصفاتها العمرانية والدفاعية أية معلومات للأسباب التي ذكرت قبل قليل. كذلك تطلّب الأمر إقامة قصر ملكي حصين يُعتقد بأن موقعه كان فوق المكان المعروف اليوم بـ (تل السمّاكة) في حي مئذنة الشحم قرب سوق البزورية والمرتفع عن الأرض بحوالي ١٠ - ١٥ متراً مع العلم أن منسوب أرض الشارع المستقيم

الحالي عنده قد ارتفع حوالي ٤ أمتار عما كان عليه في السابق، وقد هدّم هذا القصر في الغزوات الآشورية. كما يظن دونما إثبات بأن اسمه كان «البريص» لما جاء في شعر حسّان بن ثابت في مدح أمراء الغساسنة الذين كانت لهم في دمشق دور وقصور كثيرة قوله:

. للــه درّ عصـــابة نادمتهـــــم يومـا بجلّق في الزمـان الأول
يسقون من ورد (البريص) عليهم بردى يصفّق بالرحيق السلسل

ويحسم المسعودي المتوفّى سنة (٣٤٦ هـ) في كتابه مروج الذهب الجدل الذي طالما حار الباحثون فيه للتوصّل إلى تفسير معنى اسم (البريص) فيقول: (وقد كان بدمشق أيضاً بناء عجيب يقال له البريص، وهو مبقّى إلى هذا الوقت في وسطها، وكان يجري فيه الخمر في قديم الزمان، وقد ذكرته الشعراء في مدحها لملوك غسّان من مأرب وغيرهم).

قلت: أميل إلى الإعتقاد بأن قصر البريص الذي ذكره حسّان هو أحد قصور أمراء الغساسنة وليس القصر الملكي الآرامي إلا إذا كان الغساسنة قد رمّموه بعد أن هدمه الآشوريون، أو أقاموا في موضعه قصراً جديداً يستقبلون فيه الضيوف الوافدين إليهم، ويؤيّد هذا الرأي ما أورده المؤرّخون من أن موقعه كان عند (المقسلاط) في وسط الشارع المستقيم قرب سوق البزورية اليوم، وهو ما ينطبق على موقع القصر الملكي المذكور عند تلّة السمّاكة.

ويطرح الباحث الأب أيوب سميا فرضيّة كون قصر البريص يشرف على نهر بردى داخل السور، ثم يحدّد موقعه بجوار قلعة دمشق كما ينسب تسميته إلى الكلمة اليونانية (فاريس Baris) ومعناها: البريـد، وهذه الكلمة تداولها سـريان

دمشق ومنهم عُرِّبت إلى : البريص.

قلت : هذه الفرضية بعيدة بعض الشيء عن الأخذ بها ، فما علاقة البريد أو حتى باب البريد القريب من الموقع الذي حدّده الأب الباحث بهذا القصر ؟

كانت أزقة المدينة الآرامية ومساكنها بين معبدها والقصر موزّعة عشوائياً قبل أن تخضع لنظام التوزيع الشطرنجي في العصر الهلنستي اليوناني. غير أن د. نبيه العاقل يطرح رأياً مغايراً فيقول : (وفي القرن الحادي عشر قبل الميلاد غدت دمشق حاضرة المملكة الآرامية الزاهرة ، وشقّت فيها الشوارع المستقيمة المتقاطعة عمودياً ، كما كانت عليه شوارع بابل وآشور في الألف الثانية قبل الميلاد).

قلت : وهنا تتضارب المقولتان في كيفية التنظيم العمراني للمدينة الآرامية ، بين الرأي القائل بالعشوائية والآخر القائل بالتنظيم ، ولا يمكن الحسم فيهما لاستحالة السبر الأثري تحت المدينة القديمة.

وحول السور والأبواب في العصر الآرامي يقول د. صفوح خير : (وتفيد النصوص الآشورية أن دمشق قد صمدت أمام الفاتح الآشوري ، وقد يكون الفضل في ذلك يعود إلى مناعة أسوارها وإحكام أبوابها التي لم يبق منها أي أثر يساعدنا على معرفة تخطيطها وتحديد أبعادها).

قلت : هو أمر منطقي ومقبول لأنه من غير المعقول أن تترك أيّة مدينة في أي عهد كان بلا أسوار تحميها. ولكنني لا أعتقد بأن تلك الأسوار كانت من الحجارة الضخمة وإلا لبقيت بعض معالمها إلى اليوم ، ولعل السبر الأثري يكشف عنها في زمن ما.

مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي ٢/ ٢٦٠

الروضة الغنّاء في دمشق الفيحاء للقساطلي ١٠

دمشق الشام لسوفاجيه ٣٢ - ٣٣

دمشق وأهميتها العمرانية والمعمارية لزهدي ٩

مدينة دمشق للريحاوي ٤٣

حضارة مملكة دمشق الآرامية لزهدي، المجلة البطريركية
نيسان ١٩٦٤

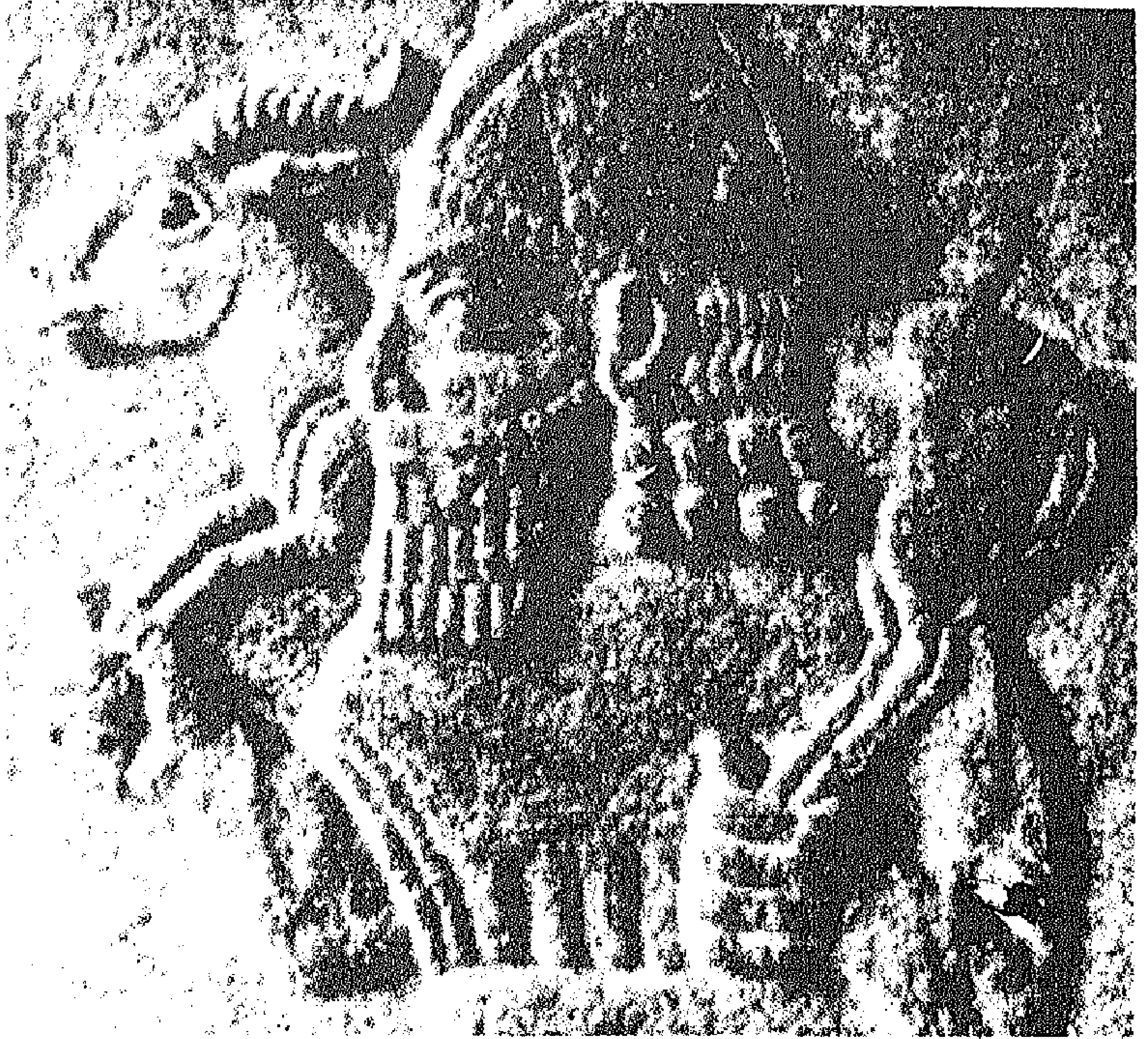
ندوة دمشق القديمة، حماية المدينة القديمة لمسوّح ١١٣

مدينة دمشق لصفوح خير ١٣٧

المجلّة البطريركية بدمشق، مقالة (البريد) لسميا، عدد ٥٣،
١٩٦٧

مقالة دمشق للعاقل مجلة العمران (عدد خاصّ عن
دمشق) ١٩٦٧

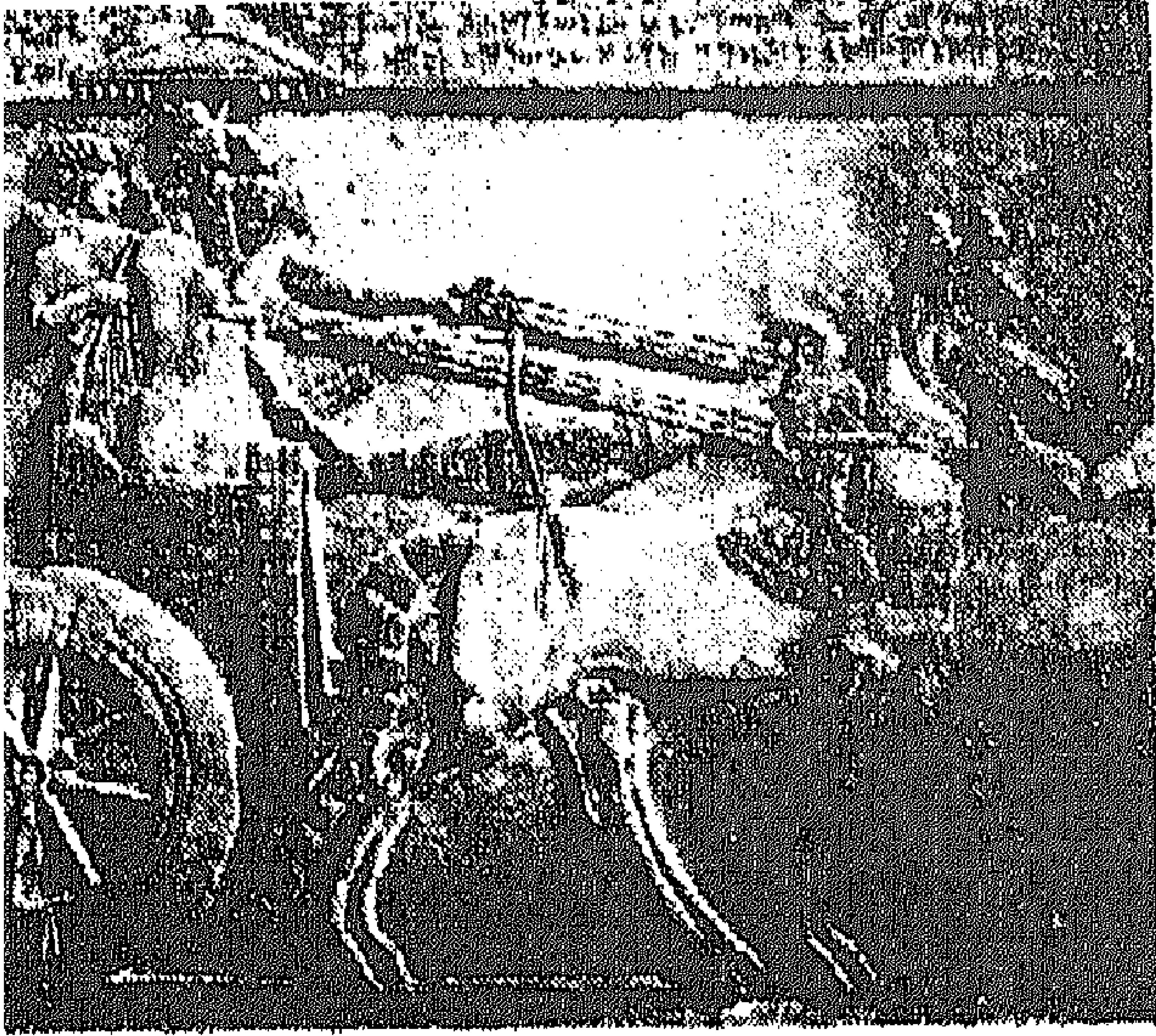


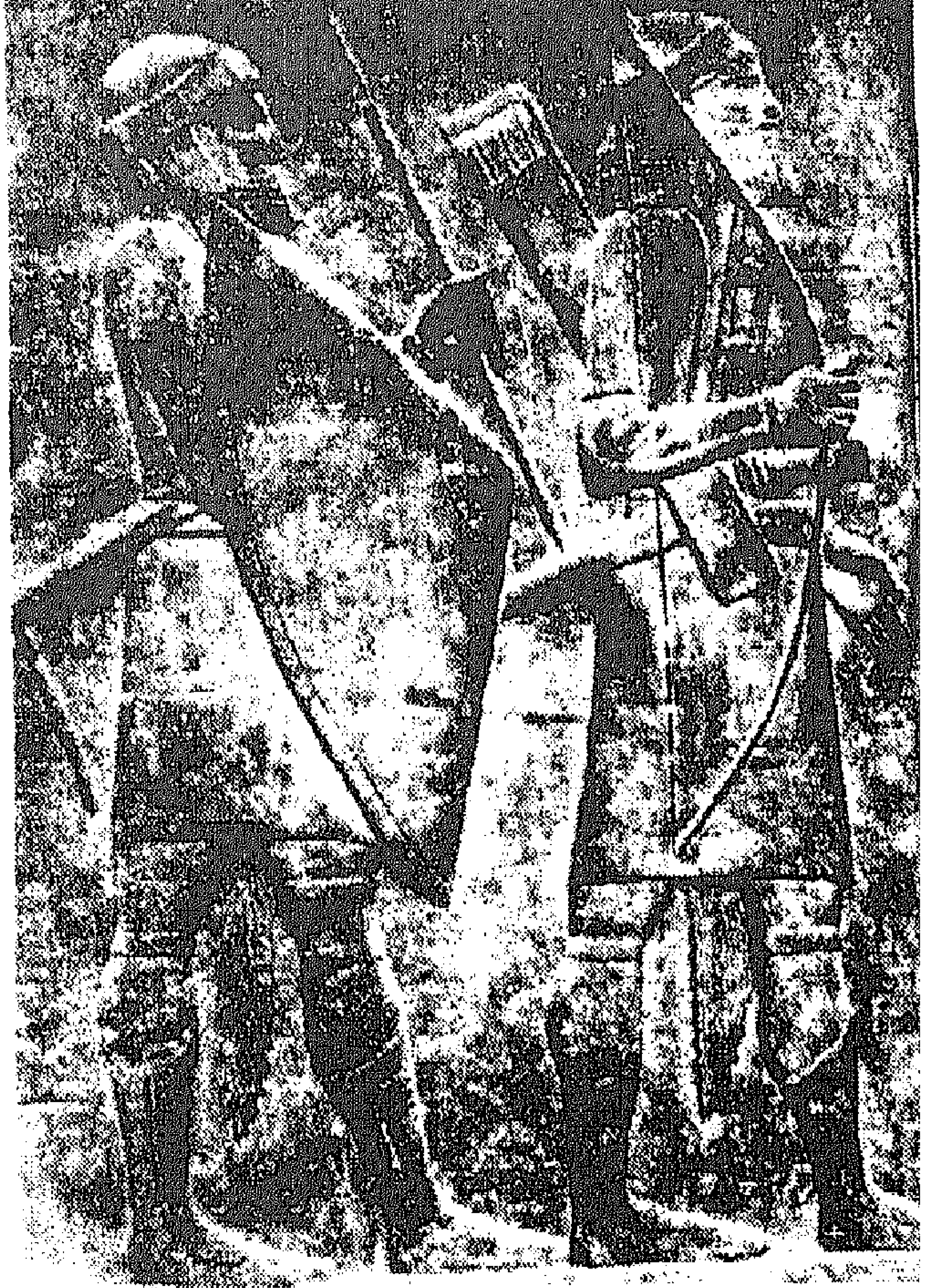


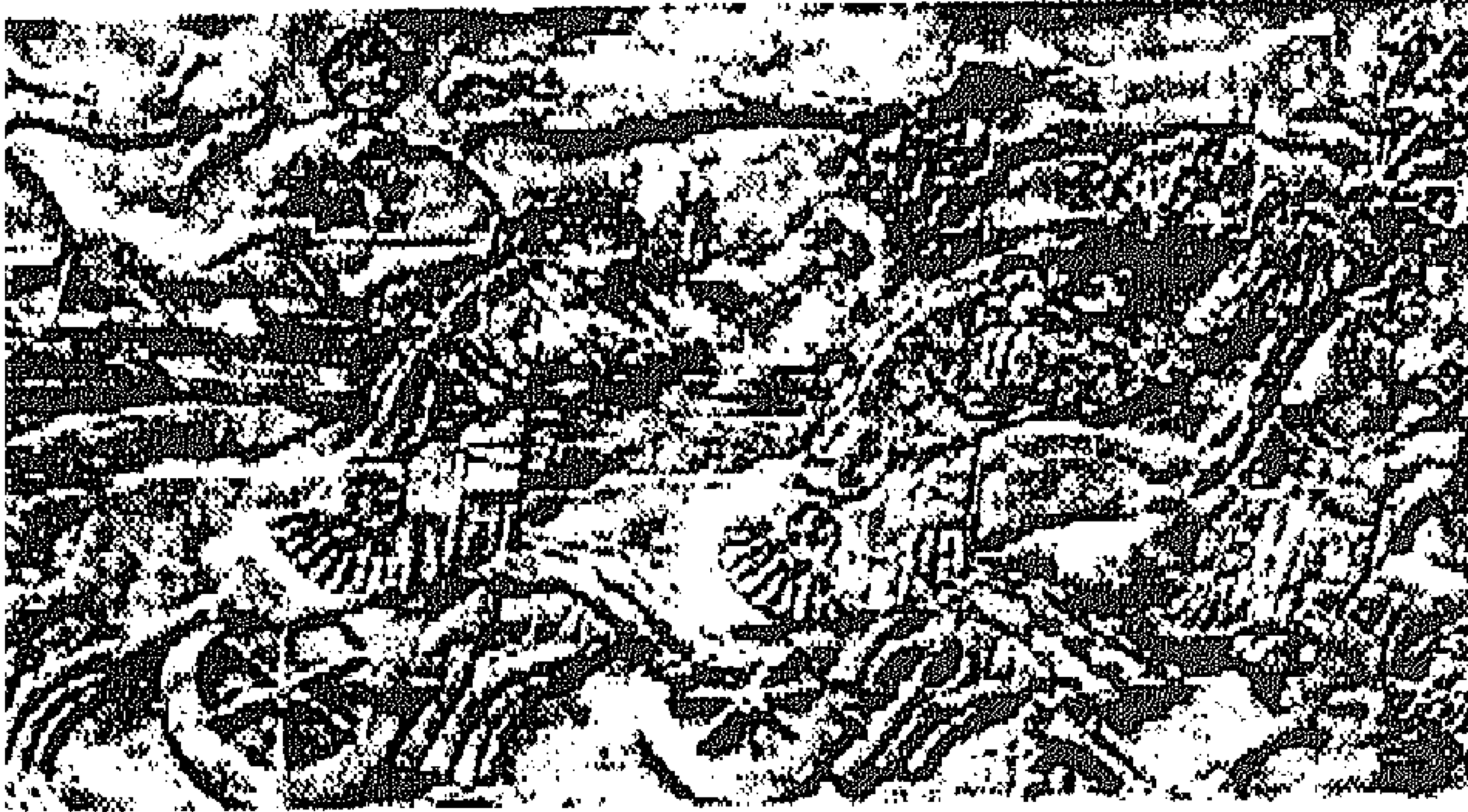
منحوتة من العاج نقشت عليها عبارة (أنا حزائيل)
ويعتقد بأنها تمثّل ملك دمشق الآرامي حزائيل
في القرن التاسع قبل الميلاد



نقشان حجريان من العهد الآرامي يظهران القدرات الإبداعية والحسّ الجمالي والتكوينات المتوازنة للفنان السوري في ذلك العهد







ثلاثة نقوش حجرية بارزة للقوات الآشورية

حاول الآشوريون احتلال مملكة دمشق الآرامية خلال السنوات (٨٤٩- ٨٤٥ق. م) فصدّهم الآراميون، ويظهر أن أسوار دمشق كانت منيعة في ذلك العهد حتى صمدت أمام جحافل الآشوريين، ثم تمكّن الملك (شلمنصر الثالث) من احتلالها سنة ٨٤١ق. م) ومالبث أن عاد إلى بلاده، وفي سنة (٧٣٢ ق. م) تمكّن الملك (تيغلات بلاسر الثالث) من القضاء على هذه المملكة الآرامية وضمها إلى ممتلكات الإمبراطورية الآشورية.



نقش حجري بارز لمقاتل آرامي
سلاحه (القوس والنشّاب)



نقش حجري بارز من العهد الآرامي

دمشـق في المرحلـة اليونانيـة

ذكرت في المدخل التاريخي كيف أن القائد اليوناني «بارمينيو» فتح دمشق بأمر من الإسكندر الكبير المقدوني سنة (٣٣٣) ق.م، ثم صارت هذه المدينة تحت سيطرة السلوقيين خلفاء الاسكندر، وانتشرت فيها الحضارة الإغريقية والثقافة الهلنستية (الهيلينيّة) لغة ومعتقداً وعمراناً، وتعايش اليونان مع الآراميين سكان البلاد الأصليين وأنشأووا لجاليتهم فيها حيّاً خاصّاً يُظنّ بأنه كان إلى الغرب من الساحة العامّة (الآغورا Agora) التي شادوها حيث ساحة الدوامنة في حي الجورة اليوم، إضافة إلى مسرح كان قرب سوق مدحت باشا الحالي. وتميّز هذا الحي بشوارعه المستقيمة المتعامدة والمتقاطعة مع بعضها بزوايا قائمة تحصر فيما بينها وحدات سكنية أطلق عليها اسم (الجزيرات) مما جعل نسيجها العمراني يشبه رقعة الشطرنج، وهو تنظيم عمراني يتماثل مع تخطيط المدن الإغريقية، ويؤمن الأغراض العسكرية التي تتطلّب الحركة السريعة والتنظيم والدقّة.

أما حول سور دمشق في العهد السلوقي، فيقول د. مفيد رائف العابد: (لما كانت المدن السلوقية قد أنشئت في وسط بيئات غريبة قد تتهدّد سلامتها فإنه لتأمين هذه السلامة، اتبعت الوسيلة التي لجأت إليها مدن بلاد الإغريق منذ تعرّضها لأخطار الحرب الفارسية الأولى. وكانت هذه الوسيلة هي بناء أسوار تطوّق كل مدينة لتسهم مع موقعها الحصين في ردّ عاديات الغزاة. وقد استمرّ اتباع هذه الوسيلة في العصر الهلنستي. ولا شكّ أن طبيعة أرض المدينة قد لعبت دوراً أساسياً في شكل السور مما أفضى إلى اختلاف هذا الشكل من مدينة إلى أخرى من المدن السلوقية، فنحن نجده مخمّساً في دورايوروپوس، وشبه منحرف في أپاميه [أفامية]

ولاوداكيه [اللاذقية]، ومربّعاً في پيرويه [حلب]، ومستطيلاً في دمشق، وبرغم هذا الإختلاف في الشكل وعدد الأضلاع فإنه من الواضح أن هذه الأسوار جميعاً تتّفق في أنها عبارة عن أشكال هندسية تتألف من أضلاع مستقيمة شأنها في ذلك شأن أسوار انطاكية. وكان عرض السور يتفاوت بين «١١٢ - ١٣٠ سم»، وأحياناً كما نجد في دورايوروپوس أكثر سمكاً عند القاعدة منه عند القمّة).

قلت: إن مقولة د. العابد منطقيّة جداً، وهي تؤكّد على وجود سور يوناني يحيط بالمدينة القديمة شأنها في ذلك شأن بقية المدن السورية التي أقامها اليونان أو حصّنوها، ومن غير المعقول أن تترك دمشق بالذات دونما حماية، ثم إن السور المحيط بأيّة مدينة يتطلّب بطبيعة الحال وجود أبواب فيه للدخول والخروج، من المؤسف ألا يبقى من هذا السور السلوقي وأبوابه ما يجعلنا على بيّنة من الطراز الهندسي الذي كانت عليه، حتى المؤرّخين المسلمين لم يتطرّقوا إلى ذكرهما في ذلك العهد تحديداً، وما السور والأبواب القائمة إلى اليوم إلا من صنع الرومان وتجديدات العهود الإسلامية المتلاحقة.

والجدير بالذكر أن مدينة دمشق كانت مقسومة إلى ثلاث مناطق هي:

١-المدينة الآراميّة في الجهة الجنوبية داخل السور، خصوصاً منطقة مئذنة الشحم ومعبد (حَدَد).

٢- الحي اليوناني كان في محلّة (الجورة) الحالية.

٣- حي الأنباط وحُرّف اسمه إلى (النيبطون) داخل باب توما عند الزاوية الشمالية الشرقية للسور.

دمشق الشام لسوڤاجيه ٤١

هنا بدأت الحضارة للشهابي ٢٨

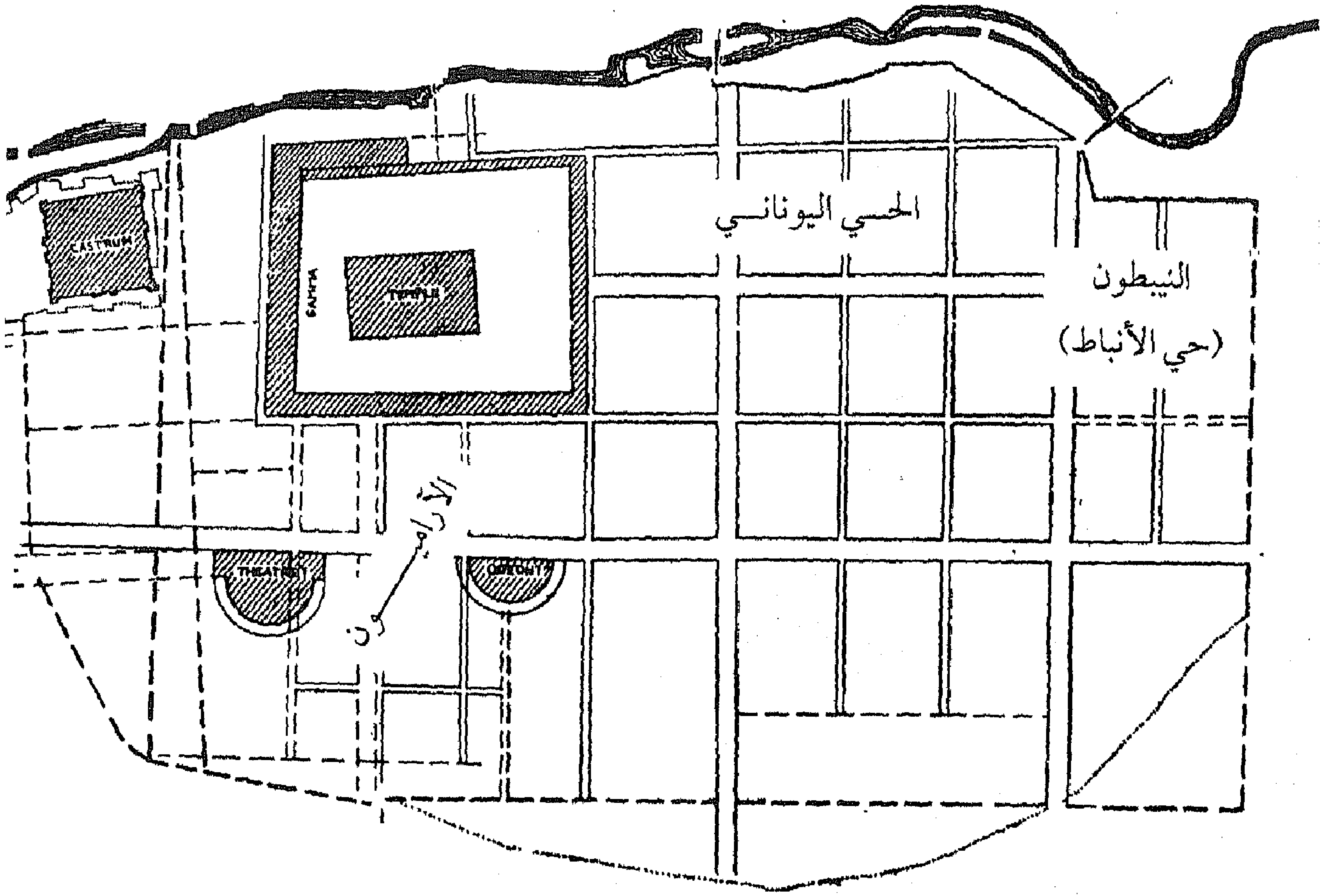
سورية في عصر السلوقيين للعابد ١٩٩٣ ص ٣٤٢



القائد اليوناني الاسكندر الثالث المقدوني الكبير
ولد في اليونان سنة (٣٥٦ ق. م) وتوفى بالحمّى في
بابل سنة (٣٣٢ ق. م) وقيل بل توفى في ظروف غامضة
وكان من أتباع فلسفة (أرسطو)



مدالية حجريّة تمثّل سلوقوس الأول نيكاتور
مؤسس السلالة السلوقية الحاكمة في سورية والتي امتدّ حكمها
خلال السنوات (٣١٢ - ٦٤ ق. م) حين قضى عليها الرومان عند
فتحهم لسورية



توزّع السكّان في أحياء دمشق بالعصر السلوقي

دمشق في المرحلة الرومانية والبيزنطية

في عام (٦٤) ق . م قضى القائد الروماني (پومپيه) على حكم السلوقيين لسورية بصورة نهائية، ومن منطلق إدراكهم لأهمية موقع دمشق، ومتطلّباتها الدفاعية والأمنية، وإمكانيات أهلها في مجالات العمارة والعمران، وضرورة ترميم أو إعادة بناء الأسوار الدفاعية والأبواب، قاموا بإحاطة أحياء المدينة بسور حجري ضخم مستطيل الشكل يضم داخله الأحياء الآرامية واليونانية والنبطية التي شادها الأنباط، وقد بلغ طول هذا السور حوالي (١٥٠٠ م) وعرضه (٧٥٠ م)، والمساحة التي يحيط بها (١٠٥) هكتاراً، وكانت جوانبه توازي الخطوط المستقيمة التي تخطّ الشوارع فتنموا أو تتسع حسبها، إلا جانبه الشمالي الذي كان يماشي نهر بردى، وهو خندق طبيعي لا يمكن تجاوزه.

وكان لهذا السور في العهد الروماني سبعة أبواب: ثلاثة في الجبهة الشمالية حيث يسهل الدفاع عن البلد لوجود النهر وهي: باب توما وباب الجنيق وباب الفراديس. وإثنان في الجبهة الجنوبية وهي أقل سهولة للدفاع عن المدينة وهما: باب كيسان والباب الصغير. وفي الجبهة الشرقية باب واحد كبير هو: الباب الشرقي. وقبالته من جهة الغرب باب كبير آخر هو باب الجابية وبينهما الشارع المستقيم الذي يبلغ طوله (١٥٠٠ م) وعرضه (٢٥,٥ م) وكان مبلّطاً بالحجارة الجميلة، وعلى كل من جانبيه رواق يقوم فوق أعمدة ذات تيجان (كورنثية) ويتّخذ مكاناً للتجارة والبيع، وهو بذلك يشبه شوارع مدينتي تدمر وجرش، ويتعامد مع هذا الشارع عند قوس النصر (التترابيل) القائم حالياً في محلّة (الخراب) شارع آخر يقطع المدينة من الشمال إلى الجنوب. أما في العهد البيزنطي فلم يحدث تغيير يذكر

على سور المدينة وأبوابها .

قلت : والسؤال المطروح حول السور والأبواب القائمين اليوم - عدا الأقسام المجدّدة في العهود العربية الإسلامية المختلفة - هل أعاد الرومان بناءهما بالكامل بعد أن نقضوا السور اليوناني الأقدم ، أم أنهم رمّموا فقط ما كان يحتاج منهما إلى ترميم ؟ وهل الأحجار الضخمة التي نشاهدها اليوم في قاعدة بعض أجزاء السور - بين الباب الشرقي وباب كيسان ، وبين باب توما وباب السلام - هي من العصر الروماني أم من العهد اليوناني ؟ ثم هل بقيت الأبواب السبعة في نفس مواضعها خلال العهدين اليوناني والروماني ؟ من المستحيل الإجابة على هذه التساؤلات ما لم تزوّدنا الحفريات الأثرية بمعلومات دقيقة حولهما في الفترة اليونانية تحديداً ، وهو ضرب من المستحيل إلا إذا هدمت المدينة القديم وسُبِرت أغوارها وتم الكشف عن مناسيبها المختلفة .

الروضة الغنّاء في دمشق الفيحاء للقساطلي ١٣ ، ١٦

الآثار التاريخية في دمشق لسوفاجيه ١٣

دمشق القديمة للمنجّد مديرية الآثار ١٩٤٥

خطط دمشق للمنجّد ٦٥

مدينة دمشق للريحاوي ٤٧

دمشق وأهميتها العمرانية والمعمارية لزهدي ١٣

مدينة دمشق لصفوح خير ١٤٩



القائد الروماني (پومپيوس)
الذي احتلّ سورية سنة (٦٤ ق.م)
منهياً بذلك حكم السلوقيين فيها



من الآثار الرومانية في دمشق

قوس النصر يعلو أعمدة معبد جوپيتر الدمشقي

في باب البريد

(عن كتاب Damascus, Die Antike Stadt

لڤاتسينگر وڤولتسينگر الصادر في برلين ولايپزيغ عام ١٩٢١م)

الأبواب ونسبتها إلى الكواكب

يؤكد عدد الأبواب في سور دمشق ونسبتها إلى الكواكب مؤرّخ دمشق الكبير ابن عساكر وينقل عنه ابن شدّاد والقلقشندي وغيرهما فيقول: (وبلغني من وجه آخر عن بعضهم أن الذي بنى دمشق، بناها على الكواكب السبعة، وأن المشتري بيته دمشق، وجعل لها سبعة أبواب، وصورّ على كل باب أحد الكواكب السبعة، وصورّ على الباب الذي يقال له اليوم باب كيسان زحل، فخرِّبت الصور كلّها التي كانت على الأبواب إلا باب كيسان فإن صورة زحل باقية إلى الساعة). ويستطرد أيضاً راوياً على ألسنة البعض: (قرأت في كتاب عتيق: باب كيسان لزحل، باب شرقي للشمس، باب توما للزهرة، باب الصغير للمشتري، باب الجابية للمرّيخ، باب الفراديس لعطارد، باب الفراديس الآخر المسدود للقمر).

قلت: لعل ابن عساكر كان يقصد في قوله باب الفراديس الآخر المسدود باب الجينيق لأنه الباب الوحيد الذي لم يذكره في تعداده، ولا يزال هذا الباب مسدوداً إلى يومنا هذا، ويبدو أنه كان قد سُدّ في عصر سابق للإسلام بدليل عدم وروده بين الأبواب التي نزل عليها المسلمون عند فتح دمشق.

ويدخلنا ابن كثير في متاهة اختلاف التسمية لثلاثة من الأبواب التي ذكرها ابن عساكر فيقول:

١ - وباب القمر باب السلامة، وكانوا يسمّونه باب الفراديس الصغير [لعلّه كان يقصد باب الجينيق لأن باب السلامة باب إسلامي ومن غير المعقول أن ينسب إلى كوكب كما هو الحال في الأبواب اليونانية والرومانية].

٢ - وعطارد لباب الفراديس الكبير [والمقصود به باب الفراديس الحالي].

٣ - وللمشتري باب الجابية الصغير [هو الباب الصغير الحالي ويعرف أيضاً بباب الجابية الصغير].

ويكرّر البدري من علماء القرن التاسع الهجري والمتوفى سنة (٨٩٤ هـ) ما ذكره ابن عساكر عن نسبة الأبواب إلى الكواكب لكنه يخلط بين بابين مخالفاً ما ورد في نصّ ابن عساكر فيقول: (باب الجابية للمشتري والباب الصغير للمرّيخ). ثم يضيف: (وكان من حكماء اليونان من اتّخذ على باب الجابية صورة إنسان مطرق الرأس كالمتفكّر، ومن أعماله أنه إذا دخل أحد يريد بدمشق سوءاً أو بأهلها، فإن ذلك الإنسان يصرّ لأنينه الباب، فيعلم به خدمة الباب وقوّامه).

ثم في سلسلة مقالات له حول الشارع المستقيم، يطرح الأب الباحث أيوب سميا فرضية تتعلّق بأبواب سور دمشق اليونانية فيقول: (كان لليونان في هندسة مدنهم خطّة تشبه أسلوب البابليين، فقد كانوا يقيمون في كل مدينة شارعاً رئيسياً مستقيماً يشقّها إلى شطرين وينتهي كل طرف منه بباب، ويكون عادة أكبر الشوارع وأوسعها، وتتفرّع عنه شوارع ومداخل أصغر، كما كانت لهم عادة دينية في توجيه هذا الشارع من الشرق إلى الغرب، فقد كانوا يخصّون بابه الشرقي لاسم إلههم الأكبر الشمس، وبابه الغربي لاسم ابنه زيوس لكي يحفظ كل منهما المدينة ويصونها ويدفع عنها عاديات الزمن. كما كانوا يقيمون لأسوار مدنهم الهامّة سبعة أبواب يقفونها لأسماء آلهتهم تيمّناً وتباركاً، ويرمزون لها بكوكب من الكواكب السيّارة التابعة للشمس التي يعبدون، وفوق كل باب كانوا ينحتون رسماً نافراً لذلك الإله، وبقرب كل باب كانوا يعملون معبداً صغيراً للإله المختصّ به، وقد فعلوا ذلك في المدن التي أقاموها أو التي كانت سابقة لعهدهم كأنطاكية واللاذقية وأفامية وسلوقية وتدمر ودمشق وجرش). ثم يذكر في مقالة أخرى بعنوان باب توما: (أما دمشق فكان سورها عندما ملكوها - ويعني اليونان - قديماً

مشعّثا يحصرها في بقعة ضيّقة. فوسّعوه وعملوا له سبعة أبواب ووقفوا الباب الأول [الشرقي] للشمس، والثاني [باب كيسان] لزحل، والثالث [الصغير] للمرّيخ، والرابع [الجابية] للمشتري، وباب العمارة المسدود [الخامس] للقمر، والسادس [الفراديس] لعطارد، والسابع [باب توما] للزهرة). وفي مقولة ثالثة: (أنه بعد مرور [٨١] سنة على موت الإسكندر المقدوني أي في سنة [١٤٢] ق.م، تولّى سورية الملك السلوقي «تريغون» مزاحماً ديمتريوس الثاني، فرمّم ما تشعّث من السور في عهد ديمتريوس بتأثير هجمات بطليموس ملك مصر).

قلت:

أولا: يبدو أن الأب الباحث اعتمد على ما ورد عند (البدري) حول نسبة الأبواب إلى الكواكب والآلهة ولم يعتمد نصّ مؤرّخ دمشق الكبير ابن عساكر، ففي حين تكون نسبة باب الجابية عند ابن عساكر إلى كوكب المرّيخ والباب الصغير إلى كوكب المشتري، يعكس البدري هذه النسبة ويقول: أن باب الجابية للمشتري والباب الصغير للمرّيخ. ومن الطبيعي أن تكون مقولة ابن عساكر هي الأصحّ لأن وفاته كانت سنة (٥٧١ هـ) بينما توفى البدري سنة (٨٩٤ هـ).

ثانياً: إذا صحّت فرضية الأب سميا القائلة أن اليونان هم الذين فتحوا في سور دمشق سبعة أبواب قبل الرومان، وقد أسلفت أن فتح الأبواب في السور المحيط بأيّة مدينة هو أمر حتمي، عندها لا يكون اختيارهم للرقم (٧) أمراً اعتباطيّاً، بل نتيجة لمعتقد ديني، فهذا الرقم عندهم يرمز إلى الكمال، كما هو رقم مقدّس عند الشعوب القديمة كالسومريين والأكاديين والآشوريين والكلدان والبابليين والآموريين والفراعنة والفينيقيين والرومان والفرس وبقية شعوب الشرق الأقصى.

ويرمز الرقم سبعة أيضاً عند اليونان إلي الجمع بين الأرض والسماء، والمبدأ

النسائي بالمبدأ الذكوري، والعواصف المظلمة بالنور، وهو عدد الإله (أپولو) أوسع الآلهة نفوذاً وربّ الجمال الرجولي والطبّ والموسيقا وحامي الرماة، فقد ولد في اليوم السابع من الشهر، وعمّده الإله (آخيل) تحت اسم القيصر الإله السابع، إله البوّابة السابعة، وكانت أعياده تقع دوماً في اليوم السابع من الشهر، وكان في قيثارته سبعة أوتار، وعند مولده دار الأوزّ المقدّس سبع دورات حول الجزيرة العائمة. وفي الأساطير اليونانية والإلياذة أكثر من الكثير حول هذا الرقم.

واستمر تداول هذا الرقم في الديانات والحضارات الأحدث، فالله خلق الكون في سبعة أيام، وهناك سبع سماوات، والأسبوع سبعة أيام، وهناك مسجد السبع قاعات (جامع الورد في سوق صاروجا)، وحي السبع طوالع (بالكلاّسة)، وعلى ألسنة الناس: والسبع تْنْعَام (بمعنى تشرّفنا)، والسبع تْنْفُس أي سبعة أنفس أو سبعة أشخاص، ويقال أيضاً: بيحكي سبع تْلْسُن أي سبع لغات، وفلان مثل الأطاط له سبع تْرْواح (كالقطاط له سبع أرواح)، وهناك أسبوع النَفَاس، وأسبوع الزفاف واسبوع الطهور ويقال لها على ألسنة العامّة (سبُوع)، وغير ذلك كثير.

أما أبواب دمشق السبعة الأصلية ونسبتها إلى الكواكب والآلهة الإغريقية وما يقابلها عند الرومان فهي:

١- الباب الشرقي: كان ينسب للشمس ويمثّلها الإله الإغريقي (هليوس Helios) ويقابله عند الرومان إله للشمس أيضاً اسمه (سول Sol).

٢- باب كيسان: كان ينسب لكوكب زحل، وهو إله الزمن والعصر الذهبي الإغريقي (كرونوس Kronos) وعند الرومان (ساتورن Saturn) إله الزراعة والكرمة والإزدهار والخصب. وتبدّلت تسمية باب كيسان في العهد البيزنطي إلى (باب القديس بولس) تخليداً لحادثة تهريبه من فوق السور عند هذا الباب في العهد الروماني.

٣- الباب الصغير : كان ينسب لكوكب المشتري، ويمثّله كبير الآلهة الإغريقي (زيوس أو زفس Zeus) ويقابله عند الرومان كبير الآلهة (جوپيتر Jupiter) الذي نسب إليه المعبد الوثني (معبد جوپيتر الدمشقي) حيث الجامع الأموي اليوم.

٤- باب الجابية : كان ينسب لكوكب المرّيخ، وهو إله الحرب الإغريقي (آريس Ares) الذي وحّده الرومان مع إله الحرب عندهم (مارس Mars).

٥- باب الجينيق : كان ينسب لكوكب القمر، وتمثّله عند الإغريق الإلهة(سيلينه Selené) التي عرفت في حقبة متأخّرة باسم (أرتيميس) إلهة الصيد ويقابلها عند الرومان إلهة القمر(لونا Luna)، وفي العهد البيزنطي سمّي (باب الميلاد) تخليداً لعيد ميلاد السيد المسيح. وقد ذكر ابن عساكر أن القمر منسوب لباب الفراديس الآخر المسدود؟ وأورد الأب سميا أنه لباب العمارة المسدود، (علماً بأن بابي الفراديس والعمارة هما تسميتان لباب واحد). والملاحظ أن أحداً لم يذكر اسم باب الجينيق ونسبته للقمر قبل أبي البقاء البدري (من القرن التاسع الهجري)، في حين أورد ابن عساكر أن القمر منسوب إلى باب الفراديس الآخر المسدود كما أسلفت، فهل هذا يعني أن البابين هما باب واحد؟ وسأعود لمناقشة هذا الطرح عند الحديث عن كل باب في حينه.

٦- باب الفراديس : كان ينسب لكوكب عطارد، ويمثّله رسول الآلهة الإغريقي (هرمس Hermes) وهو نفسه إله التجّار والنقود وحامي الطرق عند الرومان (مركوري Mercurius).

٧- باب توما : كان ينسب لكوكب الزهرة، وتمثّله إلهة الحب والجمال الإغريقية (أفروديت Aphrodite) وتقابلها عند الرومان ربّة الجمال والحياة الجنسية (ڤينوس Venus). وفي العهدالبيزنطي بعد أن صارت المسيحية ديانة الأمبراطورية

البيزنطية وعاصمتهم (بيزنطة) أي اسطنبول الحالية، أبدل اسم الزهرة إلى اسم القديس توما الرسول أحد تلامذة السيد المسيح، تيمناً به وتباركاً.

قلت: لا بد لي من طرح فكرة طالما شغلني التفكير فيها زمناً طويلاً، وهذا الطرح لا يخرج عن كونه (فرضية) لا تستند إلى أي مرجع أو مصدر، بل تستقي جذورها من قانون الإحتمالات. فأسماء الأبواب الحالية عربية بحتة، أو عربية محرّفة عن أسمائها الآرامية أو السريانية القديمة، وهناك احتمال في بقاء هذه الأسماء متداولة على ألسنة الناس أيام اليونان والرومان بحكم الإستمرار، ولكن عندما قام هؤلاء بإطلاق نسبة كل باب من أبواب دمشق إلى إله من آلهتهم فمن الطبيعي أن يطلقوا اسم ذلك الإله على الباب الذي يخصّه. أو لعلهما استبدلوها - رسمياً على الأقلّ - بأسماء يونانية ثم رومانية. فإذا صحّت هذه الفرضية تكون تسميات الأبواب في العهدين المذكورين كما يلي:

١- **الباب الشرقي**: لعل اسمه كان باب (هِليوس) أيام اليونان، ثم صار باب (سول) في العصرالروماني.

٢- **باب كيسان**: لعله اسمه كان باب (كرونوس) أيام اليونان، وصار باب (ساتورن) عند الرومان.

٣- **الباب الصغير**: من المحتمل أن اسمه كان باب (زيوس أو زفس) عند اليونان، وأصبح في العهد الروماني باب (جوپيتر). خصوصاً وأن اسم (جوپيتر الدمشقي) كان يطلق على معبد دمشق في ذلك العصر حيث الجامع الأموي اليوم.

٤- **باب الجابية**: من المحتمل أن يكون اسمه باب (آريس) في العهد اليوناني، ثم باب (مارس) زمن الرومان.

٥- **باب الجينيق**: يحتمل أن يكون اسمه أيام اليونان باب (سيلينه)، وبعد الإحتلال الروماني صار باب (لونا)، ومما يؤيّد هذا الطرح أنه سمّي في العهد

البيزنطي (باب الميلاد) تخليداً لعيد ميلاد السيد المسيح.

٦- **باب الفراديس** : ليس غريباً أن تكون تسمية هذا الباب في العهد اليوناني باب (هرمس) وفي العصر الروماني باب (مركوري).

٧- باب توما : لم لا يكون اسمه في العهد اليوناني باب (أفروديت)، وفي العصر الروماني باب (ڤينوس). ومما يؤيّد الفكرة التي طرحت، أنه في العصر البيزنطي وبعد أن صارت المسيحية ديانة الأمبراطورية أبدلت التسمية إلى اسم القديس توما الرسول أحد تلامذة السيد المسيح، تيمناً به وتباركاً.

لم تقتصر عبادة الكواكب التي تمثّل الآلهة على اليونان والرومان، بل سبقهم إليها أهل الهند والصين، فلقد ذكر المسعودي المتوفى (٣٤٦ هـ) في كتابه مروج الذهب أنهم كانوا يبنون لكل صنم بيتاً وهيكلاً مفرداً، ويسمّون تلك الهياكل بأسماء تلك الكواكب. وقال في موضع آخر: (للصابئة من الحرّانيين هياكل على أسماء الجواهر العقلية والكواكب. . . ومن هياكل الصابئة هيكل السلسلة، وهيكل الصورة، وهيكل النفس، وهذه مدوَّرات الشكل، وهيكل زحل مسدّس، وهيكل المشتري مثلّث، وهيكل المرّيخ [مربّع] مستطيل، وهيكل الشمس مربّع، وهيكل عطارد مثلّث الشكل، وهيكل الزهرة مثلّث في جوف مربّع مستطيل، وهيكل القمر مثمّن الشكل).

والصابئة: هم أتباع نِحلة تؤلّه الكواكب وكان مقرّهم (حرّان).

وحرّان: مدينة قديمة في بلاد ما بين النهرين - ببلاد تركيا اليوم - وكانت موطن إبراهيم الخليل بعد هجرته من مدينة أور، وفيها قضى أورودس ملك الأرشاق على ليقينيوس كراسوس حاكم سورية الروماني سنة ٥٣ ق.م، كان فيها مدرسة ثقافيّة عُنيت بالفلك والرياضيات، لمع فيها أبو جعفر الخازن. واشتهرت بعلماء الصابئة من فلاسفة وأطباء ومترجمين وكتبة، كثابت بن قُرّة وابن سنان

والبتّاني وابراهيم بن هلال وهلال بن المحسن وغيرهم.

ويتوسّع عبد القادر بدران معلّقاً على ما ذكره ابن عساكر فيقول: (وليس بمستبعد في نظر التاريخ لأن الأقدمين سكان سورية كانت لهم عناية عظيمة بالكواكب، وبناء الهياكل لها، واستخدامها بزعمهم، كما تدلّ على ذلك الآثار الباقية من القرون الخالية. ومن مثل هذا نشأت عبادة الكواكب، والأوثان والأصنام. فكانوا يصوّرون كل كوكب بصورة شيء يميل ذلك الكوكب بدلالته عليه. و[جاماسب الحكيم] لما تكلّم على قرانات الكواكب أشار إليها برموز صورها التي توجد أحياناً في الحفريات فكانوا:

يصوّرون زحل في صورة شيخ في يمينه رأس رجل، وفي يساره يده، وهو راكب على ذئب يحرّك له بعصاه. وتارة يصوّرونه راكباً على فرس، وفي رأسه مِغْفَر، وفي يساره ترس، وفي يمينه سيف.

ويصوّرون المشتري في صورة كهل، في يمينه سيف مصلط، وفي يساره قوس، وهو راكب على فرس، وفي عنقه سبحة. ويصوّرونه أيضاً بصورة رجل جالس على كرسي، عليه أثواب ملوّنة، وفي يساره خيزرانة.

ويصوّرون المرّيخ بصورة شابّ في يمينه سيف مصلت، وفي يساره طبرزين [فأس]. ويصوّرونه أيضاً بصورة شاب أشقر، راكب على فرس أشقر، في رأسه مِغْفَر، وفي يساره رمح فيه علامة، وفي يمينه رأس رجل، ولباسه أحمر.

ويصورون الشمس بصورة رجل، في يمينه عصا متكيء عليها، وهو راكب على أربعة ثيران، وفي يساره خرز. ويصوّرونها أيضاً بصورة رجل جالس، وجهه كالطوق، ومعه تمثال أربعة أفراس.

ويصوّرون الزهرة بصورة امرأة، عندها عود تضرب به. أو بصورة امرأة جالسة، مرسلة شعرها، وذوائبها في يدها اليسرى، وفي يمينها مرآة تنظر فيها،

ولباسها أصفر وأخضر، وعليها الطوق والسوار والخلخال.

ويصوّرون **عطارد** بصورة شاب راكب على طاووس، وفي يمينه حيّة، وفي يساره لوح يقرأ فيه. ويصوّرونه أيضاً بصورة رجل جالس على كرسي، وفي يده كتاب، وعلى رأسه تاج أو شيء من الملبوس، وعليه ثياب ملوّنة.

ويصوّرون **القمر** بصورة رجل في يمينه حربة، وقد عقد في يساره ثلاثين كأنه يحسب ثلاثمائة، وفي رأسه تاج، وهو راكب على وردون يحمله أربعة أفراس.

هذا ما كان عليه أصحاب فن أحكام النجوم. ويمكن أن تكون الصور التي كانت على الأبواب من هذا القبيل، وضعوها لغاية لهم اقتضتها صناعة فن النجوم والله أعلم).

ويقول القساطلي: (وكانت دمشق في كل أعصرها عظيمة قويّة مشيّدة الحصون ففي عصر اليونان والرومان كانت في غاية الإتقان على شكل مستطيل بيضوي محاطة بسور عظيم منيع ويخرقها من الشرق إلى الغرب الزقاق المستقيم وطوله نحو ميل وكان على جانبيه رواقان قائمان على أعمدة بين العمود والآخر بضع أذرع وقد ظهرت آثار هذه الأعمدة في سنة ١٨٦٣ وهم يحفرون اسس القشلة [القلعة التي عُرفت باسم القشلة العزيزية] التي بنوها في حي النصارى... وقد قال من زار تدمر أن الثنتين على هندسة واحدة. وكان لدمشق ثمانية أبواب من جهاتها الأربع. قال بعضهم:

دمشق في أوصافها جنّةُ خُلد راضية
أمـا تـرى أبوابهـا قد جُعلت ثمانية

ومـا تزال آثار السور مع الأبواب قائمة إلى أيامنا، وجاء في عيون التواريخ: وكان لليونان على كل باب عيد في السنة وهم الذين وضعوا الأرصاد

على حركات الكواكب وبنوا لهم معبداً في الموضع الذي هو اليوم الجامع [الأموي].

مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي ٢/ ٢٣٦، ٢٤٧
تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ١/ ١٥
الأعلاق الخطيرة (تاريخ مدينة دمشق) لابن شدّاد ٣٠
عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي
البداية والنهاية لابن كثير حوادث سنة ٧٥٣ هـ
صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي ٤/ ٩٢
نزهة الأنام في محاسن الشام للبدري ١٧
منادمة الأطلال لبدران ٤٢
الروضة الغنّاء في دمشق الفيحاء للقساطلي ١٦
دمشق الشام لسوفاجيه، تعريب البستاني، تحقيق العلبي ٤١
دمشق وأهميتها العمرانية والمعمارية لزهدي ١٢
مدينة دمشق للريحاوي ١٩٦٩ ص ٤٥
مدينة دمشق لصفوح خير ١٤٥
الشارع المستقيم لسميامجلة الإيمان ١٩٥٨، مجلة النعمة ١٩٦٠
مقالة باب توما لسميا مجلة الإيمان عدد أيار ١٩٥٨
معجم المنجد في اللغة والأعلام (قسم الأعلام)

اختلاف تسميات الأبواب ونسبتها إلى الكواكب عند المؤرّخين

ابن عساكر متوفى ٥٧١ هـ	ابن شدّاد متوفى ٦٨٤ هـ	ابن كثير متوفى ٧٧٤ هـ	القلقشندي متوفى ٨٢١ هـ	البدري متوفى ٨٩٤ هـ
باب كيسان لزحل	نفس ما ذكره ابن عساكر	نفس ما ذكره ابن عساكر	نفس ما ذكره ابن عساكر	نفس ما ذكره ابن عساكر
الباب الشرقي للشمس	نفسه	نفسه	نفسه	نفسه
باب توما للزهرة	نفسه	نفسه	نفسه	نفسه
الباب الصغير للمشتري	نفسه	باب الجابية الصغير للمشتري	نفسه	الباب الصغير للمريّخ
باب الجابية للمريّخ	نفسه	نفسه	نفسه	باب الجابية للمشتري
باب الفراديس لعطارد	نفسه	باب الفراديس الكبير لعطارد	نفسه	نفسه
باب الفراديس الآخر المسدود للقمر	نفسه	باب السلامة وكانوا يسمّونه باب الفراديس الصغير للقمر	الباب المسدود للقمر	باب الجنيق للقمر

الكواكب والآلهة التي نسبت إليها أبواب دمشق في العهدين اليوناني والروماني
(اعتماداً على ما ذكره ابن عساكر ومن تلاه من المؤرّخين)



هرمس إله التجّار عند الإغريق
يقابله ميركوري عند الرومان
ويمثّلهما كوكب عطارد
المنسوب إليه باب الفراديس



أفروديت ربّة الحب عند الإغريق
تقابلها ڤينوس عند الرومان
ويمثّلهما كوكب الزهرة
المنسوب إليه باب توما



آريس إله الحرب عند الإغريق
يقابله مارس عند الرومان
ويمثّلهما كوكب المرّيخ
المنسوب إليه باب الجابية



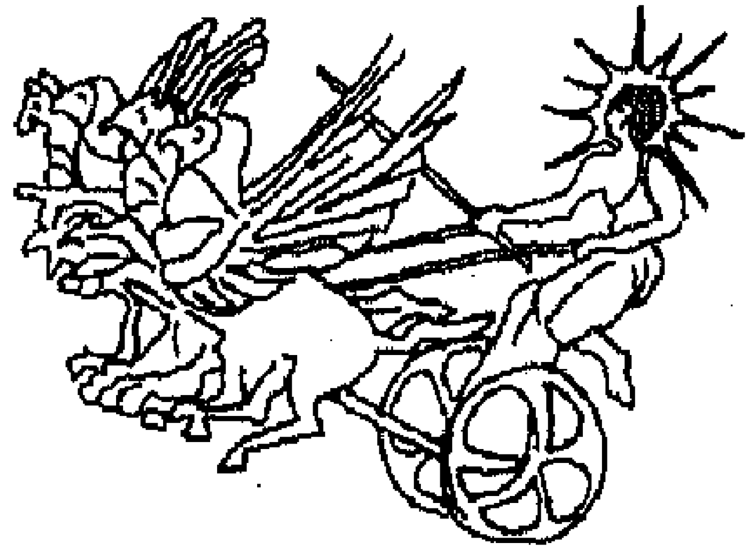
كرونوس إله الزمن عند الإغريق
يقابله ساتورن عند الرومان
ويمثّلهما كوكب زحل
المنسوب إليه باب كيسان



سيلينه ربّة القمر الإغريقية التي عرفت لاحقاً باسم أرتيميس تقابلها لونا عند الرومان ويمثّلهما كوكب القمر الذي نسب إليه باب الجينيق



زيوس كبير الآلهة عند الإغريق
يقابله جوپيتر عند الرومان
ويمثّلهما كوكب المشتري
المنسوب إليه الباب الصغير



هيليوس إله الشمس عند الإغريق
يقابله سول عند الرومان
وتمثّلهما الشمس
المنسوب إليها الباب الشرقي

دمشق العربية الإسلامية

في سنة (١٤) للهجرة حاصرت جيوش العرب المسلمين دمشق بقيادة خالد بن الوليد، فوزّع قواته على أبوابها وفق التالي:

١ - الباب الشرقي: نزل عليه خالد بن الوليد واقتحمه عنوة بعد قتال، وهو الباب الوحيد الذي فتح بالسيف. لم يختلف المؤرخون في أن خالد نزل على هذا الباب، لكن الصفدي أضاف إليه اسم شرحبيل بن حسنة وأشار إلى دخوله برفقة خالد.

٢- باب الجابية: نزل عليه أبو عبيدة بن الجرّاح ودخل منه صلحاً. وقد اختلف بعض المؤرّخين القلّة فقالوا أن خالد دخل صلحاً وأعطى العهد للناس بالأمان، وأن أبا عبيدة دخل حرباً، وهذا وهم والصواب ما ذكرناه.

٣- باب توما: تباينت الروايات حول من نزل عليه، ففي حين يذكر الواقدي: نزل عليه القائد شرحبيل بن حسنة، يقول اليعقوبي والبلاذري أنه عمرو بن العاص، ويلتزم ابن كثير جانب الحذر خشية الغلط فيقول: نزل عمرو بن العاص و شرحبيل بن حسنة على بقيّة أبواب المدينة (عدا بابي الجابية والشرقي).

٤- باب كيسان: نزل عليه يزيد بن أبي سفيان كما نزل على الباب الصغير على قول البلاذري، بينما خصّه كل من الواقدي واليعقوبي وابن كثير بالباب الصغير ولم يذكروا باب كيسان.

٥- الباب الصغير: نزل عليه يزيد بن أبي سفيان شقيق الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان، واتّفق المؤرّخون على ذلك، إلا أن البلاذري أضاف إليه باب كيسان.

٦- باب الفراديس : نزل عليه شرحبيل بن حسنة على حسب قول البلاذري ، بينما يذكر الواقدي أنه عمرو بن العاص . ويضيف عبارة غامضة : (نزل قيس بن هبيرة على باب الفرج)؟ ومن المعروف أن باب الفرج هذا فتحه نور الدين الشهيد ولم يكن قائماً قبل ذلك .

٧- باب الجينيق : لم يذكر المؤرّخون نزول أحد من القادة عليه ، ويظهر أنه كان مسدوداً زمن الفتح .

وفتح العرب المسلمون المدينة وحرّروها من الحكم البيزنطي بعد حصار دام شهرين وعشرة أيام وقيل بل أكثر من ذلك ، وكان سورها خلال العهدين الروماني والبيزنطي قوياً متيناً مشيّداً من حجارة ضخمة لا يمكن زعزعتها ، فحافظ العرب عليه طوال العهد الراشدي . وما أن تولّى الخلافة معاوية بن أبي سفيان سنة (٤١ هـ/ ٦٦١ م) وصارت دمشق عاصمة للدولة الأموية ، حتى ضرب الجيش خيامه خارج الأسوار والأبواب القديمة التي بقيت سالمة لأن دخول العرب المسلمين إلى المدينة كان صلحاً ، وحتى الباب الشرقي نفسه لم يُقتحم بل فتحه من الداخل أصحاب خالد بعدما نزلوا عليه . كما سلمت الأسوار من التهدم وبقيت بحالتها المنيعة للأسباب الذي ذكرت . وبتصوّري أن استتباب الأمن واستقرار الحكم وزوال خطر الغزو الخارجي ساعد كثيراً في بقاء السور والأبواب بحالة عمرانيّة مستقّرة . ونتيجة لهذا الإستقرار إلى جانب رخاء البلاد الإقتصادي ، بدأ نمو المدينة واتساعها خارج الأسوار ، فظهرت مراكز وأحياء سكنية في ضواحيها وأطرافها عُرفت بمنازل القبائل ، كما امتد البناء على ضفاف بردى وسفوح قاسيون الجنوبية .

وجاء العهد العبّاسي بالويلات على السور والأبواب ، ففي سنة (١٣٢هـ) وجّه العبّاسيون جيوشهم بقيادة عبد الله بن على لاحتلال دمشق وإنهاء

الحكم الأموي فيها، فضربوا حولها الحصار، وتمركّزت قوّاتهم عند الأبواب، وكان من نصيب كل باب أن نزل عليه:

١- الباب الشرقي: عبد الله بن علي.

٢- باب توما: حميد بن قحطب

٣- باب كيسان: أبو عون.

٤- الباب الصغير: بسّام بن إبراهيم.

٥- باب الجابية: صالح بن على شقيق عبد الله بن على.

٦- باب الفراديس: عبد الصمد بن على، ويحيى بن صفوان، والعبّاس بن يزيد.

وكان أول من صعد السور من ناحية الباب الشرقي رجل يقال له عبد الله الطائي، ومن ناحية الباب الصغير بسّام بن إبراهيم.

وصبّ عبد الله بن على جام غضبه على المدينة فاستباحها ثلاث ساعات وأعمل في أهلها السيف حتى قيل انه قُتل بها في هذه المدّة نحواً من خمسين ألفاً، ثم نبش قبور الأمويين وأحرق جثثهم ثم درسها، وتحولّ إلى السور فهدم قسماً كبيراً منه كما ذكر المؤرّخون، وقيل بل نقضه حجراً حجراً.

قلت: والرأي حول نقض عبد الله للسور حجراً حجراً فيه شيء من المبالغة لأن الحجارة الرومانية الضخمة في قاعدته ما زالت متبقّية إلى اليوم منذ ذلك العصر.

ويذكر ابن عساكر أن السبب في احتلال العبّاسيين لدمشق يرجع إلى اختلاف أهلها فيما بينهم بسبب اليمانيّة والمضريّة، كما يذكر البعض أنهم اختلفوا ما بين عبّاسي وأموي.

كان عبد الله بن على يهدف من وراء هذا الهدم إذلال أهل المدينة انتقاماً من الأمويين من جهة، ومنعهم من الثورة على الدولة العبّاسية إذا فكّروا بذلك فلا

أسوار تحميهم من جهة أخرى . أما ماذا حلّ بالأبواب في تلك الفترة فلا نعلم عنه شيئاً ولم ترد في المصادر المطبوعة أية معلومات عنها .

ومن غريب ما أورد ابن عساكر نقلاً عن آخرين قوله : (قدم عبد الله دمشق وحاصر أهلها ، فلما دخلها هدم سورها ، فوقع منها حجر كان عليه مكتوب باليونانية . فأرسلوا خلف راهب ، فقالوا له تقرأ ما عليه؟ فقال جيئوني بقير فطبع على الحجر فإذا عليه مكتوب : [ويك ارَمَ الجبابرة ، من رامك بسوء قصمه الله . إذ وهى منك جيرون الغربي من باب البريد ، ويلك من الخمسة أعين ، نقض سورك على يديه بعد أربعة آلاف سنة تعيشين رغداً ، فإذا وهى منك جَيرون الشرقي أُديل لك ممن تعرض لك] . قال : فوجدنا الخمسة أعين : عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب . عين بن عين بن عين بن عين بن عين) .

ومنذ الإحتلال العبّاسي فقدت دمشق قدرتها على العمران الحربي ، كتحصين السور والأبواب ، فلم يكن مسموحاً لها بذلك للأسباب التي ذكرت ، فأخذ السور يتساقط وينهار ويخرج عن خط سيره الروماني القديم ، ناهيك عن إهمال العبّاسيين المتعمّد لهذه المدينة ، والثورات المتتابعة التي قامت فيها أيام الاخشيديين والفاطميين والسلاجقة ، وتنازع هؤلاء جميعاً عليها ، مما زاد في تفاقم أزمة التدهور والإنحطاط وتراجع العناية بالسور والأبواب . وهكذا انتهى العصر الذهبي لدمشق وغدت مدينة ثانوية مهملة في أطراف الدولة العبّاسية .

ويذكر المقدسي المتوفى سنة (٣٨٠ هـ) أبواب دمشق فيقول : (الذي عرفت من دروبها باب الجابية باب الصغير باب الكبير باب الشرقي باب توما باب النهر باب المَحَامليّين) .

قلت : وقع المقدسي في التباس مركّب ، فالباب الكبير تسمية تطلق عادة على باب الجابية وقد ذكر هذا الأخير في تعداده ، وباب النهر لم يذكره أحد من

المؤرّخين ، ولعلّه كان يقصد واحداً من الأبواب الواقعة على نهر بردى وهي : باب السلام وباب الفراديس وباب الفرج ، ثم يذكر باب المحامليّين ولم يرد اسم هذا الباب في أي من المصادر التي بحثت سوى أن (المحاملين عند جسر المصلّى) ، ذكره ابن القلانسي في ذيل تاريخ دمشق [طبعة مصر ، ص ٨] ولم يحدّد موقعه .

ولم تزوّدنا المراجع التاريخية بأيّة معلومات حول ما فعله الطولونيون والإخشيديون والفاطميون بسور دمشق وأبوابها بعد احتلالهم لها ، وأغلب الظن أنهم لم يفعلوا شيئاً لقصَر زمن بقائهم بها وبالتالي فَقْد الإستقرار الذي يتطلّب العناية بالمنشآت الدفاعية ، فقد كانت الثورات تقوم فيها بين حين وآخر .

وما أن جاء العهد السلجوقي حتى بدأت الحياة تدبّ شيئاً فشيئاً في المدينة رغم كل ما يشاع عن مساوىء ذلك العهد والصراعات الداخلية التي كانت تقوم فيه بين حين وآخر ، فأُنشئت قلعة دمشق عند الزاوية الشمالية الغربية من السور سنة (٤٧٠ هـ) ، وكانت واسطة دفاعية هامة تتطلّبها الإحتياجات الأمنية ، وفُتح فيها باب يفضي إلى خارج المدينة عرف باسم (باب الحديد) لكنّه لا يعتبر من أبواب دمشق لأنه لا يفضي إلا إلى داخل القلعة ، ويعتقد أن (باب الجِنان) الذي فُتح في الجهة الغربية من المدينة وعرف فيما بعد باسم باب النصر قد تمّت إقامته في ذلك العهد .

وتعرّضت دمشق أيام السلاجقة إلى ثلاث حملات صليبية فشلت في اقتحام أسوارها ، كانت الأولى سنة (٥٢٣ هـ) بقيادة بودوين الثاني ملك القدس وصاحب طرابلس وصاحب أنطاكية وغيرهم ، ورحلوا عنها في نفس السنة . والثانية سنة (٥٤١ هـ) بقيادة لويس السابع ملك فرنسا وكونراد الثالث امبراطور ألمانيا ولم تتمكّن من دخولها فعادت أدراجها . وبعد عامين أي في سنة (٥٤٣ هـ) عاد الصليبيون إلى حصارها دون جدوى .

وفي سنة (٥٤٩ هـ) قامت الدولة الأتابكية النورية على أنقاض الدولة السلجوقية، ودخل دمشق السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي (الملقّب بالشهيد) وهو من أتابكة السلاجقة، وبدأ عهد تحصين المدينة وترميم السور وتدعيم ما تهدّم منه أيام الفتن والحروب سيّما وأن موجات الغزو الصليبي كانت تتهدّدها بشكل دائم - وهناك من يعتقد بأن السلاجقة قبل عهد نور الدين هم الذين قاموا بترميم السور عندما بنوا قلعة دمشق - فأقيمت فيه الأبراج المستديرة على النمط الروماني والبيزنطي (وما زال برج نور الدين ماثلاً إلى الجنوب من جامع سنان باشا في حي السنانية اليوم)، كما فتحت فيه أبواب لم تكن قائمة من قبل كبابي الفرج والسلامة (باب السلام) وتمّ سُدّ باب كيسان وإكمال بناء ما كان متهدّماً من السور بينه وبين الباب الصغير.

قلت: أعتقد أن السبب الرئيسي في سدّ باب كيسان كان عسكرياً بحتاً وهو الإقلال من عدد الأبواب التي قد تتعرّض للإختراق إذا ما هاجم العدو المدينة من جهة الجنوب، خصوصاً وأن منطقته كانت شديدة التحصين بالأبراج الدفاعية التي انتشرت بينه وبين الباب الشرقي.

لكل ما ذكرت اعتُبر نور الدين أعظم من عني بالسور وتحصيناته وبترميّم ما كان منه متهدّماً، لأن متطلبات الدفاع عن المدينة كانت تفرض عليه حتمية هذا الأمر، وكان لاهتمامه بالأبواب هدفان:

١ - الهدف الدفاعي: جعل لكل باب مسجداً أحدثه أو جدّده، كما أقام فوق الأبواب مآذن يمكن بواسطتها مراقبة العدو من مكان مرتفع إذا ما حاول الإقتراب من المدينة، خصوصاً وأن الحملات الصليبية كانت تهددها في كل وقت. وكانت دمشق قد تعرّضت لحملتين فاشلتين، الأولى سنة (٥٢٢ هـ/ ١١٢٨م) والثانية سنة (٥٤٣ هـ/ ١١٤٨م). وما يزال بعض من هذه المساجد قائماً إلى اليوم

وبعضها الآخر زال. ومن المساجد الباقية مسجد الباشورة عند الباب الصغير، ومسجد باب الفرج. ومما زال أو أزيل مسجد باب توما، ومسجد الباب الشرقي، ومسجد باب كيسان.

٢- الهدف الإقتصادي: جعل لكل باب في السور (باشورة)، وهي طريق منعطف متعرِّج متّصل بالباب من خارجه وله بوّابة ضخمة متينة، كباشورة الباب الشرقي التي زالت أواخر القرن التاسع عشر الميلادي أو في بدايات العشرين، وباشورة باب الجابية التي كانت سويقة ضيّقة صغيرة الحوانيت وكانت تجاور مسجد سنان باشا الحالي ولها باب ضخم في أعلاه كتابات منقوشة بالحجر أنه أمر بعمارتها نور الدين سنة ستين وخمسمائة. كما كان للباب الصغير من خارجه باشورة مزوّدة بباب هدم في العهد العثماني، وما زال المسجد القائم اليوم عند هذا الباب يحمل اسم: (مسجد الباشورة).

ودرج المماليك على بناء الباشورات أمام أبواب دمشق كما فعلوا يوم إعادة فتح باب كيسان. وقد تجعل الباشورة بين بابي البلد الداخلي والخارجي كما هو الحال داخل بابيّ الفرج، وكان الغرض من إقام الباشورات عرقلة هجوم العدو واختراقه وتسهيل القضاء عليه. وهي أيضاً سوق صغيرة تهدف إلى تنشيط الحركة التجارية في المدينة أيام السلم، كما يجد فيها المدافعون عن الباب أيام الحصار وإقفال الأبواب ما يلزمهم من المؤن.

واستمرت العناية بسور دمشق في العهد الأيوبي بعد أن سيطر الملك الناصر السلطان صلاح الدين على المدينة سنة (٥٦٩ هـ)، فرمّمت وجدّدت بعض الأبواب وشُيِّد برج (الملك الصالح أيوب)، ويمكننا أن نعتبر كلاً من باب توما وباب السلام وباب الفراديس حصينة وجيدة البناء من ذلك العصر، فقدكان الخطر الصليبي ما يزال قائماً يتهدّد دمشق، وفي هذا الصدد يقول د. المنجّد: (قدّر

لتحصين السور وترميمه في سنة ٦١٨ هـ مائتا ألف دينار، فدُعّم وحُصّن وبنيت الأبراج فيه على النمط الروماني والبيزنطي، وفُتحت أبواب جديدة لم تكن من قبل، وبنيت في فترات مختلفة قلعة دمشق العظيمة، ثم يقول: والسور في حالته الحاضرة كلّه من تقريباً من عمل الدولة النورية والدولة الأيوبية في بنائه وفي تخطيطه. وهو لا ينطبق مع سور المدينة الروماني القديم إلا في طرفه الشمالي الواقع على طرف نهر عقربا من باب السلام إلى الزاوية الشمالية الشرقية منه. وينطبق معه أيضاً في قسم من طرفه الشرقي عند الباب. أما أبوابه، فعدا الأبواب الإسلامية المحدثة كباب الفرج وباب النصر وباب السلام، فكلها تشير إلى أماكن الأبواب الرومانية القديمة. ونلاحظ في هذا العهد أن السور قد نما وتكامل واتّسع واتّخذ شكلاً هو أقرب إلى الدائرة منه إلى المستطيل المنتظم. ويصعب معرفة خطوات هذا الإتساع بصورة دقيقة، على أننا يمكننا أن نجزم أنه قد أعيد دعمه كلّه في القرن السادس الهجري - الثاني عشر الميلادي - لأن السور يحتوي على عدد كبير من الأبراج التي بنيت على شكل نصف دائرة، وهو نموذج أهمله المعماريون الشاميون في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي. ويستطرد د. المنجّد فيقول: ولم يطرأ على السور تعديل في تخطيطه بعد نور الدين إلا في طرفه القائم بين باب الفرج وباب الفراديس. فقد دُفع السور نحو ضفّة بردى في النصف الأول من القرن الثالث عشر، وأُبقي الجدار الأول الذي كان عليه من قبل والذي قام على الأساس الروماني القديم. وهذا يُستدل من وجود أبواب مضاعفة، وزقاق يمتد بين هذين البابين، بين المناخلية والعمارة الجوّانية، يسمى زقاق بين السورين).

عدّد مؤرّخ دمشق الكبير ابن عساكر ومن بعده ابن شدّاد والقلقشندي وغيرهما هذه الأبواب وذكروا تسمياتها ونسبتها إلى صفاتها وأربابها كالتالي:

١ - الباب القبلي المعروف بالباب الصغير. سمّي بذلك لأنه كان أصغر أبوابها حين بنيت.

٢- الباب الذي يليه من القبلة بشرق يعرف بباب كيسان. ينسب إلى كيسان مولى معاوية. وذكر هشام بن محمّد الكلبي أنه منسوب إلى كيسان مولى بشر ابن عبادة بن حسّان بن جبار بن قرط الكلبي. وهو الآن مسدود.

٣- الباب الشرقي. سمّي بذلك لأنه شرق البلد. وكان ثلاثة أبواب: باب كبير في الوسط، وبابان صغيران من جانبيه. سدّ منها الكبير، والباب الصغير الذي من قبلته، وبقي الصغير الشمالي.

٤- باب توما، من شمال البلد. ينسب إلى عظيم من عظماء الروم اسمه توما، وكانت له على بابه كنيسة جُعلت بعد ذلك مسجداً.

٥- باب الجينيق من الشمال أيضاً. منسوب إلى محلّة الجينيق، وهي محلّة كبيرة كانت بها كنيسة فجعلت بعد مسجداً. وهو الآن مسدود.

٦- باب السلامة، من شمال البلد أيضاً. سمّي بذلك تفاؤلاً لأنه لا يتهيأ القتال على البلد من ناحيته لما دونه من الأنهار والأشجار.

٧- باب الفراديس، من شماله أيضاً. منسوب إلى محلّة كانت خارج الباب تسمّى الفراديس هي الآن خراب. وكان للفراديس باب آخر عند باب السلامة فسدّ. والفراديس بلغة الروم البساتين.

٨- باب الفرج، من شآمه أيضاً. محدث أحدثه الملك العادل نور الدين وسمّاه هذا الاسم تفاؤلاً لما وُجد من التفريج بفتحه. وكان بقربه باب يسمّى باب العمارة فتح عند عمارة القلعة ثم سُدّ بعد. وأثره باق في السور.

٩- باب الحديد، من شآمه أيضاً. هو الآن خاصّ بالقلعة التي أحدثت غربي البلد في دولة الأتراك. سمّي بذلك لأنه كلّه حديد فقيل الباب الحديد، ثم تركت الألف واللام تخفيفاً.

١٠ - باب الجِنان، من غربي البلد سمّي بذلك لما يليه من الجِنان، وهي البساتين، وقد كان مسدوداً ثم فُتح.

١١ - باب الجابية، من غربي البلد منسوب إلى قرية الجابية، لأن الخارج إليها يخرج منه لكونه مما يليها، وكان ثلاثة أبواب: الأوسط منها كبير ومن جانبيه بابان صغيران على مثال ما كان الباب الشرقي. وكان من الثلاثة أبواب ثلاثة أسواق ممتدّة من باب الجابية إلى الباب الشرقي. كان الأوسط من الأسواق للناس وأحد السوقين لمن يُشرّق بدابّته والثاني لمن يغرِّب بها، حتى أنه كان لا يلتقي فيها راكبان. فسُدّ الباب الكبير والشمالي منها، وبقي القبلي إلى الآن.

وفي السور أبواب صغار غير ما ذكرنا تفتح عند وجود الحاجة منها:

١ - باب في حارة الخاطب، يعرف بباب ابن اسمعيل. [كان بين بابي كيسان والصغير].

٢- باب في المربّعة.

قلت: تشير مقولة ابن عساكر إلى أن باب الحديد كان من أبواب مدينة دمشق، ومما يؤكّد هذه الإشارة عبارتان هما:

١ - ذكْره للباب في سياق أبواب المدينة.

٢ - قوله: وهو الآن خاصّ بالقلعة.

هذا ولم استطع التوصّل إلى ما يقصده ابن عساكر بـ(باب في المربّعة)، لأن المربّعات في عصره كانت تعني تلاقي شارعين متعامدين، ولم يكن منها داخل البلد إلا أربع ذكرها كالتالي: مربّعة بطرف درب الحجر - عند تقاطع الشارع المستقيم بجادة باب توما اليوم - ثم مربّعة القزّ؟ ومربّعة القطن - لعلها كانت عند سوق القطن؟ وأخيراً مربّعة لم يذكر اسمها، ومن المستحيل على أي منها أن يكون لها باب يفضي إلى خارج السور.

وبحلول سنة (٦٥٨ هـ) سيطر المماليك على سورية، وصارت دمشق العاصمة الثانية للدولة المملوكية بعد القاهرة، وكانت هذه المدينة بأمسّ الحاجة إلى الحماية والدفاع ودعم الأسوار والأبواب، وهي ضرورة فرضتها غزوات المغول والتتار وتهديد الصليبيين لها، ولما كانت هذه الأسوار دائمة الترميم في العهدين النوري والأيوبي، فقد استلمها المماليك على طبق من ذهب ولم يكونوا بحاجة إلى صيانتها أو ترميمها إلا بين وقت وآخر، ففي السنة المذكورة قام الأمير الكبير سَنْجَر الحلبي أول نائب للسلطنة بدمشق بعد أن نصّب نفسه فيها وتلقّب بالملك المجاهد بترميم السور وتحصينه، ثم شرع بتجديد عمارة القلعة، وفي سنة (٧١٧ هـ) جاء برق ورعد ومعهما بَرَد ومطر، فسالت الأودية، وجاء سيل هائل خَسَفَ من سور البلد من جهة الشمال الشرقي مقدار أربعين ذراعاً، وحمل برجاً صحيحاً، ودفع ذلك كلّه إلى غربي المدينة، فأعاد ولاة المماليك بناءه.

قلت: ومن أغرب ما فاجأني من مؤلفات العهد المملوكي معجم جغرافي بعنوان (الروض المعطار في خبر الأقطار) لمحمد بن عبد المنعم الحِمْيَري المتوفى حوالي سنة (٩٠٠ هـ) عندما تحدّث عن دمشق فقال: (وسور دمشق تراب، ولها أربعة أبواب: الباب الغربي وهو باب الجابية، والباب الجنوبي ويسمّى باب توما ويقال له اليوم باب المصادمة؟ والباب الشرقي وهو باب الغوطة، ومن الباب الشرقي دخل خالد بن الوليد ومنه فتح دمشق، والباب الشمالي هو باب الفراديس وهو باب كيسان!).

ومقولة الحِمْيَري هذه لا تعدو كونها جملة من الأغلاط المركّبة، فدمشق في ذلك العهد كان لها تسعة أبواب مفتوحة وواحد مسدود. ثم إن باب توما هو من الأبواب الشمالية وليس الباب الجنوبي كما يزعم، ثم من أين أتى بتسمية باب المصادمة؟ إذ لم أجد في أي من المراجع من يذكرها. بعدها يخلص إلى القول بأن

باب الفراديس هو باب كيسان ! والواقع أن الأول في الجهة الشمالية للسور، والثاني في الجهة الشرقية منه، ولم يكونا في يوم من الأيام باباً واحداً.

وانهارت دولة المماليك أمام جحافل العثمانيين بعد معركة (مرج دابق) سنة ٩٢٢ هـ واحتُلَّت دمشق، وأخذ السور بالإنهيار وبالتهدّم والزوال، فلم تعد إليه حاجة بعد تطوّر آلة الحرب ودخول البارود في حيّز الإستعمال من جهة، وقوّة هذه الدولة ومنعتها تجاه أي عدوان خارجي من جهة أخرى. وحول السور والخندق والأبواب في العهد العثماني:

- يقول د. المنجّد: (كان من جرّاء إهمال العثمانيين أن خُرِّبت أقسام من القلعة، وظهرت فيها أقسام جديدة، وهدمت بعض أبواب السور، وهدم قسم كبير من السور نفسه. واقتحمت المساكن جدرانه الشاهقة وقامت فوقها، وأخذت حجارة منه ومن القلعة وبنيت بها مبان أخرى. أما الخندق المحيط بالسور فقد غصّ بالأتربة من أكثر جوانبه.

وهكذا اعتبرت بداية العهد العثماني نهاية السور في دمشق.

قلت: ومن المسبّبات الأخرى لخراب السور بين حين وآخر: العوامل الطبيعية كالأمطار الشديدة، والسيل الجارف، والزلازل، والصواعق، ثم على المدى البعيد: الرطوبة، وتفاوت درجات الحرارة، ومن الأسباب المفتعلة: الحروب، والهدم والتخريب والإهمال.

- ويذكر الحصني: (أن دمشق مسوّرة بسور عظيم منيع فيه أبواب حديدية ضخمة، وبقي سورها وأبوابها إلى زمن ابراهيم باشا المصري سنة ١٨٤٠م [وهذا التاريخ خطأ صوابه ١٨٣١م] فسلّمه السكّان مفاتيح المدينة عندما فتحها ودخل من بوّابة الله - ساحة الأشمر في آخر حي الميدان اليوم - مع حاكم لبنان الأمير بشير الشهابي الكبير وولده الأمير خليل، وأمّن الأهلون فبقي الآن بعض السور

والأبواب وحوله خندق عميق الحصار).

- كذلك يقول د. نعيسة: (وهناك إشارات عديدة وردت في سجلات محاكم دمشق إلى هذا السور مع الخندق الذي كان يطوّقه، وأنهما قد صمدا في وجه المهاجمين. وكان الخندق يفصل دار السعادة عن المدينة ومحلّة الحدرة والدرويشية المسماة الإخصاصية من الغرب، وكان السور مع الخندق يتّجهان من الغرب إلى الشرق بمحاذاة جنوب القلعة ليطوّقا سوق الأروام. وفي هذا الجزء يساير خندق القلعة الجنوبي إلى رأس السوق الجديد وبه الدرج، ثم يواصل امتداده فيطوّق القلعة من غربها ويمتد إلى أن يتصل بيسار مجرى النهر من ناحية الشمال، إلى باب السلام حيث يقع داخله سوق النحاسين وزقاق بني حمزة والبارزي، ويسير الخندق إلى الشرق من المدينة وهو عبارة عن مجرى النهر نفسه فيطوّقها من ناحية الشمال فيحتضن حارة الجورة ومحلّة النصارى والمسبك الجوّاني ويتابع سيره شمالاً فجنوباً فيطوق حارة باب توما ثم ينعطف بعد ذلك بانحناء نحو الجنوب ثم يسير شرقاً بغرب فيطوّق حي الأمين فالشاغور الجوّاني، ويلتف من الشرق إلى الغرب ليلتقي بما ذكرناه في البداية فيطوّق دمشق من ناحية الغرب، ولقد استخدم الخندق مصرفاً للماء المالح في دمشق حيث يفضي إلى نهر بردى).

قلت: من الثابت أثريا وتاريخياً أن دار السعادة كانت داخل السور في موضع سوق الأروام الحالي، واعتقد أن في النص خطأ مطبعي صوابه: (وكان الخندق يفصل دار السعادة والمدينة عن الحدرة والدرويشية وكذلك عن القلعة). أما الحدرة فهي منطقة الزرابلية اليوم. والسوق الجديدة هي القسم الشرقي من سوق الحميدية مما يلي العصرونية. وذلك استناداً إلى خارطة مديرية الآثار العامة التي وضعها د. المنجّد لدمشق القديمة.

ويتابع د. نعيسة القول: (ولقد أقفلت أبواب السور في الملمّات، ففي سنة

١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م لاذ أبناء حي باب المصلّى والسويقة بالمدينة بعد أن قام أسعد باشا العظم بضرب قوّات اليرلية في حي الميدان. وعندما هدّد عبد الله باشا العظم الوالي المعزول بمهاجمة المدينة في سنة ١٢١٨ هـ/ ١٨٠٣م قامت قوات الينكجارية بالتحصّن داخلها وحرسوا أبوابها بوضعهم [قلق] مفرزة حراسة على كل باب. وقام سكّان الحارات الخارجية بالإنتقال إلى داخلها [داخل دمشق القديمة] خوفاً على أرواحهم وممتلكاتهم. وعندما عزل الوالي الكنج يوسف باشا في سنة ١٢٢٥ هـ/ ١٨١٠ - ١٨١١م انتقل أهل القرى والميدان وغالب البلد إلى داخل السور خوفاً من النهب. وفي عهد ابراهيم باشا المصري لم يبق السور على حاله بل زالت بعض أجزائه الجنوبية والغربية وبدأت تقتحمه بيوت السكن مما أدى إلى ضياع معالمه واستخدمت حجارتها في بناء ثكنات الجيش المصري الكائنة غرب دار السعادة، مما يدل على أن السور قد فقد أهميته العسكريّة).

وأسعد باشا العظم: والي دمشق العثماني خلال السنوات ١١٥٦ هـ - ١١٧٠ هـ، ومن بصماته العمرانية الباقية إلى اليوم قصر العظم (متحف التقاليد الشعبية الحالي)، وخان أسعد باشا وكلاهما في سوق البزورية.

واليرليّة: هم جنود الإنكشارية المحليّة ويتشكّلون من قوات (القابي قول) أي عساكر السلطة النظاميون والمرسلون من استنبول أصلاً والمقيمون في قلعة دمشق، لكنهم تخلّوا عن نظامهم طلباً للرزق، ثم من عناصر متطوّعة محلية تسعى للحصول على الإمتيازات، ومن الطبيعي أن يحدث صدام دائم بين هاتين القوّتين لتضارب مصالحهما.

وعبد الله باشا العظم: والي دمشق العثماني ثلاث مرّات خلال السنوات ١٢٠٥- ١٢١٣ هـ و١٢١٤- ١٢١٧هـ و ١٢١٩ - ١٢٢٢ هـ. وهو الذي بنى مدرسة عُرفت باسمه، ولا زال البناء قائماً إلى اليوم في زقاق بين البحرتين الممتد

بين حيّ الحريقة وقصر العظم.

واليَنكجاريّة أو اليَنكجريّة هم: الإنكشارية، والكلمة تركية تعني الجيش الجديد، وتتألف من (يني) أي جديد أو مُحدث، و(تشري) بمعنى جيش أو جند أو عسكر.

فتوح الشام للواقدي ٧٠

فتوح البلدان للبلاذري ١٦٥

تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٤٠

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ١/ ١٥، ٢/ ١٨٥

الأعلاق الخطيرة لابن شدّاد ٣٠.

البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٢٤، وحوادث سنة ١٣٢ و٦٠٢

تحفة ذوي الألباب للصفدي ١/ ٧٥

الكامل في التاريخ لابن الأثير ٤/ ٣٣٠

نزهة الأنام في محاسن الشام للبدري ١٧

الروض المعطار في خبر الأقطار للحِميَري ٢٣٧

صبح الأعشى للقلقشندي ٤/ ٩٢

المواكب الإسلامية لابن كنّان ١/ ٢٠٨

الروضة الغنّاء في دمشق الفيحاء للقساطلي ١٧، ٣٦

منتخبات التواريخ لدمشق للحصني ج ٣/ ١٠٧٥

الحروب الصليبيّة للحريري ٦٧، ٨٥

تاريخ العرب لحتي ٧٢٥

دمشق القديمة للمنجّد مديرية الآثار ١٩٤٥

خطط دمشق للمنجّد ٦٤، ٦٥

ولاة دمشق في عهد المماليك لدهمان ٥٦

مأساة سقوط دمشق ونهاية الأمويين للمنجّد ١١

دمشق في عصر المماليك لزيادة ٩١

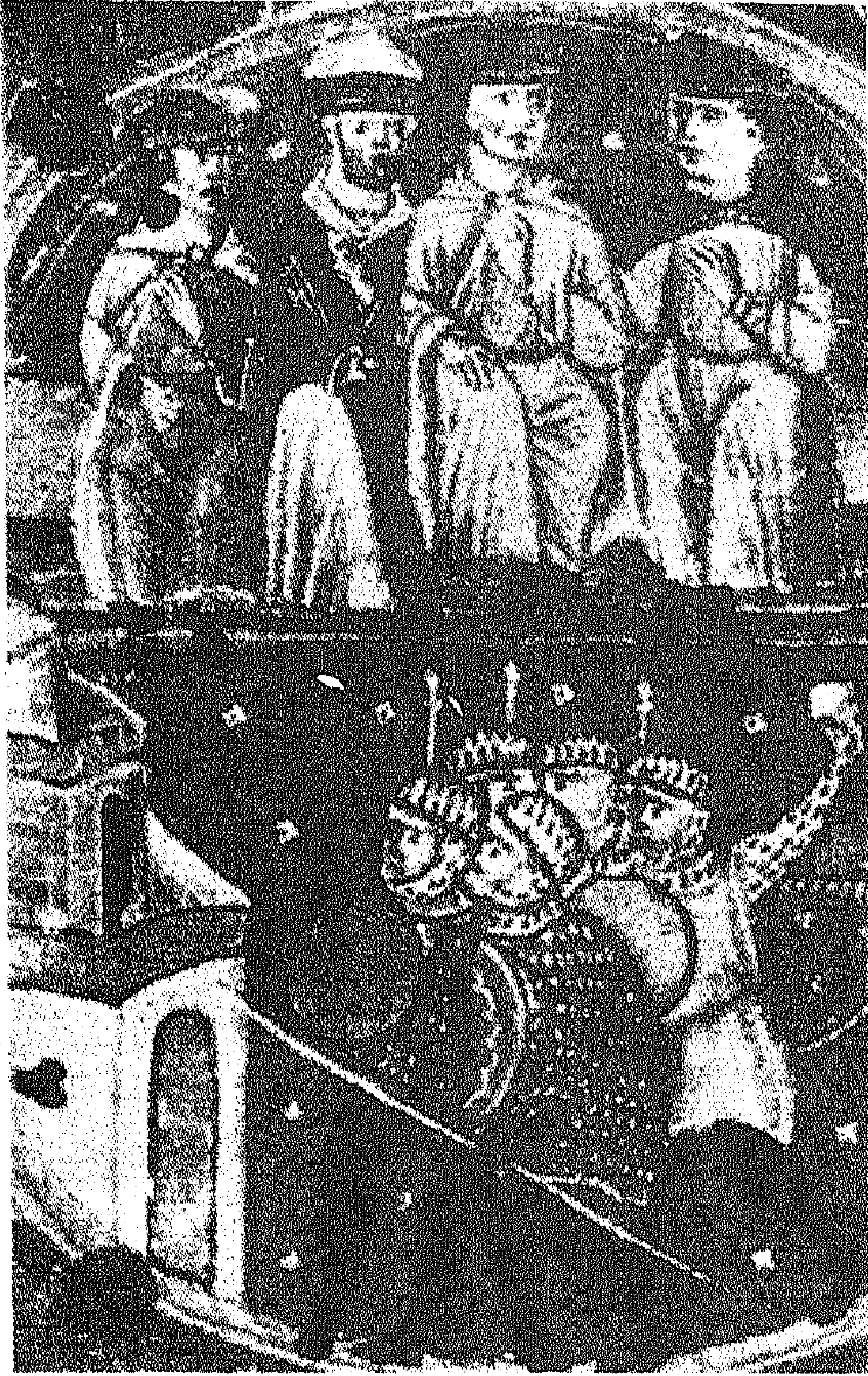
مجتمع مدينة دمشق لنعيسة ١/ ٧٦، ٢٣٨

مدينة دمشق لصفوح خير ١٥٨

العمارة العربية الإسلامية للريحاوي ١٢٢

دمشق تاريخ وصور للشهابي ط٢ ١٩٩٠ ص ٣١٨

أسواق دمشق القديمة للشهابي ١٩٩٠



حصار دمشق في الحملة الصليبية الثانية سنة (٥٤١ هـ/ ١١٤٧م)

في أعلى الصورة:

لويس السابع ملك فرنسا

كونراد الثالث ملك ألمانيا (في الوسط)

(عن منمنمة من مخطوطة أخبار غليوم الصوري في المكتبة الوطنية بباريز)



مدالية جصيّة تمثّل البطل السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي سيطر على دمشق وأسس فيها الدولة الأيوبية سنة (٥٦٩ هـ/ ١١٧٣م)، وهو الملك الناصر صلاح الدين أبي المظفّر يوسف بن الملك الأفضل نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان، ولد سنة (٥٣٢ هـ) ودخل في خدمة نور الدين الشهيد، ثم فتح مصر مع عمّه أسد الدين شيركوه سنة (٥٥٩ هـ)، وتوفى بدمشق ودفن فيها سنة (٥٨٩ هـ).

- كما تخيّله الفنان الراحل (محمود جلال) -



النصب التذكاري لصلاح الدين الأيوبي
صممه الفنّان د. عبد الله السيّد عام ١٩٩٢م
وأقيم أمام الباب الغربي لقلعة دمشق المعروف
في المصادر التاريخيّة باسم: باب السرّ
(بعدسة المؤلّف صيف عام ١٩٩٦م)





فرسان من المماليك
(عن كتاب حملة ابراهيم
باشا للجنرال ويغان)



السلطان العثماني سليم خان الأول احتلّ سورية بعد أن هزم المماليك في معركة (مرج دابق) سنة (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م)

- ولد سنة ٨٧٢هـ
- تولّى السلطنة العثمانية سنة ٩١٨ هـ
- توفي سنة ٩٢٦ هـ



معركة (مرج دابق) بين المماليك والعثمانيين كما رسمها فنان تركي
(عن كتاب عثمانلي تاريخي لأحمد راسم)



إبراهيم باشا المصري

قائد مصري وابن محمد علي باشا الكبير والي مصر في العهد العثماني ولد سنة (١٧٨٩م) وانتصر على الوهّابيين في الجزيرة العربية سنة (١٨١٨م) واحتلّ فلسطين وسورية سنة (١٨٣٢م) وهزم العثمانيين في قونية في نفس السنة وفي نصيبين سنة (١٨٣٩م)، ثم انسحب عائداً إلى بلاده مصر بضغط من الدول الأوروپية سنة (١٨٤٠م).

استهلّ احتلاله لدمشق عام ١٨٣٠م بنقض أجزاء كبيرة من السور وأعاد بناءها في أماكن أخرى كمبنى المستشفى العسكري في بوّابة الصالحية وغيره.

السور والإبواب والأبراج
عند الرحّالة والباحثين الأوروپيين والأجانب

كانت الأبراج في السور كثيرة وشاهقة وكذلك أبراج الأبواب، وقد رآها وذكرها عدد كثير من الرحّالة العرب المسلمين، والرحّالة الأوروپيين الذين زاروا دمشق ومنهم:

الإنكليزي السير جون موندڤيل Sir John Maundeville الذي وصف دمشق في القرن الرابع عشر للميلاد بأنها (مدينة كبيرة مليئة بالسكّان ويدور بها سور قوي مزدوج).

والإيطالي جورجو گوتشي Georgio Gucci في القرن الثامن للهجرة/ النصف الثاني من القرن الرابع عشر للميلاد وقد وصف الأسوار بقوله: (إن دمشق، الجزء المحاط بالأسوار منها، تبلغ مساحته ثلاثة أضعاف مساحة فلورنسة، ويدور بها سوران: أي أن هناك أولاً سوراً متيناً يبلغ ارتفاعه نحو ٣٠ ذراعاً ويزيد ارتفاعه وهو خارج الخندق، وثمة سور آخر يبعد عن الأول بين ١٥ و ١٦ ذراعاً ويزيد ارتفاعه عشرة أذرع عن السور الأول. والسوران محصّنان، إذ تقوم عليهما أبراج مستديرة كثيرة على أبعاد تبلغ خمسين ذراعاً في كل حالة. والأبراج أعلى من السورين. وحول السورين يوجد خندقان، داخلي وخارجي. والمدينة المذكورة حصينة جداً بأسوارها وخنادقها).

والرحّالة البورغوندي برتراندون دي لابروكيير Bertrandon de la Bropuièrre الذي زار دمشق في القرن الخامس عشر الميلادي وكتب يقول: (وتحيط الأسوار بالمدينة دون الضواحي).

ويذكر الرحّالة الفرنسي پيير بولون Pierre Belon du Mans في القرن السادس عشر للميلاد: (ولدمشق أسوار مزدوجة كما هو الحال في القسطنطينية [يقصد استانبول]، وليست خنادقها المملوءة بالماء على عمق كبير، وعلى كلا السورين أبراج كثيرة متقاربة، إذ أن كل برج مضلّع ضخم يقوم بين اثنين آخرين أصغر منه، وهما مستديران وأحدهما أكبر من الآخر، وأبواب المدينة مغطّاة بصفائح من الحديد، على عكس أبواب القاهرة المغطّاة بالجلد).

ويسرد الرحّالة الإيطالي ڤارتيما Ludovico Di Varthema أو الحاج يونس المصري كما كان يسمي نفسه بعض التفاصيل عن رحلته إلى دمشق وغيرها خلال السنوات ١٥٠٣ - ١٥٠٩م: (وثمة نصب في سور دمشق يقال أن القديس بولس كان محبوساً به، وقد أعاد المسلمون بناءه مرات عديدة، لكنّهم كانوا يجدونه إذا ما أشرق الصباح مهدّماً، فالملاك حطّمه عندما كان يسحب القديس بولس ليخرجه من محبسه).

وقال الرحّالة البرتغالي سيباستيان مانريكا Sebastien Manrique من القرن السابع عشر للميلاد: (ويحيط بالمدينة سور مزدوج متين).

وهناك الرحّالة الفرنسي الفارس لوران دارڤيو Laurent D'Arvieux من نفس القرن (١٧م) الذي كتب يقول: (وأسوار المدينة مزدوجة في جميع أجزائها تقريباً، ولها أبراج مربّعة كبيرة الحجم، وهذه الأخيرة تحاذيها أبراج مستديرة أصغر منها، ثم يتابع مقولته: على بعد خمسين خطوة [١٢٥ قدماً] من الباب الشرقي باتجاه الخنادق يقوم برج مربّع ضخم، منفصل ومعزول. وعلى جدران هذا البرج زهرتا زنبق وأسدان منحوتة بشكل بارز، وفي وسطها لوح كبير من الرخام منقوش بحروف عربية، ولم يكن لدي الوقت الكافي لنسخ هذه الحروف لأنه ليس من المسموح التوقّف لتفحّص الأسوار والإنشاءات التحصينية للمدينة).

ويعلّق الإيبش على ما ذكره دارڤيو فيقول: (البرج المذكور مجهول الهويّة ولا أعرف له أي أثر باق. وقد شاهد پورتر بقاياه وكان مهدّماً سنة [١٨٥٥م] كما حدّد موقعه على بعد ٨٠ خطوة [٢٠٠ قدم] من الباب الشرقي باتجاه الزاوية الجنوبية الشرقيةمن سور المدينة، واستطرد پورتر بقوله: إن هذا البرج بقي تاماً حتى زمن حملة ابراهيم باشا على سورية سنوات [١٨٣١ - ١٨٤٠م) وحينها تدمّر البرج واستخدمت حجارته في تشييد الثكنات. ونسب بناء البرج للرومان مستدلاً بحجارته المحففة.

وقال بادجر George Percy Badger الذي قام بتحقيق رحلة ڤارتيما: (لاحظت بعض الرسوم والشعارات الدالة على النبالة المملوكية على السور الخارجي للمدينة خلال زيارتي لدمشق عام ١٨٣٥م، وقد حطّم ابراهيم باشا جانباً من السور لتهيئة مواد البناء للمستشفى العسكري. ثم يضيف: وهناك قبر الشهيد جورج الذي ساعد القديس بولس في الهرب عبر نافذة في السور ويوجد صدع في الصخرة الواقعة على بعد ميل من دمشق، تملّص عبرها هذا الحواري من مطارديه، لا زال يرتادها القسس والمسيحيون الموجودون في دمشق).

وأخيراً هناك الرحّالة(پورتر J. L. Porter) الذي زار دمشق في السنوات ١٨٥٠ - ١٨٥٥م وكتب يقول: (كانت المدينة في السابق محاطة بكاملها بسور مزدوج، ولا تزال بقايا كلا السورين موجودة في بعض الأماكن التي تتصل فيها الضواحي بالمدينة، وأما على طول الجانب الشرقي فقد زال السور الخارجي وجفّ الخندق الذي يحيط به وردم تدريجياً).

وقد لاحظ تهدّم السور وفقدانه في أكثر أقسامه الكاتب الفرنسي (پيير لوتي Pierre Loti) عند زيارته دمشق سنة ١٨٩٤م.

قلت: لقد وهم الرحّالون الأجانب واختلط عليهم الأمر حين اعتقدوا

بوجود سور مزدوج يحيط بمدينة دمشق، خصوصاً القطعة الممتدّة بين باب الجابية والباب الصغير. وقد اعتمدوا في استنتاجهم الضعيف هذا على وجود باب مزدوج عند كل باب رئيسي، وتفسير ذلك أن الأبواب الخارجية التي شاهدوها ما هي إلا أبواب الباشورات الضخمة التي كانت تمتد أمام الأبواب الأصلية للسور وفوقها عتبات تحمل نصوصاً كتابية مؤرّخة. وقد هدم باب باشورة الباب الصغير زمن العثمانيين، وما تزال عضاضة باشورة باب الجابية قائمة إلى الآن. وقد جرى تعديل تخطيط السور بعد نور الدين فقط في القطعة المزدوجة الممتدّة بين باب الفرج (باب المناخلية اليوم) وباب الفراديس (باب العمارة الحالي)، فالقسم الخارجي المندفع نحو ضفة بردى أقيم في القرن الثالث عشر للميلاد وأبقي على القسم الداخلي الروماني مما تطلّب وجود بابين أحدهما خارجي والآخر داخلي في هذين الموقعين، ويشاهدالباب الداخلي لباب الفرج عند بداية سوق المناخلية من جهة العصرونية والخارجي قبل الخروج منه إلى شارع الملك فيصل. وكذا الحال في بابي العمارة في سوق العمارة الجوّانية من جهة جامع السيّدة رقيّة. وهما حالتان فريدتان من نوعهما في سور دمشق. وما يزال الحي المعروف باسم «بين السورين» ممتداً إلى يومنا في هذا الموقع.

- ويطرح سوفاجيه J. Sauvaget نظريته القائلة: (إن جدار السور في وضعه الحالي، هو من منشآت العصور الوسطى، ومع ذلك فإنه فيما يتعلّق ببنائه أو تخطيطه لا يتوافق البتّة مع الجدار القديم إلا في جزء من الجهة الشمالية، محاذٍ لنهر عقربا من باب السلام حتى الزاوية الشمالية الشرقية من السور، وجزء من الجهة الشرقية الملاصقة للباب الشرقي من الجهة الجنوبية.

وحتى الأبواب، فإنها هي نفسها مكان الأبواب الرومانية باستثناء باب الفرج وباب النصر اللذين فتحهما المسلمون.

قلت : إن هذه الفقرة الأخيرة من مقولة سوفاجيه حول الأبواب تعني أن باب السلام - الذي أنشيء في العهد الإسلامي والذي أغفل ذكره - أقيم في موضع باب روماني، ولكن لم تذكر المصادر التاريخية وجود أي باب أسبق في موضعه أللهم إلا إذا كان يقصد باب الجنيق المسدود، وهو أمر يتعارض مع ما ذكره ابن عساكر من أن باب الجنيق يقع بين باب السلام وباب توما .

ويتابع سوفاجيه القول : (يضاف إلى ذلك أن أثر السور القديم تعدّل تدريجياً، بدون أن يكون ممكناً في غياب المخطوطات أن نعيّن المراحل المتعاقبة لهذه التغييرات . ويمكن مع ذلك أن نؤكّد أنه كان جاهزاً في القرن الثاني عشر [القرن السادس للهجرة]، لأن السور يحتوي على عدد كبير من الأبراج نصف الدائرية، وهو النموذج الذي تخلّى عنه المهندسون السوريون مع بدايات القرن الثالث عشر [القرن السابع للهجرة]. وأن أعمال الترميم الحاسمة والهامّة التي تعرّض لها السور تمّت في عهد الأتابك نور الدين في حدود سنة ١١٦٠م [٥٥٥ هـ]، وقد تناولت الشكل الخارجي له بصورة مؤكّدة، ولم يتعرّض بعد ذلك لتعديلات أخرى عبر القرون التالية، باستثناء دفع حدّ السور من الجهة الشمالية بين باب الفرج وباب السلام حتى شاطيء نهر بردى، وذلك في النصف الأول من القرن الثالث عشر [السابع للهجرة] وبما أن الجدار القديم ظلّ محافظاً على موضعه وراء الخط الدفاعي الجديد، كما يدلّ عليه وجود الأبواب المزدوجة، عند هاتين النقطتين فقد صارت المنطقة المحصورة بينهما تدعى بين السورين).

ثم يقول : (وفي أيامنا - ١٩٣٠م - فإن المناطق التي يمكن الوصول إليها من السور تنحصر في النصف الشرقي لمحيطه، بين باب السلام في الشمال وشارع «الخراب» في الجنوب، أما النصف الغربي فقد حُجب بالأبنية الحديثة . وفي كل مكان يظهر فيه السور، يمكن أن نتعرّف على بضع حقب من البناء .

فالأحجار الضخمة التي تستقرّ في القاعدة، تنمّ عن أصل الجدار الرومانز
وهي سابقة لأعمال نور لدين في أواسط القرن الثاني عشر [السادس للهجرة]
وأما ما يليها من الأحجار المنضّدة على ارتفاع ٥٠ - ٦٠ سم، فإنها من أعمال نو
الدين ومن جاء بعده في القرن الثالث عشر [السابع للهجرة]، وهي جيّدة الصنـ
بوجه الإجمال. وثمّة حجارة أصغر في الجدار «٢٠ - ٣٠ سم» وهي من أعمال
الترميم المملوكيّة بين القرنين ١٤ - ١٦ [القرنين الثامن - العاشر للهجرة]. أمـ
أعمال الترميم التي تمّت في العصر العثماني فإنها تكشف عن نفسها بطريقة بنائه
ذات الأحجار الخشنة).

ويخلص سوڤاجيه إلى القول: (والسور عامّة في حالة سيّئة، ولا تُرى فيه الكتل الضخمة التي كانت تشكّل جسم الجدار ذات الحجر المنحوت لاستعمالها في في ورشات أعمال مدنيّة. وفي المناطق التي حُفِظ فيها السور جيّداً نجد أنه فَقَد المنظر المهيب الذي كان يتمتّع به، نتيجة توالي الإصلاحات عليه. وإن القسم الوحيد من جدار السور الذي يستحقّ أن نقف عنده، هو القطعة الواقعة في الجهة الشمالية، بين باب السلام وباب توما، وذلك لأن الإقتراب منه كان شبه متعذّر بسبب النهر الذي كان بمثابة الخندق له، ولذلك فقد حُفظ سليماً وكانت ترى فيه بقايا شرافات الرمي).

- ويناقش الأستاذ (پول شِڤْدن Paul Chevedden) من جامعة كاليفورنيا في محاضرة له نظرية (سوڤاجيه) حول تأسيس وتطوّر السور، ثم يقدّم لنا نتاج أبحاثه خلال إقامته في دمشق، وأرى من الضروري لاستكمال هذا العمل أن أوردها كما هي لما لها من أهمية من الناحيتين التاريخية والأثرية:

يقول الأستاذ شِڤْدن: (إن سور دمشق القديمة بحسب المخطط الذي رسمه سوڤاجيه كان على شكل مستطيل تقريباً. لكن نظريته المتعلّقة بمخطط سور

المدينة القديمة لم يعتمد على براهين أثرية أو على معلومات مستندّة من مصادر النصوص لكنها اعتمدت على افتراض مشكوك فيه: لقد فكّر سوڤاجيه تفكيراً منطقياً عندما ذكر أن الشارع المستقيم قد قطع الباب الشرقي بشكل يتعامد معه وبالتالي فإن السور الشرقي لمدينة دمشق كان متعامداً مع الشارع المستقيم أيضاً. وعلى أساس هذا الإفتراض فإن سوڤاجيه رسم السور في جميع جوانب المدينة القديمة على شكل خطوط مستقيمة:

في الجانب الجنوبي من المدينة رسم السور على شكل خط مستقيم يصل باب كيسان بالباب الصغير.

أما الجانب الشمالي من المدينة فكان السور فيه خط مستقيم أيضاً ويصل باب توما بأطلال الباب الروماني داخل باب الفراديس.

وفي الجانب الغربي رسمه على شكل خط مستقيم مماثلاً للشكل الذي رسمه للجانب الشرقي. واعتقد سوڤاجيه أن مخطط السور القديم يتعلّق بمخطط شوارع المدينة القديمة وذلك باقتراح مخطط افتراضي مشكوك فيه.

كما اعتقد أن نور الدين قد جدّد بناء سور المدينة في القرن السادس للهجرة / الثاني عشر للميلاد بشكل عام ومغاير للمخطط السابق الذي افترضه سوڤاجيه، وهذا الافتراض لا ينسجم مع المخطط الكلاسيكي بشكل عام لأسوار المدن التي تتبع تضاريس الأرض وما توفّره الطبيعة من معطيات دفاعية (كنهر مثلاً) كما أنه لا يتّفق مع وصف سور مدينة دمشق المدوّنة في مصادر القرون الوسطى، وأهم شيء أن مخطط السور القديم لسوڤاجيه لم ينسجم مع أطلال السور القديم الذي لا يزال موجوداً في دمشق.

فمنذ ثلاث سنوات اكتشفت في منطقة الشاغور أكبر جزء وأفضل بقيّة محفوظة من بقايا السور الروماني لمدينة دمشق وتجاوز طول تلك القطعة [٤٠] متراً

وارتفاعها [٥] أمتار. كما اكتشفت في ذلك الوقت أجزاء أخرى من السور الروماني في الجانب الجنوبي لسور المدينة الذي يرجع إلى العصور الوسطى، وهذا يؤكّد أن مسار السور الروماني لم يتغيّر خلال القرون الوسطى، بل ان السور أعيد بناؤه في تلك العصور على نفس الأساس الروماني. وهذا ينطبق أيضاً على المسار الشمالي للسور، ونجد في دلائل النصوص برهاناً على صحة ذلك. إن باب الجينيق يعتبر واحداً من الأبواب القديمة في الجانب الشمالي للسور. وهذا الذي يقع حسب مخطط سوڤاجيه داخل باب السلام في موقع ينسجم مع مخطّطه للسور القديم، الذي يستمرّ في خط مستقيم من باب توما إلى أطلال الباب الروماني داخل باب الفراديس.

إن كافّة المصادر التي تصف سور المدينة ذكرت أن هذا الباب يقع بعد باب توما وباب السلام. وذلك حسب رأي ابن شاكر الكتبي «المتوفّى ٧٦٤ هـ/ ١٣٦٣م» الذي استعمل كلمة «يليه» في هذا الخصوص. كما يذكر أن باب الجينيق يلي باب توما، وباب السلام يلي باب الجينيق، فمن الطبيعي أن يقع باب الجينيق بين باب توما وباب السلام. ويذكر أيضاً بعد وصفه باب توما: «ويليه باب الجينيق... وهو الآن مسدود على السور ومنارته باقية».

لم يتغيّر مخطط السور منذ القرن الثامن للهجرة / الرابع عشر للميلاد حتى الآن، وهو نفس السور الذي لا يزال باقياً في جادة الفرّايين. ولسوء الحظ أننا لم نجد حتى الآن أية بقايا لباب الجينيق. لكنه يرجّح أنه يقع مواجهاً جادّة الفرّايين جانب طاحون الدرويشية. ولذلك فإن السور القديم في الجانب الشمالي للمدينة استمرّ محاذياً نهر العقرباني. ولقد طرأ تغيير وحيد فقط لهذا السور خلال العصور الوسطى في منتصف القرن السابع للهجرة / الثالث عشر للميلاد وهو إنشاء سور المدينة الجديد أمام نهر العقرباني على القناة الرئيسية لنهر بردى بين باب الفرج وباب

السلام. بني هذا السور في بداية القرن السابع / الثالث عشر نقلاً عن سوفاجيه واستناداً إلى نيكيتا اليسييف N. Élisséeff .

بنى نور الدين هذا السور في منتصف القرن السادس للهجرة / الثاني عشر للميلاد.

في الحقيقة أن الملك الصالح إسماعيل بنى هذا السور في منتصف القرن السابع / الثالث عشر، ولا تزال ثلاثة أبواب تحمل كتابات تأسيسية وهي:

باب الفرج الداخلي: تمّ بناؤه في رمضان [٦٤٩ هـ].

باب الفراديس الخارجي تمّ بناؤه في شوال [٦٣٩ هـ].

باب السلام تمّ بناؤه في [٦٤١ هـ].

وتشير الكتابة التأسيسية في باب الفراديس إشارة صريحة إلى بناء السور أيضاً وتتضمّن ما يلي: «أمر بعمارة هذا الباب والصور»، ولقد جرى ترميم هذا الباب والكتابة التأسيسية في عام [١٩٥٠] لكن الكتابة المنقوشة لم تقرأ صحيحاً. أما الكتابة المنقوشة في باب السلام فقد نسبت خطأ إلى الملك الصالح أيّوب لأنه غيّر لقب الملك الصالح اسماعيل إلى لقب وكنية الملك الصالح أيوب. فلقب الملك الصالح اسماعيل هو «عماد الدين» وتغيّر إلى «نجم الدين» - وكنيته «أبو الفداء اسماعيل» تغيّرت إلى «أيوب بن الملك الكامل». أما التاريخ المنقوش فلم يتغيّر.

ويتابع شِقْدِن قائلاً: يوجد إحدى وعشرون كتابة تأسيسية منقوشة على سور وأبواب وأبراج مدينة دمشق، جميعها منشورة لكن قراءة سبعة منها كان صحيحاً، وعشرة منها غير صحيح أو أنها غير منشورة بشكل كامل. أما الأربع الباقية فقد نسخت بشكل غير صحيح أكثر من مرّة وساد الاعتقاد بأنها نسخاً لكتابات مختلفة في حين أنها كانت نسخاً لأصول واحدة.

وأتاح لي عملي الميداني في دمشق أن أكتشف كتابتين لم تكن معروفتين من

قبل. وبالرغم من أن تلك الكتابات موجودة على الأبواب والأبراج الرئيسية لأهم مدينة في العالم الإسلامي والعربي إلا أن نسبة الأخطاء في قراءتها كانت كثيرة.

وتعتبر الصور الفوتوغرافية لمدينة دمشق في القرن التاسع عشر مصدراً هاماً وجليل القيمة لدراسة سور دمشق، وذلك لأن معظم أجزاء هذا السور هدمت في القرون الماضية كما أن أجزاء كبيرة منه قد نزعت ثم تجدّدت في هذا القرن.

توجد أربع صور مختلفة لبونفيس Bonfils، أخذت لنفس القسم من السور الممتدّ بين باب كيسان والزاوية الجنوبية الشرقية للسور، وصورة أخرى لنفس المكان محفوظة في مؤسسة استكشاف فلسطين Palestine Exploration Fund، وصور أخرى أخذها تنسرد دوماس T. Dumas و ترينا هذه الصور بقايا سبعة أبراج وبقية من البرج الأيوبي الكائن على الزاوية الجنوبية الشرقية الذي نقّب فيه الأستاذ نسيب الصليبي في عام ١٩٦٨، لكن أي تقرير عن نتائج تنقيباته لم ينشر حتى الآن. وإن النظرة المتفحّصة على الأبراج الظاهرة في هذه الصور تبيّن لنا أن كل برج من تلك الأبراج يقوم على أساس الشكل الروماني الأصل. في حين أن المداميك العليا تأخذ شكلاً نصف دائري وهي من عمارة القرون الوسطى. وكانت المسافة بين كل برجين ثلاثين متراً. وهذه المسافة الفاصلة بين الأبراج هي نفس المسافة الفاصلة بين الأبراج على السور الواقع بين باب الجابية والباب الصغير. أما الباب الشرقي فوُجد له أربع صور لبونفيس، ثلاث منها تبيّن وجود باشورتين أمام الباب الشمالي للباب الشرقي، الباشورة الأولى داخلية مجاورة للباب وقد بناها نور الدين، ثم باشورة خارجية مجاورة للباشورة الداخلية، ويعتقد أنها بنيت على يد الملك الصالح أيوب حيث أن بناء السقّاطة على هذه الباشورة يماثل بناء السقّاطة الموجود على البرج في الزاوية الشمالية الشرقية للسور والذي بناه الملك الصالح

أيوب في عام ٦٤٦ هـ/ ١٢٤٨م.

وهذه الصور الفوتوغرافية لها قيمة خاصّة لأنها تبيّن الأجزاء المتهدّمة من السور الذي أصبح مهجوراً في العهد العثماني لأنه لم يعد وسيلة دفاعية ناجحة للمدينة، فأهمل وتخرّب، ثم بدأ «ابراهيم باشا» خلال عام ١٨٣٠ بنقض أجزاء كبيرة منه وأعاد بناءها في أماكن اخرى، واستمرّت عملية النقض منذ ذلك العهد حتى يومنا هذا).

قلت: الصورة دائماً مصداق حقيقة لا ترقى إليها الشبهات، فقد يخطىء المؤرّخون لكنها لا تخطىء، و من الممكن أن يختلق المؤرّخ أو يتوهّم أو يبالغ في وصف موضع أو حدث، لكن الصورة لا تعكس إلا الحقيقة المجرّدة بدون تعاطف أو انفعال، وهي وثيقة مثبتة معتمدة في كافة أنواع البحث.

ومما وصلنا من أسماء الأبراج في السور، برج الدرَّاجية الذي كان على باب توما وسمّي نسبة لعبد الله بن درَّاج كاتب رسائل الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، ولا وجود لهذا البرج اليوم، أما الأبراج الباقية ليومنا فبرج نور الدين (الشهيد)، وبرج الملك الصالح أيوب، وقد نسبا إلى بُنَاتهما. وبعض الأبراج الأخرى التي لا أسماء لها.

أما طرز عمارتها فهي كالتالي:

١ - برج نور الدين: قاعدته مربّعة تعلوها نصف دائرة، ويقوم إلى الجنوب من جامع سنان باشا في حي السنانية اليوم، وعنده نص مؤرّخ فيه:

(بسملة - أمر بإنشاء هذا البرج المبارك الفقير إلى
رحمة ربه محمود بن زنكي بن آق سنقر طلباً
للثواب سنة تسع وستين وخمسمائة).

ويحيط بالبرج زنّار زخرفي كتابي بعرض متر واحد تتخلله أشكال زهرات غاية في الجمال، وتحت هذا الزنار زنّار آخر بعرض نصف متر فيه كتابة مؤرّخة:

(بسـملة - عمر هذا البرج بعد انهدامه في أيام مولانا
السـلطان الملك الناصـر ناصر الدنيا والدين محمد
بن السـلطان الملك المنصور سـيف الدنيـا والدين
قلاوون بإشـارة المقر العالي الجمالي آقوش الأفرم
نائب السلطنة المعظّمة بالشام المحروس. بنظر الفقير
إلى الله تعالى أحمد بن عبد السلام).

وبالقرب من الباب الصغير برج آخر شيّده نور الدين، وعليه كتابة مؤرّخة نصّها:

(بسـملة - أمـر بعمـارة هذا البرج المبارك مولانا
الملك العادل المجاهد نور الدين أبو القاسـم محمود
بن زنكي بن آق سنقر ضاعف الله له الثواب وغفر
له ولوالديه يوم الحسـاب ابتغاء مرضـاة الله وفقه
الرحمن سنة أربع وستين وخمس مائة).

ونور الدين هو: نور الدين محمود (الملقّب بالشهيد)، أبو القاسم، بن الملك المنصور زنكي بن قسيم الدولة آق سنقر بن عبد الله، مؤسّس الدولة الأتابكيّة النوريّة في الشام ومصر، امتدّت سلطته من دمشق إلى الموصل وديار بكر والجزيرة وبعض بلاد المغرب وجانب من اليمن. ولد سنة (٥١١ هـ) وملك حلب سنة

(٥٤١ هـ) ثم دمشق سنة (٥٤٩ هـ) وتوفي سنة (٥٦٩ هـ) ودفن أولاً بقلعة دمشق ثم نقلت رفاته إلى المدرسة النورية الكبرى التي أنشأها عند باب الخوّاصين (في سوق الخيّاطين اليوم)، وما يزال ضريحه ماثلاً للعيان من نافذة في المدرسة تطلّ على السوق.

٢- برج الملك الصالح أيّوب: مربّع الشكل من العهد الأيوبي، قائم في الزاوية الشمالية الشرقية من السور، إلى الشرق من باب توما قبالة جامع الشيخ رسلان، وعليه كتابة مؤرّخة نصّها: (بسملة - عمل في أيام مولانا السلطان الملك الصالح نجم الدنيا والدين أيوب بتولي عبده الفقير مبارك الأوحدي وذلك في سنة ست وأربعين وست مائة).

والصالح أيوب هو: الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل ناصر الدين محمّد بن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب، سابع ملوك الأيوبيين في مصر وتاسعهم بدمشق، ولد بالقاهرة سنة (٦٠٣ هـ)، وتولّى حصن كيفا سنة (٦٢٩ هـ)، ثم الرُها وحرّان سنة (٦٣٣ هـ)، بعدها سنجار ونصيبين سنة (٦٣٥ هـ)، ثم دمشق سنة (٦٣٧ هـ، وقيل ٦٣٦) ثم مصر حيث توفي في القاهرة سنة (٦٤٧ هـ).

٣- برج كله نصف مستدير: البرج الذي يلي برج الملك الصالح أيّوب.

وهناك بقيّة من أبراج أخرى فيها أثر من طراز العمارة البيزنطيّة، لكنها بحالتها الراهنة تعود إلى العصور الإسلامية الوسطى أيام النوريين والأيوبيين والمماليك.

ويقول د. المنجّد: (ويجدر أن نذكر أن أكثر هذه الأبراج قد اتّخذت في الزمن الأخير أمكنة للسكن أو ركبت عليها الدور أو جعلت مراتب واصطبلات).

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٢/ ١٨٦

وصف دمشق في القرن السابع عشر (من مذكرات الرحّالة الفرنسي الفارس دارڤيو) ترجمة أحمد الإيبش ٢٥

الآثار التاريخية في دمشق لسوڤاجيه ٥٤ ، ٥٦

دمشق القديمة للمنجّد مديرية الآثار ١٩٤٥

خطط دمشق للمنجّد ٦٤ ، ٦٥

العمارة العربية الإسلامية للريحاوي ١٢٢

دمشق دراسات تاريخية وأثرية (محاضرة أهمية تقديم الصور كدليل هام لدراسة تاريخ سور دمشق) لشـڤدن ١٩٨٠ ص ١٦٩

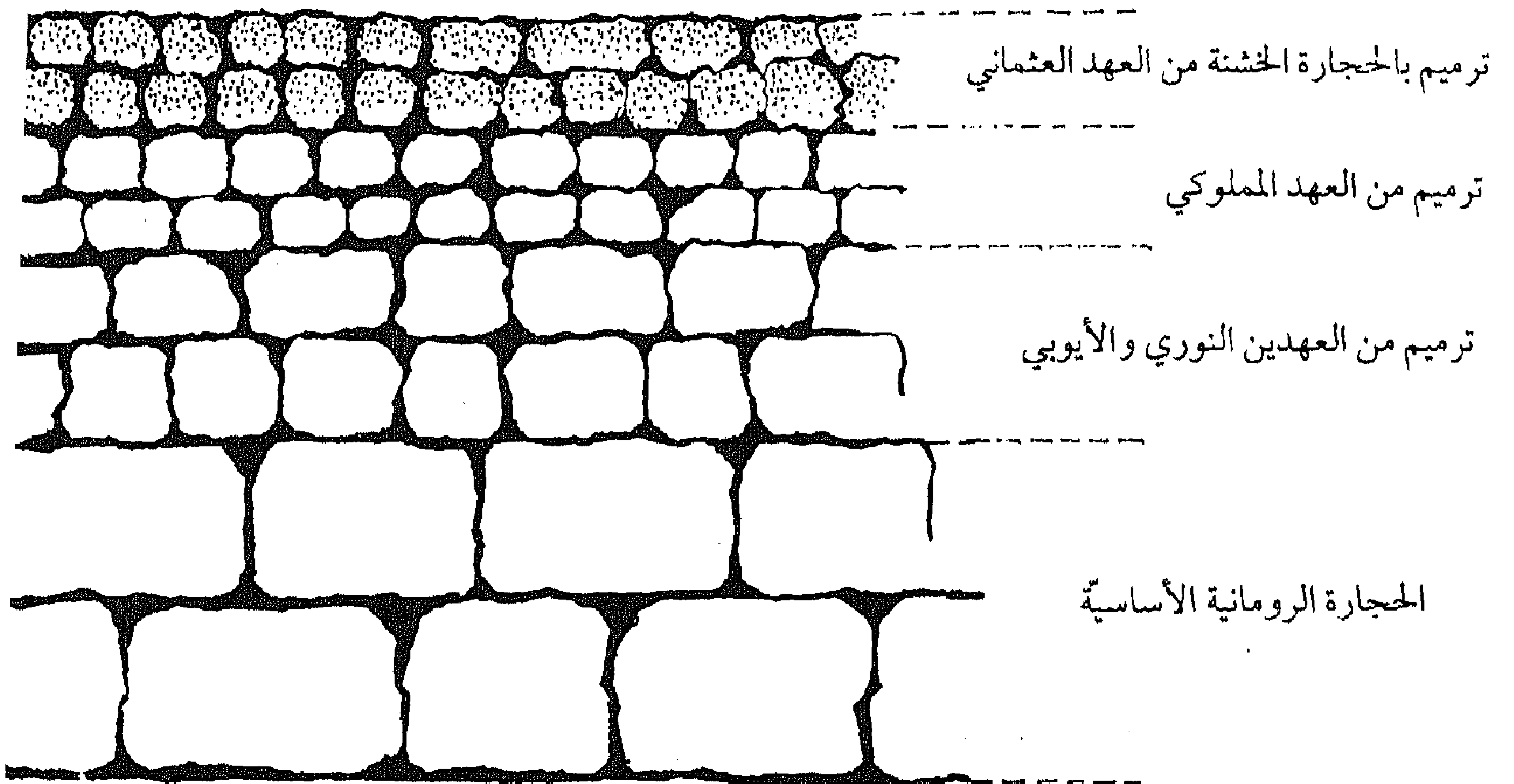
رحلات ڤارتيما ترجمة د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ ٢٦، ٢٩

Sir John Maundeville : Early Travels in Palestine, p. 190

Gucci, Georgio : son voyage, p. 142

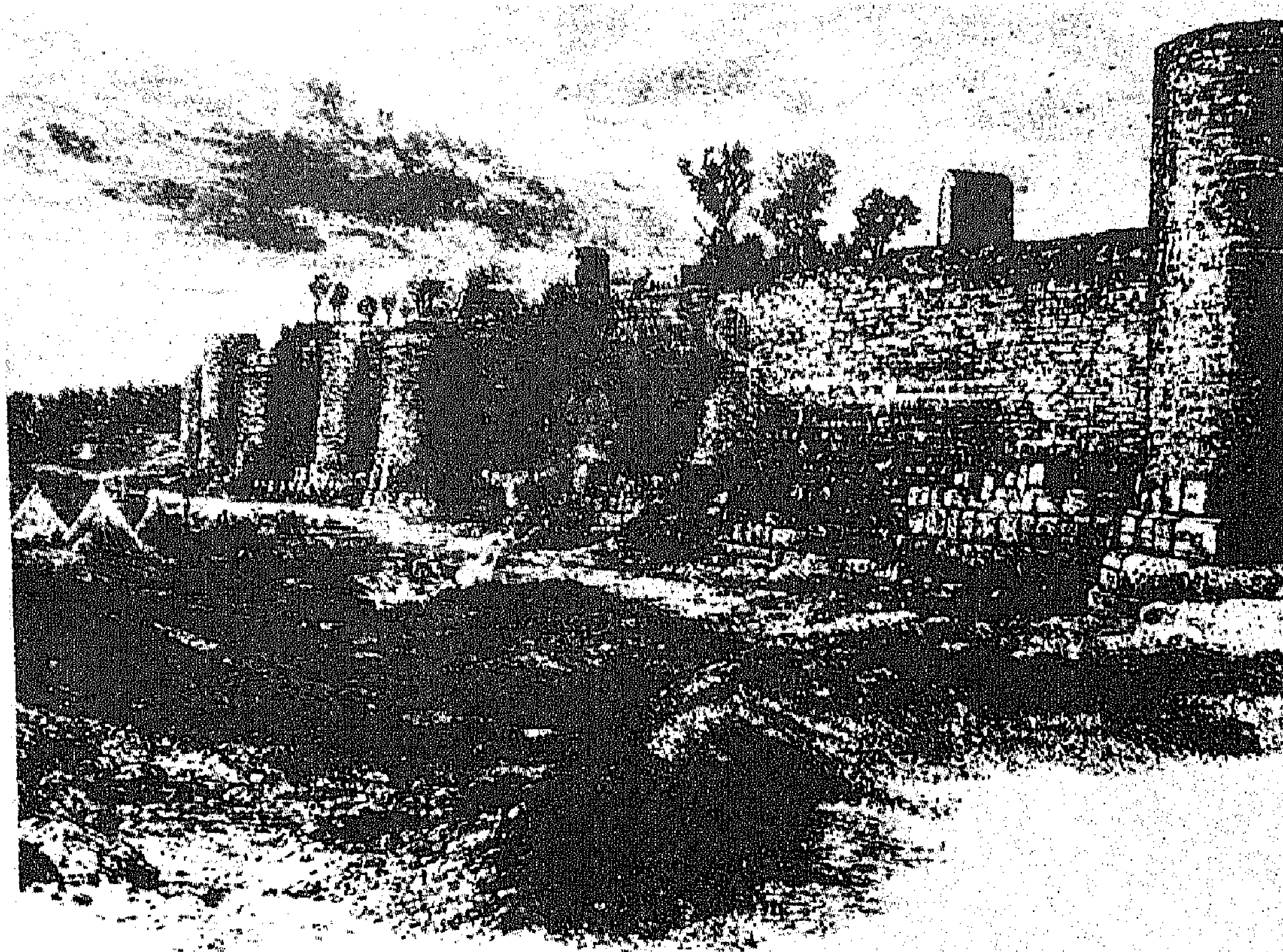
Travels of Fray Sebastien Manrique, Vol 2, p. 377

J. L. Porter : Five Years in Damascus, Vol. 1, p. 46

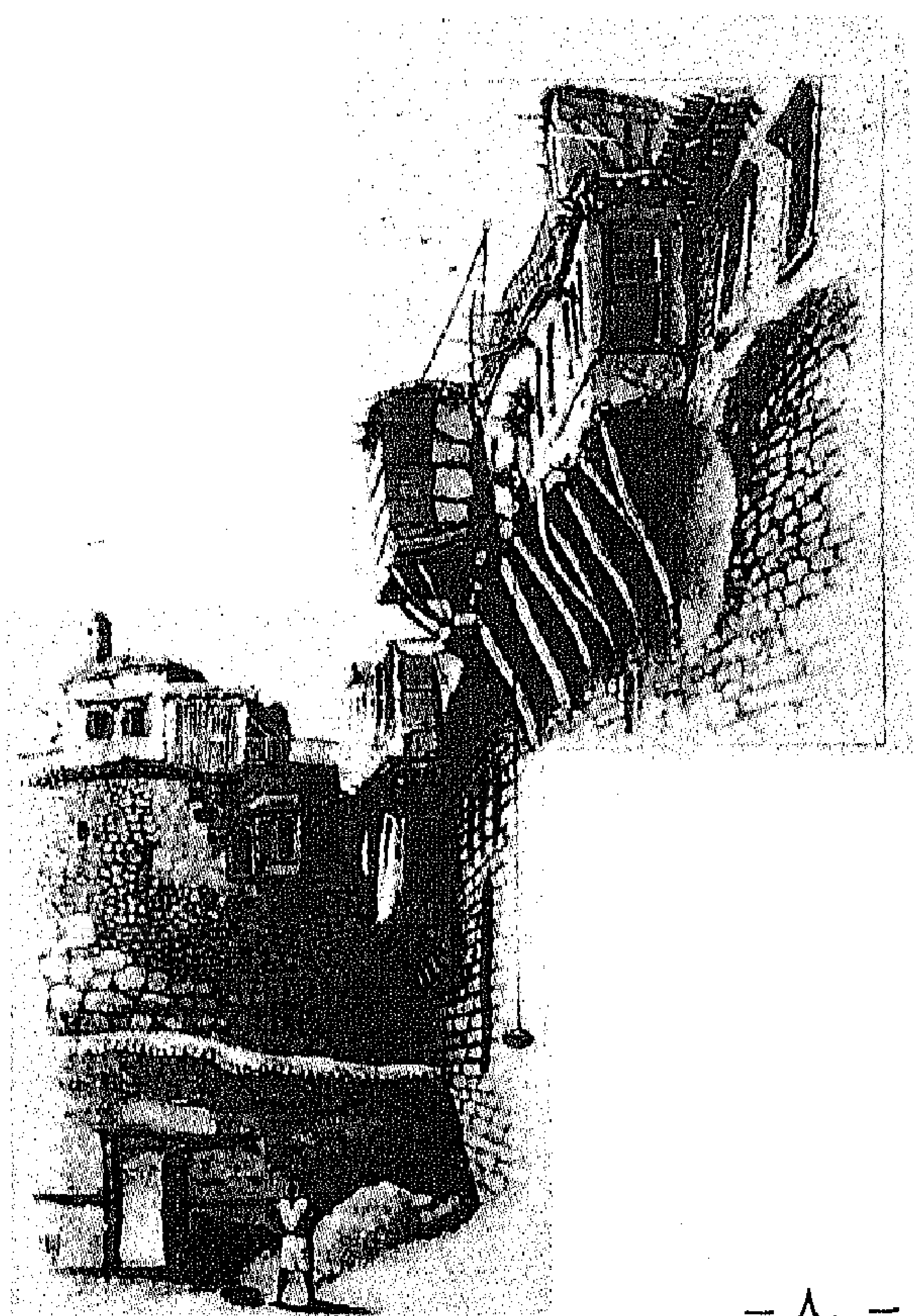


تخطيط رمزي مقارن للحجارة المستعملة في ترميم سور دمشق عبر العصور التاريخية المختلفة

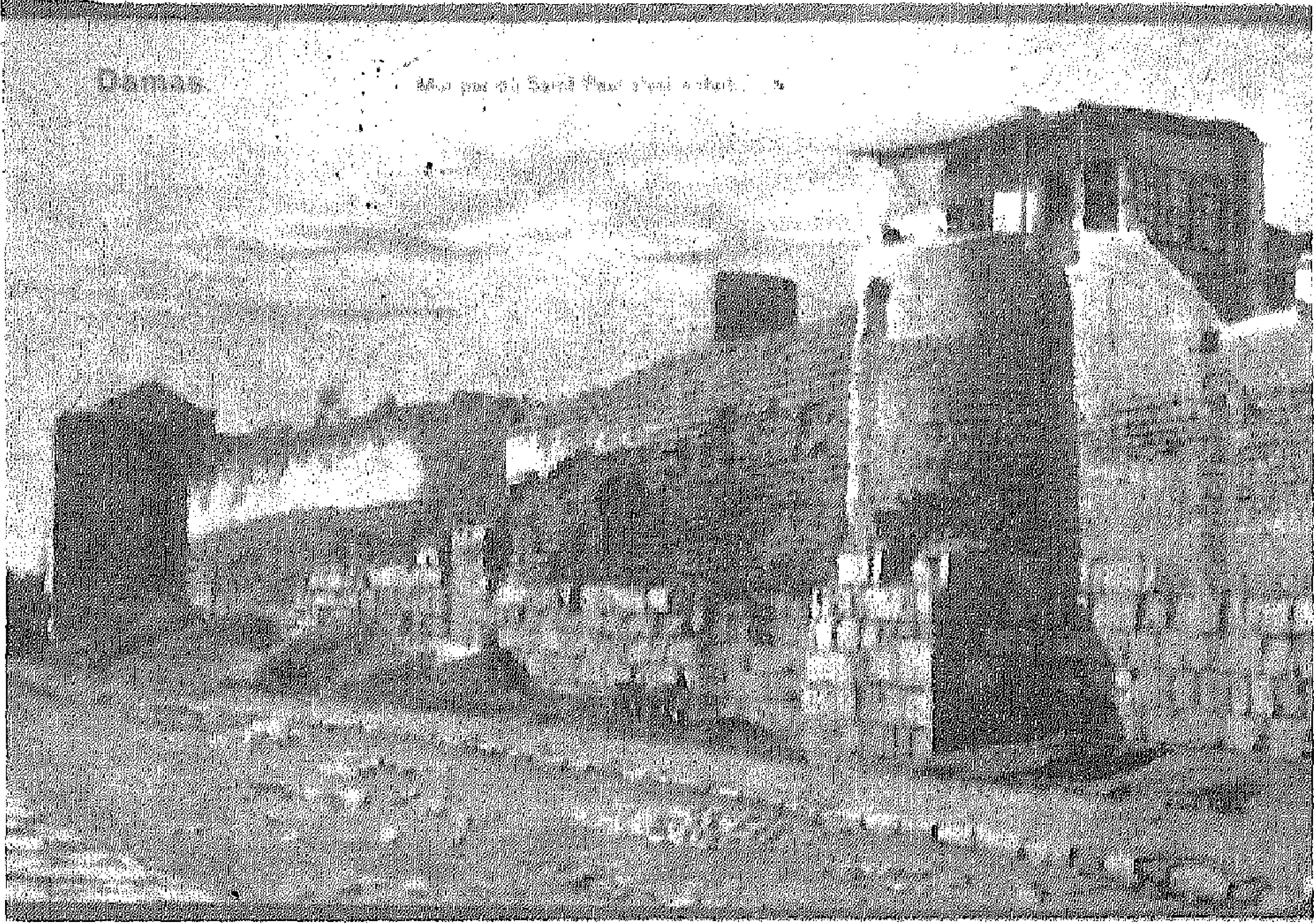
(استناداً لمقولة سوفاجيه)



لوحة حفر للسور وأبراجه نصف الاسطوانية بين الباب الشرقي وباب كيسان (بريشة فنان أوروبي من القرن التاسع عشر)

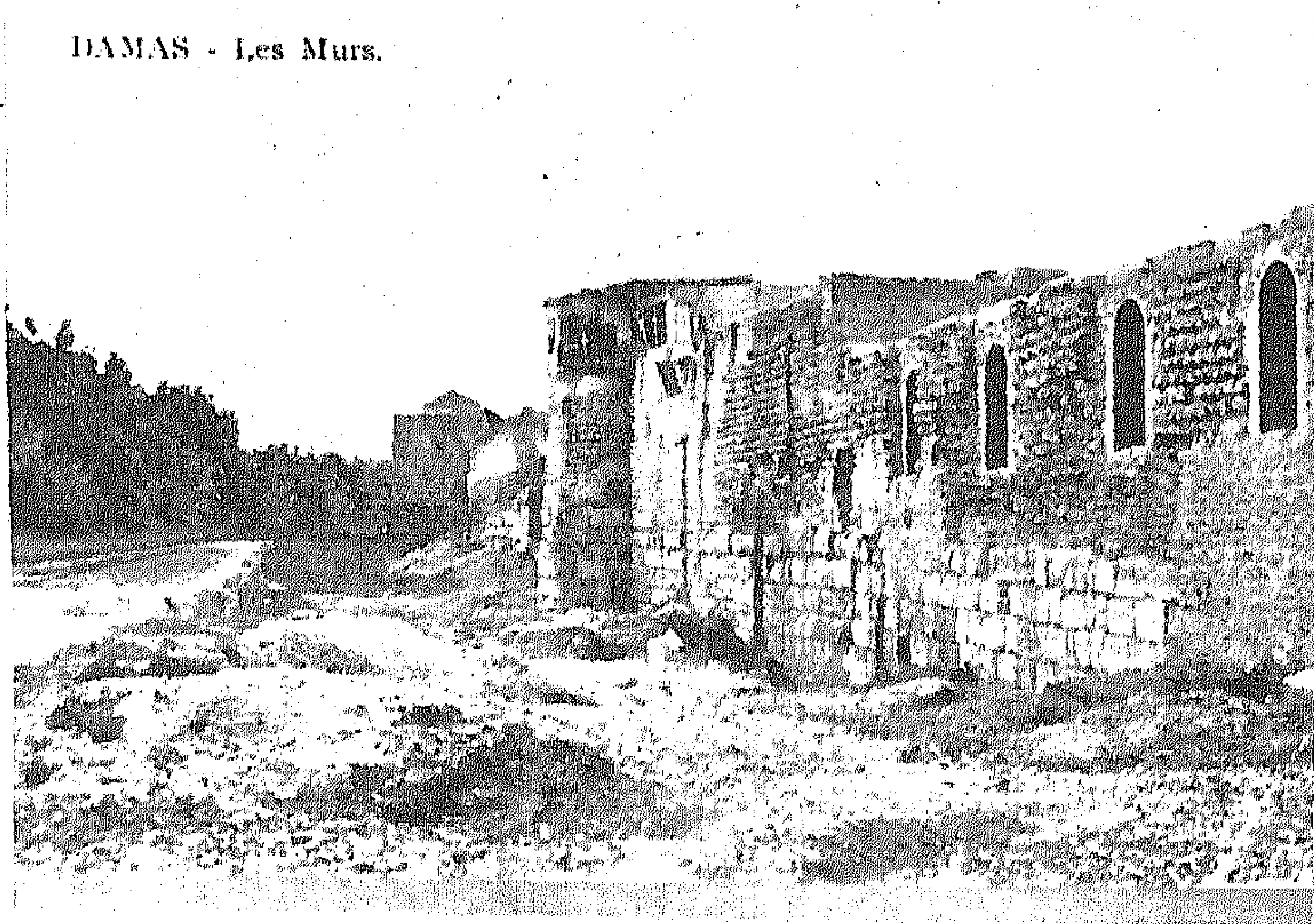


لوحة حفر تمثّل البيوتات التي شيّدت فوق سور دمشق (بريشة فنان أوروبي من القرن التاسع عشر الميلادي)

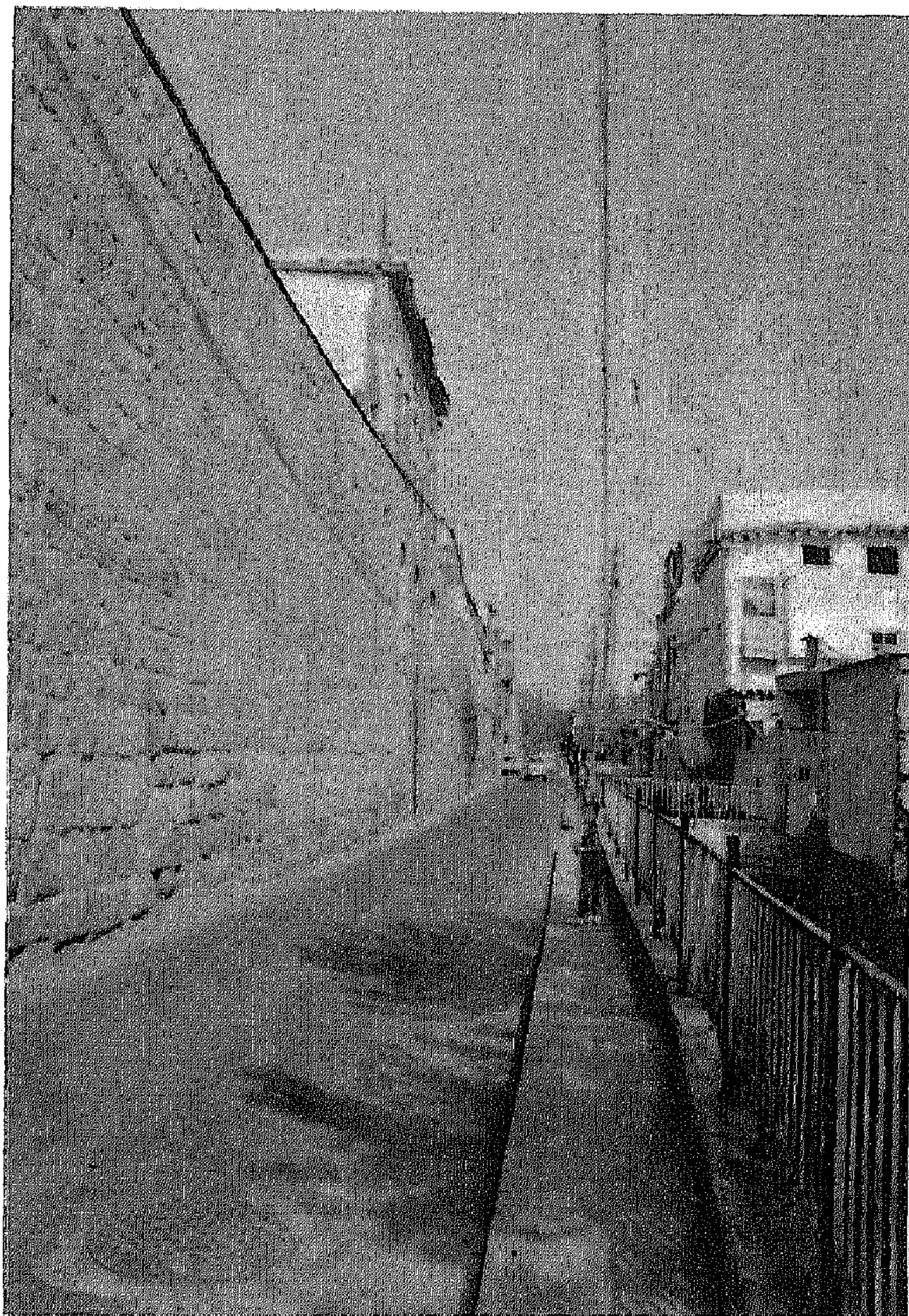


سور دمشق الشرقي وأحد أبراجه نصف المستديرة

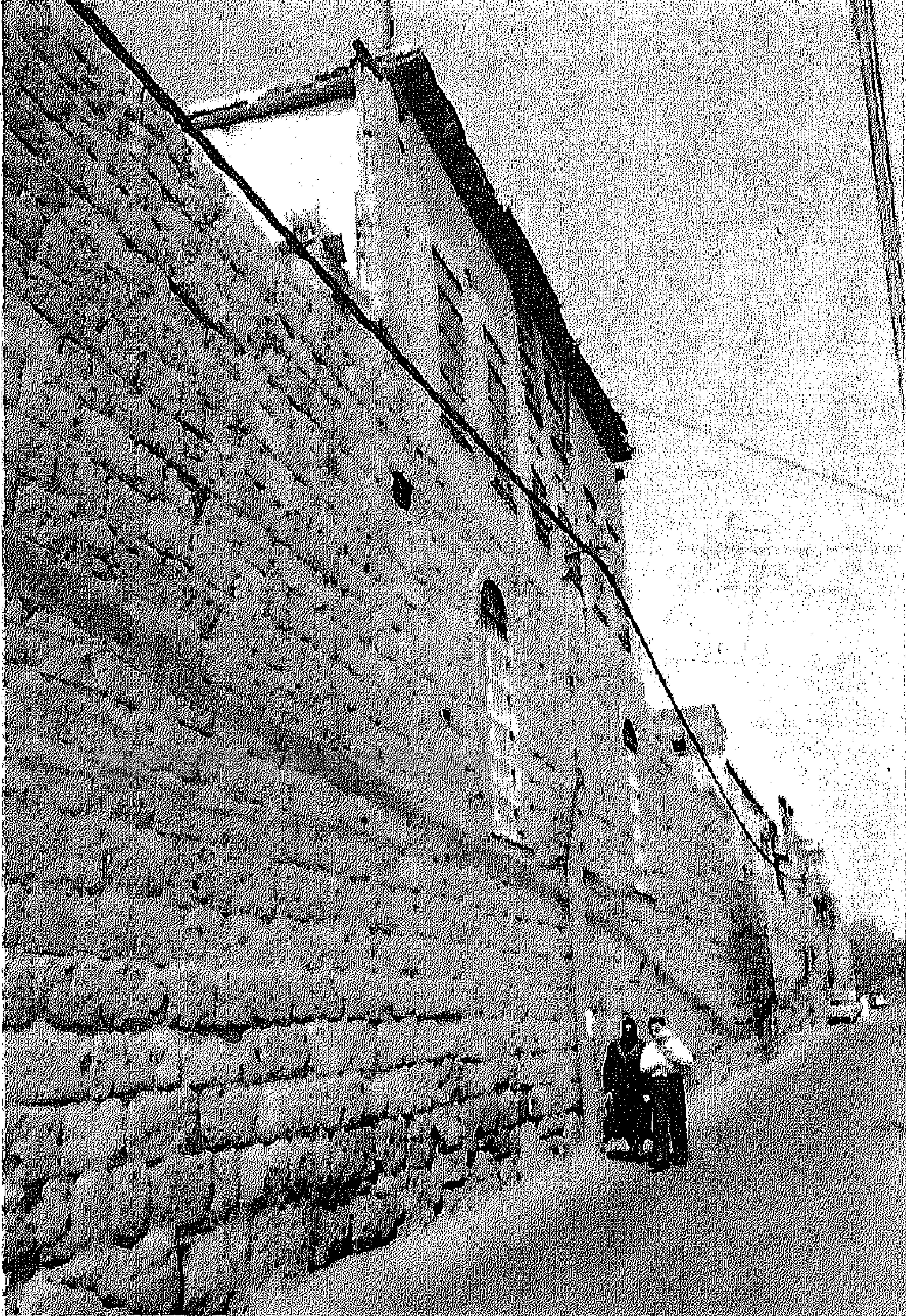
بين الباب الشرقي وباب كيسان، وتلاحظ في قاعدته الحجارة الرومانية الضخمة تعلوها مداميك من الحجارة الأصغر من العهود النورية والأيوبية والمملوكية والعثمانية بعدسة (بونفيس) أواخر القرن التاسع عشر.



سور دمشق مما يلي الباب الشرقي باتجاه باب كيسان (بعدسة بونفيس أواخر القرن التاسع عشر)

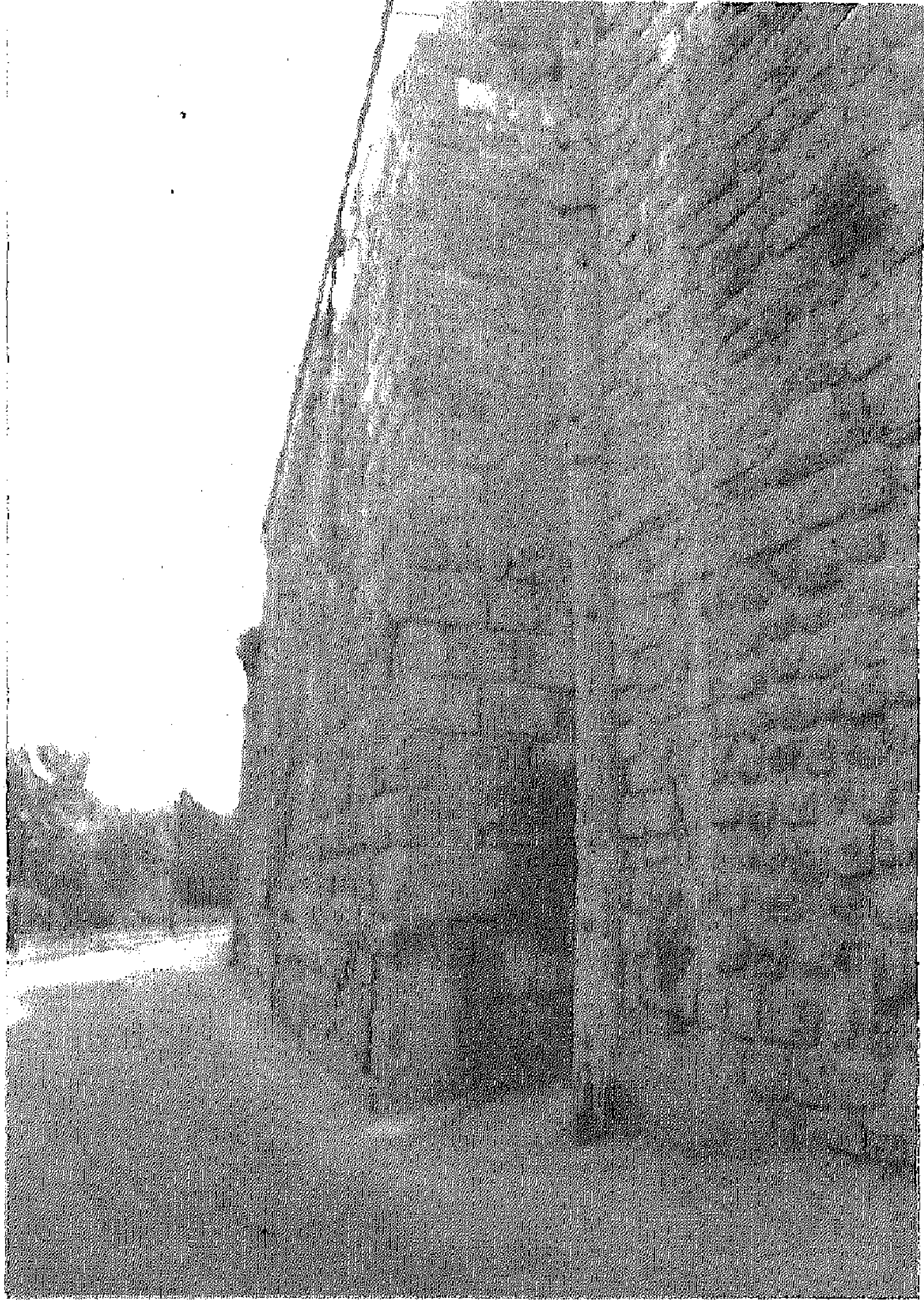


شارع الفرّايين وبيوتاته المقامة فوق نهر (عقربا) خارج السور
بين باب توما وباب السلام
(بعدسة المؤلّف من الشرق إلى الغرب صيف عام ١٩٩٦م)



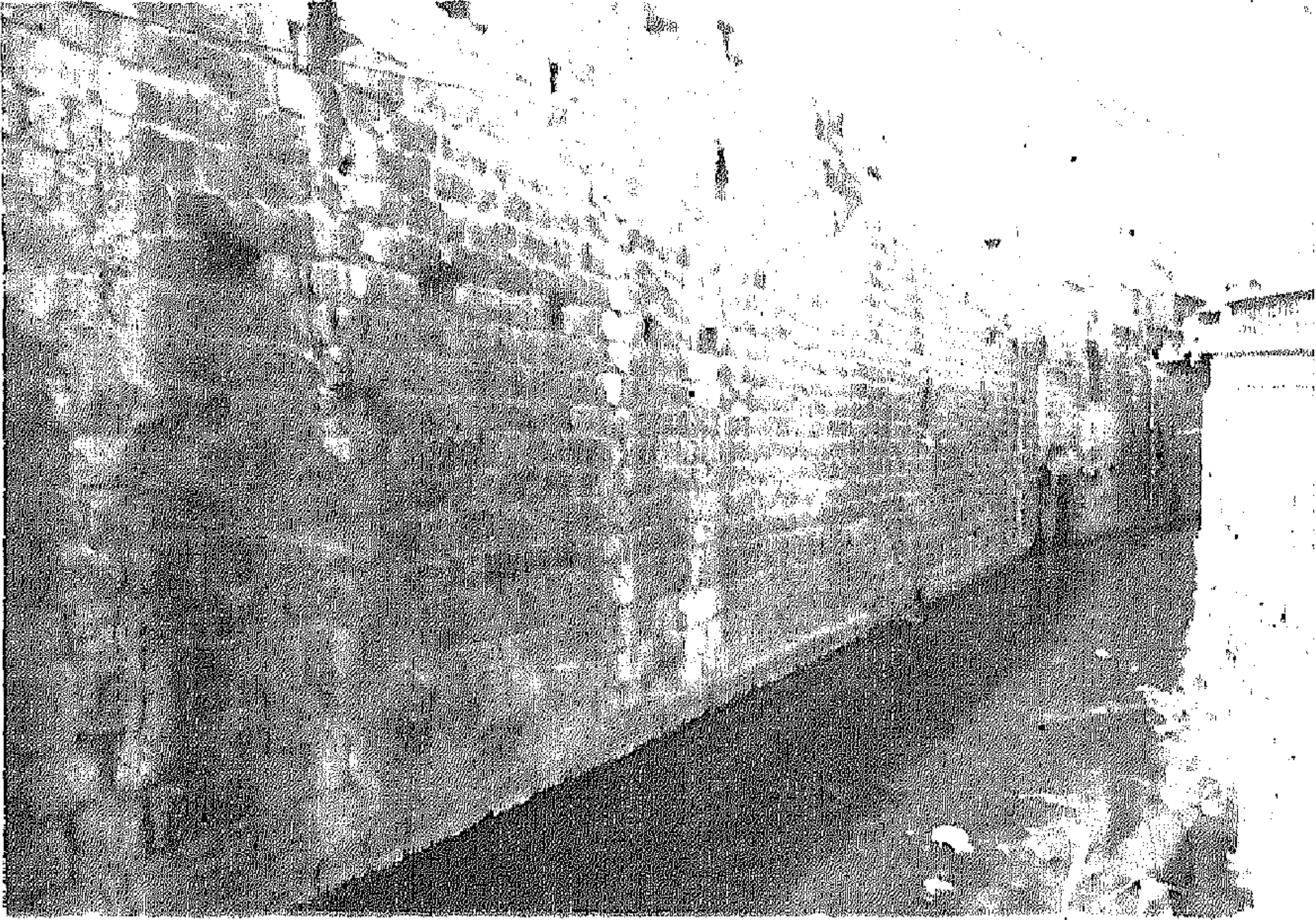
سور دمشق الشمالي بين باب توما وباب السلام، وهو الجزء الأكثر أهميّة لأنه لم يتعرّض للتعديل ولا يزال مُحافظاً على شكله الأصلي القديم، اللهم إلا من بعض النوافذ المحدثة للبيوتات المشيّدة خلفه.

(بعدسة المؤلّف من الشرق إلى الغرب صيف عام ١٩٩٦م)



بروز فـي واجهة السـور الشـمالي عند انعطافه بمنتصف المسافة بين باب توما وباب السلام، فهل كان باب الجنيق مفتوحاً فيه في زمن ما ؟

(بعدسة المؤلّف صيف عام ١٩٩٦)



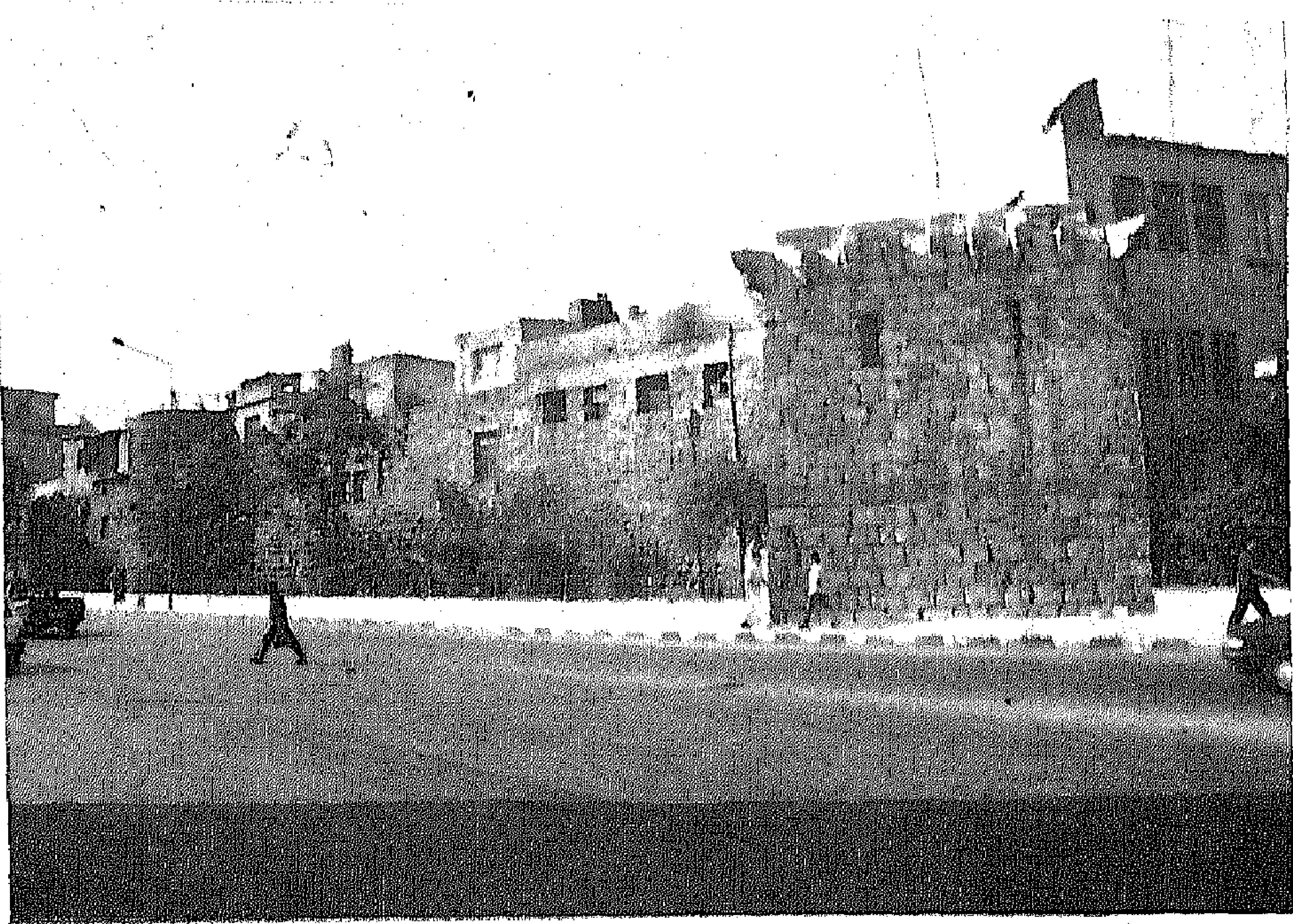
نهر (عقربا) قرب باب السلام، ويشكّل مجرى هذا النهر بحذاء السور من خارجه خندقاً دفاعياً طبيعياً
(بعدسة المؤلّف من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي صيف عام ١٩٩٦م)



المرسوم السلطاني المملوكي المنقوش في السور الشمالي بين بابي توما والسلام
(بعدسة المؤلّف صيف عام ١٩٩٦م)



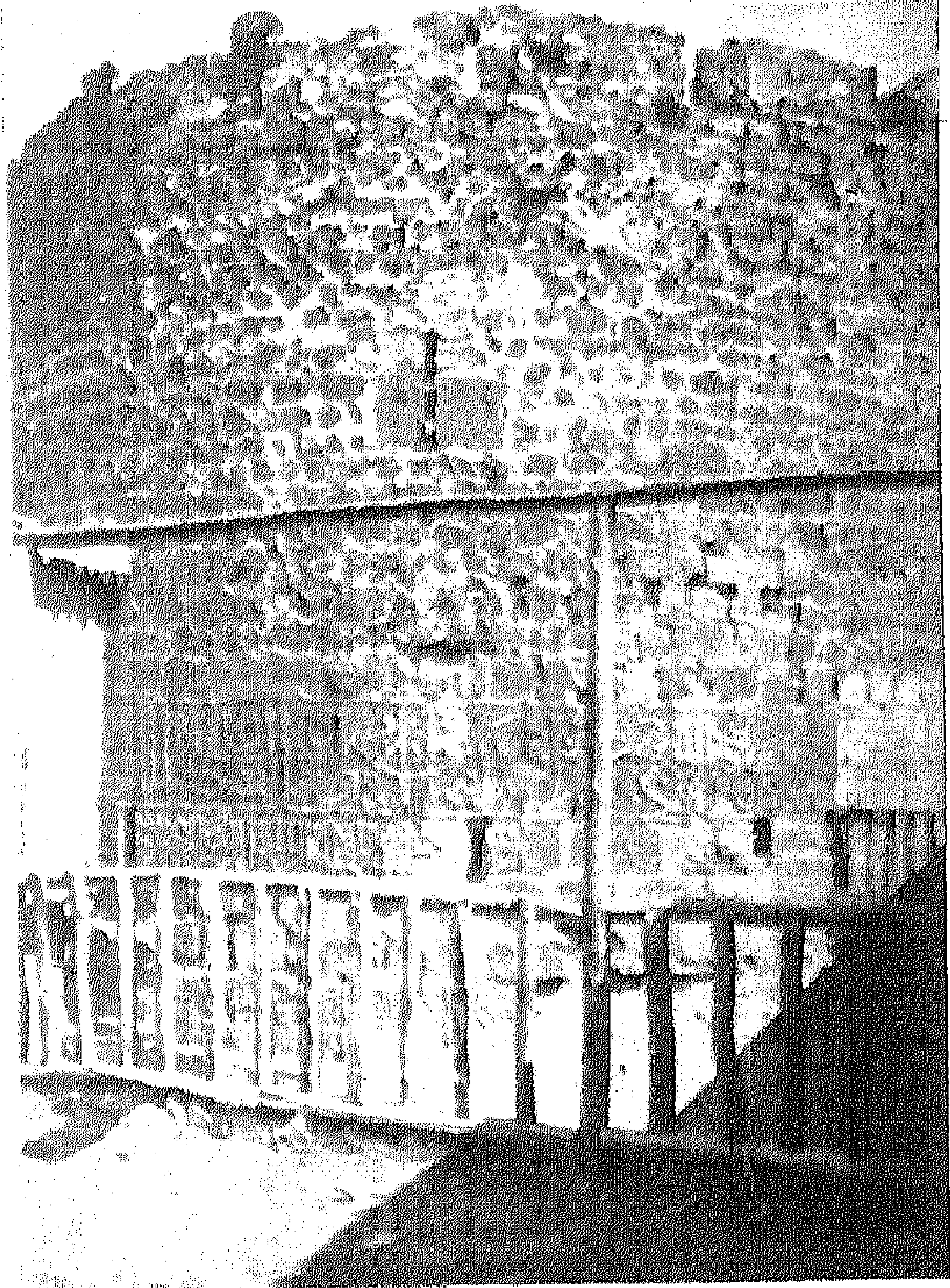
أثر لباب صغير مسدود في السور الشمالي بين باب توما وباب السلام
(بعدسة المؤلّف صيف عام ١٩٩٦م)



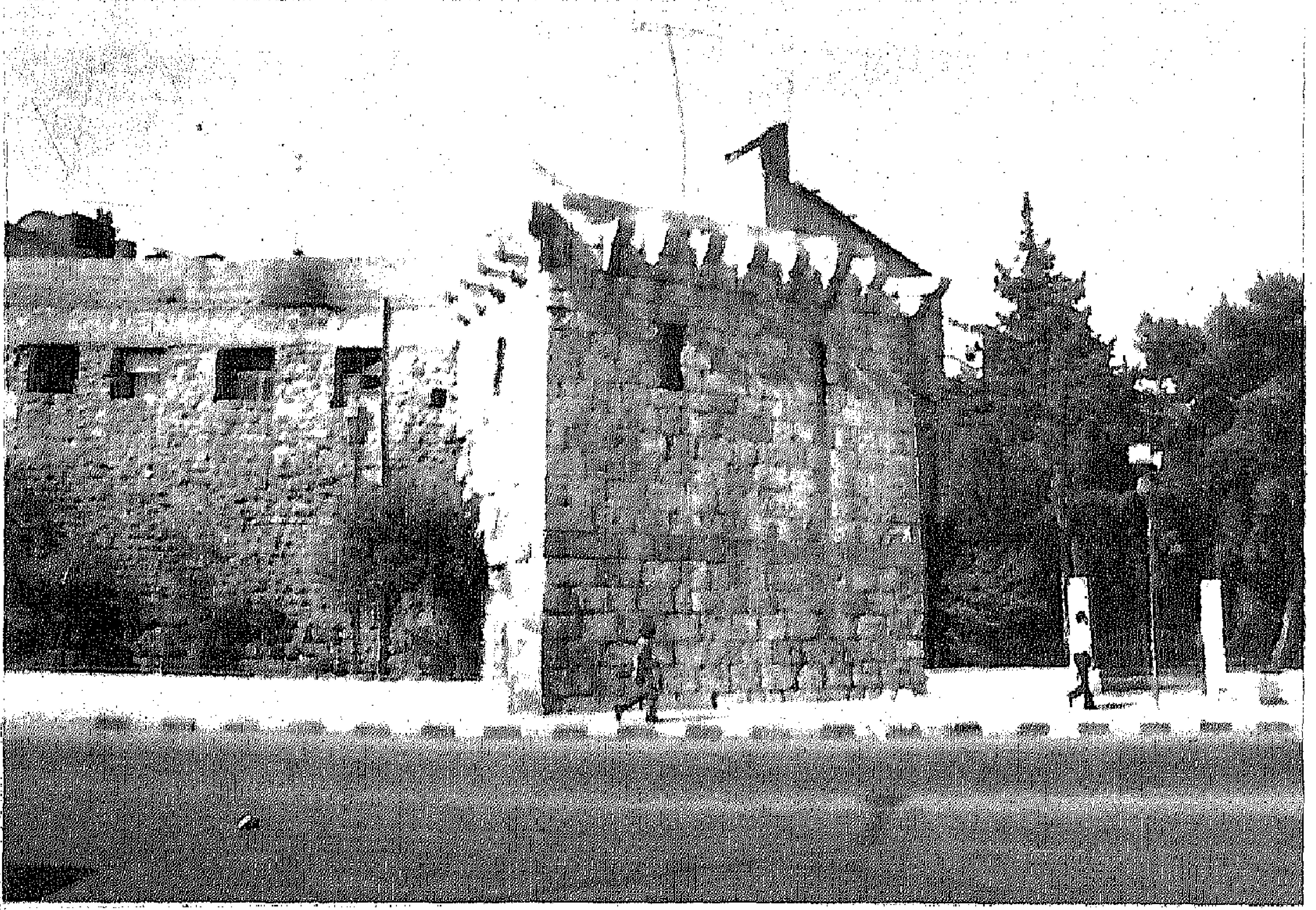
برج الملك الصالح أيوب المكعّب في جهة اليمين، وبرج نصف اسطواني في جهة اليسار، وبينهما البيوتات التي أقيمت فوق السور (بعدسة المؤلّف صيف عام ١٩٩٦م)



نموذج من البيوتات المقامة فوق سور دمشق بين باب توما والباب الشرقي
(بعدسة المؤلّف صيف عام ١٩٩٦م)



برج (نور الدين) في محلّة باب الجابية جنوب جامع سنان باشا، وحوله الشريط الكتابي الزخرفي الذي ذكرت نصّه في المتن.



برج الملك الصالح أيوب ذو الشكل المكعّب عند زاوية انعطاف السور بين باب توما
والباب الشرقي قبالة مسجد الشيخ رسلان
(بعدسة المؤلّف من الشرق إلى الغرب صيف عام ١٩٩٦م)



الحجر المنقوش بالكتابات المؤرّخة في برج الملك الصالح أيوب وقد ذكرتها في المتن
(بعدسة المؤلّف صيف عام ١٩٩٦م)

أبواب دمشق الأصليّة

باب تومــــــا
باب الجابيـــة
الباب الشــرقي
الباب الصغيـر
باب الفراديس
باب كيســـان

باب توما

أحد أبواب دمشق في الجهة الشمالية الشرقية من السور

من الأبواب السبعة الأصلية للمدينة القديمة، بناه الرومان، ويميل الظنّ إلى أنهم شيّدوه على أنقاض الباب اليوناني ولا يمكن الجزم بذلك، وأن هذا الأخيرر بما أقيم على أنقاض الباب الآرامي الأسبق، كذلك لا يمكن التأكيد أو النفي.

وللأب الباحث أيوب سميا رأي في ذلك يقول: (اختطّه اليونان بعد أن احتلّ المدينة القائد «بارمينيو» بأمر من الاسكندر الكبير المقدوني تلميذ أرسطو الفيلسوف سنة (٣٣٣) ق.م، ونسبوه لكوكب الزهرة تيمّناً وتباركاً، ونحتوا فوق الباب نقشاً حجرياً بارزاً لصورة ذلك الكوكب الذي تمثّله في معتقداتهم وعباداتهم إلهة الحب والجمال والتوالد (أفروديت Aphrodite) ومعناها باليونانية: الوردة الفرحة، وكانوا أحياناً ينقشونها بصورة فتاة جميلة مكللة أحياناً بإكليل من الورد، أويرمزوا لها بـ (بيضة بين هلالين)، وكان هذا الشكل ينقش إما أفقيّاً أو عموديّاً حسب مساحة المكان الذي سيشغله، وكانت البيضة ترمز إلى الولادة والهلال إلى ولادته في رأس كل شهر، وهو رمز ينقشه الإغريق خطّاً متوازياً جميلاً في الخصور الظاهرة للحجارة التي تؤلّف طنوف ومثلّثات سطوح الهياكل الخاصّة بالزهرة).

قلت: رأيت في أثينا وبعض المدن اليونانية الأخرى إلى عديد من هذا الرمز.

لم تقتصر عبادة الزهرة على اليونان والرومان فقط، بل كانت معبودة أيضاً عند جميع الشعوب السامية كالكلدان والآشوريين والآراميين والفينيقيين، وكان العرب يسمّونها (اللات)، والفراعنة (إيزيس)، وأطلق عليها الفينيقيون اسم

(عشتاروت) أو (عشتار) اختصاراً، واعتبروها ربّة الخصب والأنثى والطبيعة وتجسّد كوكب الزهرة، كما اعتبرت ربّة القمر، ورسمت بصورة هلال أو بقرني قمر جديد، وعنهم أخذ اليونان عبادتها واسمها فحرّفوه في لغتهم إلى لفظة (استَرْتوس Estartos) وجعلوها إلهة الجمال والتوالد ومثّلوها بفتاة بارعة الجمال ذات لباس شفّاف، ثم توحّدت مع أفروديت.

ويؤكد هذه النسبة مؤرّخ دمشق الكبير ابن عساكر إذ يقول: (باب توما للزهرة).

ويقول عبد القادر بدران نقلاً عن أحد الحكماء: ويصوّرون الزهرة بصورة امرأة، عندها عود تضرب به. أو بصورة امرأة جالسة، مرسلة شعرها، وذوائبها في يدها اليسرى، وفي يمينها مرآة تنظر فيها، ولباسها أصفر وأخضر، وعليها الطوق والسوار والخلخال.

ويذكر الأب الباحث أيوب سميا أنه بعد مرور (٨١) سنة على موت الإسكندر المقدوني أي في سنة (١٤٢) ق.م، تولّى سورية الملك السلوقي «تريغون» مزاحماً ديمتريوس الثاني، فرمّم ما تشعّث من السور في عهد ديمتريوس بتأثير هجمات بطليموس ملك مصر، ومن جملة ما رمم باب الزهرة (باب توما)، وقد نقش تاريخ الترميم بحرفين يونانيين هما (ΠA) على حجر ظاهر ويعنيان العدد (٨١) المعادل لسنة (١٤٢) ق.م، ويشاهد الحجر اليوم في الجهة الشرقية من الأثر إلى جهة الساحة [ساحة باب توما] على علو متر من الأرض، ويبلغ طوله (١٢٥ سم) وارتفاعه (٨٥ سم)، أما الحرف الصغير (A) الذي يسبق الحرفين المذكورين ولا يجانسهما في الحجم فيعني حرف الجرّ: في. كما يذكر أن الباب الذي أقامه اليونان شيّدوه بقوس ضخمة واحدة ترتكز على أسكفّة عظيمة تمتدّ فوق عضادتي الباب وعليها سطور كتابة يونانية تتعلّق بعبادة الزهرة وبالبناء، ونقشوا في الفسحة

بين القوس والأسكفّة صورة الفتاة التي تمثّل الزهرة، وفي الخصور الداخلية لحجارة القوس نقشوا أفقياً رمز البيضة والهلالين خطاً نصف دائرة .

ولما احتلّ الرومان دمشق سنة (٦٤) ق.م وكانوا يعبدون نفس الإلهة باسم آخر هو (ڤينوس Venus)، تركوا كل شيء من عهد اليونان على حاله ، لكنّهم ابدلوا الاسم وأبقوا على النقش الذي يمثّل الزهرة، كما حصّنوا هذا الباب وزادوا منعته .

ومنذ أن صارت دولة الرومان مسيحية في عهد الأمبراطور قسطنطين الأول الكبير في القرن الرابع الميلادي، وصارت تعرف بالدولة البيزنطيّة، جرت هذه الدولة على خطّة الوثنيين في تسمية أبواب دمشق وبقية المدن الكبرى ونسبتها إلى الكواكب، لكنها قامت باستبدال هذه النسبة إلى أسماء قدّيسين وأعياد دينية، وكان من نصيب باب توما أن نُسب إلى القدّيس توما الرسول أحد تلامذة السيّد المسيح، فأقاموا باسمه كنيسة وديراً في موضع معبد (ديونيسيوس Dionysios) إله الخمر عند اليونان، وكان موقعه خارج الباب على الضفّة الشمالية لفرع من فروع نهر بردى في ذلك المكان، كما أقاموا كنيسة أخرى بنفس اسم توما داخل الباب .

وفي أيام الأمبراطور البيزنطي القوي (هرقل) قام صهره زوج ابنته واسمه توما – من قبيل المصادفة – وكان بطريقاً والياً على سورية التي كانت قاعدتها دمشق بتحصين الباب وتدعيمه بعد أن كان قد تصدّع بزلزلة، فظن بعض مؤرّخي العرب بعد الفتح الإسلامي أنه سمّي باسمه فقالوا: (يُنسب إلى عظيم من عظماء الروم اسمه توما). كما ذهب البعض الآخر منهم إلى أنه منسوب لقرية في الغوطة الشرقية كان اسمها: (توماء) وكانت تتّصل بقرية الصوفانية – محلّة الصوفانية في القصّاع اليوم .

كان باب توما من أشهر الأبواب في الزمن البيزنطي، وكذلك ديره، وكانت

تقام عنده مهرجانات عيد القديس توما وبقيّة المناسبات المتعلّقة به .

وعند الفتح العربي لدمشق سنة (١٤ هـ) نزل على هذا الباب القائد (عمرو بن العاص) - وقيل بل شرحبيل بن حسنة - وكان من قوّاد العرب أثناء حصاره عبد الرحمن بن أبي السرح فأنشد شعراً منه :

ألا أبلغ أبا سفيانَ عنا بأننـا ... على خيرِ حالٍ كان جيشٌ يكونُها
وكنّا على بابٍ لتوماء نرتمي ... وقد حان من بابٍ لتومـا حُيونُها

وعمرو : هو عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي ، أبو عبد الله ، أحد عظماء العرب ودهاتهم ، ولد سنة (٥٠ ق هـ) وتوفى سنة (٤٣ هـ) .

وشُرَحبيل : هو شرحبيل بن عبد الله بن المطاع بن الغطريف ، الكندي حليف بني زهرة ، صحابي وكاتب وحي الرسول ، ولد سنة (٥٠ ق هـ) وتوفى في طاعون عمواس بفلسطين مع أبي عبيدة بن الجرّاح سنة (١٨ هـ) .

وحول القتال عند هذا الباب يقول الباحث الأب أيوب سميا : (صارت على باب توما في صيف سنة ١٤ هـ/ ٦٣٤ م حروب هائلة بين الروم بقيادة البطريق توما والي دمشق وصهر الإمبراطور (هرقل) صاحب البلاد لابنته ، والعرب المسلمين بقيادة الأمير شرحبيل بن حسنة الصحابي وأحد كتّاب الوحي ، إلا أنه كان تحت إشراف الأمير أبي سليمان خالد بن الوليد الذي كان منوطاً به أمر الحصار على البابين الشرقي وتوما ، وطالت مدّة هذّ الحرب والحصار شهرين وعشرة أيّام ، وكان الروم في بدئها يخرجون من الباب ويواقعون العرب ، وكان انكسارهم أكثر من انتصارهم حتى لزموا المدينة وانحصروا فيها ، واقتصر دفاعهم على الباب وجهتيه ، إذ كانوا يرمون العرب بالنبال من المرامي ، ولم يكن المسلمون طيلة هذه المدّة يضيّقون على

(دير توما) ولا على غيره من الأديرة التي كانت متقاربة خارج السور، إذ لم يروا من رهبانها مقاومة بل مسالمة، فكان العرب يعاملونهم بالحسنى. وقد قتل في هذه الحرب من الطرفين كثير).

وكان من صناديد العرب وأشهرهم في هذه المعارك القائد شرحبيل بن حسنة، وضرار بن الأزور، وأبان بن سعيد بن العاص ورافع بن عميرة وغيرهم، ومن المحاربات المسلمات البطلتان خولة بنت الأزور وقد أُسرت في منطقة (بيت لهيا) - حي القصّاع وساحة العبّاسيين اليوم - بعدما قتلت من الروم الكثير في محاولة البحث وتخليص اخيها ضرار بن الأزور الذي أسره الروم أثناء المعارك هناك وقد خلّصها خالد بن الوليد، كما أنقذ رافع بن عميرة ضرار على طريق حمص على قول الواقدي، والأخرى زوجة أبان بن سعد بن العاص بعدما أخذت بثأر زوجها من الروم بإبلائها بقتلْ كثير منهم).

وضرار: هو ضرار بن مالك (الأزور) بن أوس بن خزيمة الأسدي، أحد أبطال الجاهلية والإسلام، توفى في اليمامة وقيل في غيرها.

وأبان: هو أبان بن سعيد بن العاص الأموي، صحابي، استشهد في معركة أجنادين عند فتوح الشام، وقيل توفى في خلافة عثمان سنة (١٣ هـ).

و خولة: هي خولة بنت مالك (الأَزْوَر) بن أوس بن خزيمة الأسدي، تنسب إلى قبيلة أسَد بن خُزيمة من قبائل العدنانية ومنازلهم أرض نَجْدْ في الحجاز، توفّيت حوالي سنه (٣٥ هـ) أواخر خلافة عثمان بن عفّان.

كانت خولة ترتدي عند قتالها ملابس الفرسان الرجال ذات اللون الأسود [وقيل الأخضر]، وتضع لثاماً على وجهها لا يُظهر منها إلا العينين وتحزم وسطها بعمامة خضراء وتسحبها على صدرها من ورائها وتحمل رمحاً طويلاً ولم يتمكّن أحد من معرفتها، وكانت تغير على الروم وتغيب في وسطهم فتقتل منهم الكثير ثم

تخرج وسنان رمحها يقطر دماً وثيابها ملطّخة بالدماء، إلى أن كشفت اللثام عن وجهها أمام خالد بن الوليد بعد إلحاحه فعرفها، وكانت تبحث عن أخيها (ضرار بن الأزور) الذي أسره الروم كما أسلفت فتصول وتجول أمام جحافلهم فتقتل ما تقتل وهي تنشد:

نحن بنات تُبّع(١) وحِمْيَرْ(٢) وضَرْبُنا في القومِ ليس يُنْكَرْ
لأننا في الحربِ نارٌ تَسْعَرَ اليوم تُسْقَوْنَ العذابَ الأكبرْ

قلت: التبع من قبيلة التبابعة وهي بطن من بني حِمْيَر بن سبأ، من القحطانيّة في اليمن، وحِمْيَر بطن من القحطانية، ينتسب إلى حِمْيَر بن سبأ في اليمن.

وكان بطريق الشام البيزنطي (توما) زوج ابنة الإمبراطور (هرقل)، وأثناء المعارك عرض أحد كبار الروم واسمه (البطريق بطرس) على خولة الزواج منها عند أسرها مغرياً إيّاها بعد أن رأى حسنها وجمالها بقوله: يا عربية إقصري عن فعالك فإني مكرمك بكل ما يسرك أما ترضين أن أكون أنا مولاك وأنا الذي تهابني أهل النصرانية ولي ضياع وبساتين وأموال ومواشٍ ومنزلة عند الملك هرقل، وجميع ما أنا فيه مردود إليك، أما ترضين أن تكوني سيدة أهل دمشق فلا تقتلي نفسك. فقالت له: والله لو ظفرت بك لأقطعنّ رأسك والله ما أرضى بك أن ترعى لي الإبل فكيف أرضاك أن تكون لي كفؤاً، قال فلما سمع كلامها حرّض أصحابه على القتال، وقال: أترون عاراً أكبر من هذا في بلاد الشام إن النسوة غلبتكم فاتّقوا غضب الملك. وكانت خولة تأجّج حماسة النساء وهنّ في أسر الروم وتقول: يا بنات حِمْيَر، بقيّة تُبّع، أترضين بأنفسكنّ علوج الروم، ويكون أولادكن عبيداً لهم، فأين شجاعتكن

وبراعتكن التي نتحدّث بها عنكن في أحياء العرب ومحاضر الحضر، ولا أراكن إلا بمعزل عن ذلك، وإني أرى القتل عليكن أهون من هذه المصائب وما نزل بكن من خدمة الروم.

فقالت لها عفرة بنت غفار الحميريّة: صدقت، ووالله ياابنت الأزور نحن في الشجاعة كما ذكرت، وفي البراعة كما وصفت، لنا المشاهد العظام والمواقف الجسام، ووالله لقد اعتدنا ركوب الخيل وهجوم الليل غير أن السيف يحسن فعله في مثل هذا الوقت، وإنما دهمنا العدو على حين غفلة، وما نحن إلا كالغنم.

فقالت خولة: يا بنات التبابعة والعمالقة، خذوا أعمدة الخيام وأوتاد الأطناب ونحمل بها على هؤلاء اللئام فلعل الله ينصرنا عليهم أو نستريح من معرة العرب، فقالت عفرة بنت غفار: والله ما دعوت إلا ما هو أحب إلينا مما ذكرت.

وتناولت كل واحدة من النسوة عموداً من أعمدة الخيام وصحن صيحة واحدة وألقت خولة على عاتقها عمود الخيمة وسعت من ورائها عفرة، وأم أبان بنت عتبة، وسلمة بنت زراع، ولبنى بنت حازم، ومزروعة بنت عملوق، وسلمة بنت النعمان، وغيرهن.

فقالت لهنّ خولة: لا ينفكّ بعضكن عن بعض، وكنّ كالحلقة الدائرة ولا تتفرّقن فتُمْلَكن فيقع بكن التشتيت، وحطّمن رماح القوم واكسرن سيوفهن، وحملت خولة حملة عظيمة وصبرت النساء اللاتي كنّ يقاتلن معها صبر الكرام، وقاتلن قتال الشجعان حتى وصل خالد بن الوليد إليهن فانهزم الروم إلى داخل الأسوار وسلمت النساء.

وفي العهد الأموي شيّد عبد الله بن درّاج كاتب رسائل معاوية على هذا الباب برجاً عُرف باسم (برج الدرّاجية) ولا أثر له اليوم.

وعند الحصار العبّاسي لدمشق سنه (١٣٢ هـ) نزل على هذا الباب (حميد بن قحطبة).

وفي العهد الأتابكي النوري، قام السلطان نور الدين محمود بن زنكي (الملقّب بالشهيد) بترميمه والسور، وأقام عنده مسجداً ورفع فوق الباب مئذنة كما فعل في بقية أبواب المدينة.

قلت: (أزيل المسجد في بدايات الإحتلال الفرنسي لدمشق في العشرينات من هذا القرن عند تنظيم المنطقة، كما أزال المئذنة المهندس الفرنسي [إيكوشار] في الثلاثينات وقبيل الحرب العالمية الثانية تنفيذاً لمخطّطه في إعادة تنظيم منطقة باب توما).

وفي العهد الأيوبي، أعاد الملك الناصر داوود بن الملك المعظّم عيسى بناءه بعد أن تشعّث ونقش على عتبته من الداخل نصاً مؤرّخاً فيه:

(أمر بعمل هذا الباب والسور مولانا السلطان الملك الناصر صلاح الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين محيي العدل في العالمين سيد الملوك والسلاطين داوود بن المولى الملك المعظّم شرف الدين عيسى بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيّوب بتولّي العبد الفقير إلى رحمة ربّه محمد بن قرشي في سنة خمس وعشرين وستمائة).

ويقول ابن كثير في حوادث سنة (٦٤٢ هـ) من العهد الأيوبي: (صارت وقعة عظيمة بين الخوارزميّة بقيادة مليكهم بركات خان - الذين استقدمهم الملك الصالح أيوب صاحب مصر ليستنجد بهم على الملك الصالح اسماعيل أبي الحسن صاحب دمشق، فاتّفق الصالح اسماعيل والناصر داوود صاحب الكرك والمنصور صاحب حمص مع الفرنج - واقتتلوا مع الخوارزمية قتالاً شديداً فهزمتهم الخوارزميّة

وارسل الصالح أيوب إلى دمشق ليحاصرها، فحصّنها الصالح اسماعيل وخرب من حولها رباعاً كثيرة، وكسر جسر باب توما فسار النهر فتراجع الماء حتى صار بحيرة من باب توما وباب السلامة، فغرق جميع ما كان بينهما من العمران، وافتقر كثير من الناس).

والصالح أيوب: هو الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل ناصر الدين محمّد بن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب، سابع ملوك الأيوبيين في مصر وتاسعهم بدمشق، ولد بالقاهرة سنة (٦٠٣ هـ)، وتولّى حصن كيفا سنة (٦٢٩ هـ)، ثم الرُها وحرّان سنة (٦٣٣ هـ)، بعدها سنجار ونصيبين سنة (٦٣٥ هـ)، ثم دمشق سنة (٦٣٧ هـ، وقيل ٦٣٦) ثم مصر حيث توفي في القاهرة سنة (٦٤٧ هـ).

والصالح اسماعيل: هو الملك الصالح عماد الدين اسماعيل بن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب، عمّ الصالح أيوب الآنف الذكر، وسادس ملوك الأيوبيين في دمشق وبصرى سنة (٦٣٧ هـ)، وخامسهم في بعلبك، قتل بمصر سنة (٦٤٨ هـ). وكان قد اتّفق مع الفرنج سنة (٦٤١ هـ) - لما علم باستدعاء الصالح أيوب للخوارزميّة - لمساعدته في الإستيلاء على دمشق مقابل تسليمهم القدس بما فيها من المزارات، وعسقلان وطبريّا.

والخوارزميّة: هم سكّان خوارزم وهي منطقة تاريخية في آسيا الوسطى، على ضفاف نهر أمو داريا (نهر جيحون) في أراضي جمهوريتي تركمانستان وأوزبكستان الحاليتين. خضعت لحكم الفرس الأخمينيين، وفتحها العرب في القرن السابع للميلاد، ثم حكمتها سلالة مستقلّة عرفت بالسلالة الخوارزمشاهيّة بين القرن الحادي عشر والثالث عشر للميلاد، وخضعت لجنكيز خان سلطان المغول ولتيمورلنك ملك التتار، وفتحها الروس وأخضعوها لحمايتهم سنة

(١٨٧٣م) ثم صارت سنة (١٩٢٠م) إحدى جمهوريات الإتحاد السوفياتي تحت اسم (جمهورية خوارزم الشعبية السوفياتية).

وفي العهد المملوكي أمر نائب الشام (تنكز) بإصلاح باب توما فشرع فيه وجُعل ارتفاعه عشرة أذرع، وجدّدت حجارته وحديده في أسرع وقت، ونقش على عتبته من الخارج:

(بسملة - جُدِّدَ هذا الباب المبارك في أيام مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن مولانا السلطان الشهيد المنصور قلاوون الصالحي أعزّ الله أنصاره وذلك بإشارة المقر الأشرفي العالي المولوي الأميري الكبيري الغازي المجاهدي المرابطي المثاغري المؤيدي الممالكي المخدومي السيفي تنكز الناصري كافل الممالك الشريفة بالشام المحروس عزّ نصره وذلك في العشر الأول من من ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين وسبعمائة).

هذا ويبلغ ارتفاع الباب الحالي (٤٣٨ سم) وعرضه (٣٢٢ سم) وسماكته (٧ أمتار) وهو مغطّى بقبوة مدببّة متّجهة نحو داخل المدينة.

فتوح البلدان للبلاذري ١٦٥

من كتاب فتوح الشام للواقدي ٧٣

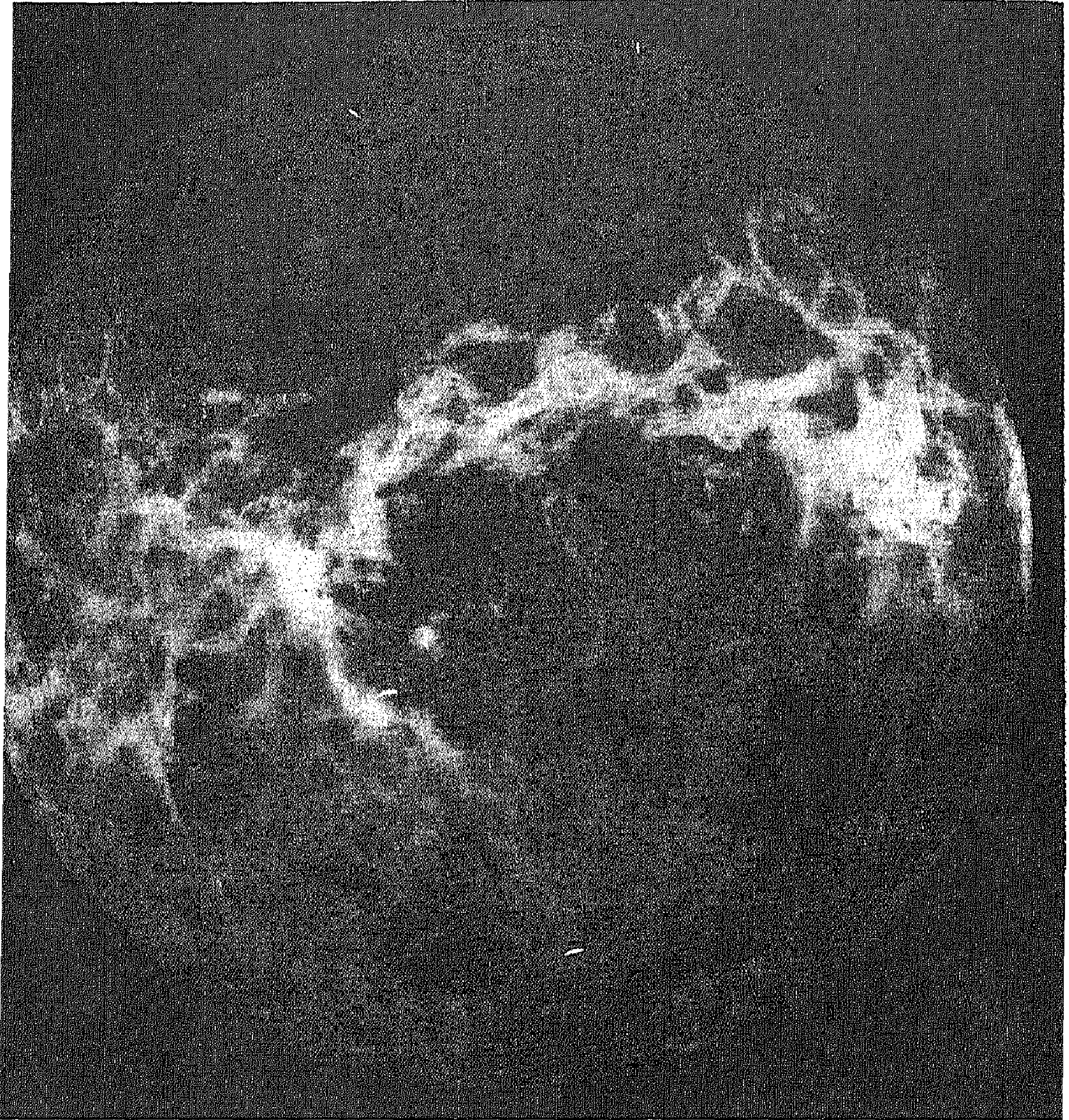
تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٤٠

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ١/ ١٥، ٢/ ١٨٥

البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٢٤، ١٣/ ١٩٣
الكامل في التاريخ لابن الأثير ٤/ ٣٣٠
معجم البلدان لياقوت الحموي ٢/ ٥٩
نزهة الأنام للبدري ٢٤
منادمة الأطلال لبدران ٤٣
الآثار الإسلامية في دمشق لڤاتسنگر ٣٩١
الآثار التاريخية في دمشق لسوڤاجيه ٥٧
معجم الأساطير لشابيرو وهندريكس ٥٢
الأعلام (قاموس تراجم) للزركلي ١/ ٢٠، ٢/ ٢٧٢، ٣/ ٢٣٤، ٣١١، ٥/ ٢٤٨
معجم قبائل العرب لكحّالة
مجلة الإيمان عدد ٣ ١٩٥٨ مقالة باب توما لسميا
دمشق القديمة للمنجّد مديرية الآثار ١٩٤٥
خطط دمشق للمنجّد ٨٣
مقالة (شيلوه - شيلون) لسميا المجلّة البطريركية ١٩٦٦ ص ٥٦٠
دمشق تاريخ وصور للشهابي ١٩٩٠ ط٢ ص ٣٣٤
معالم دمشق التاريخية للإيبش والشهابي ١٩٩٦



ڤينوس Venus ربّة الحب والجمال عند الرومان.
وهي نفسها أفروديت Aphrodite عند الإغريق
ويمثّلهما كوكب الزهرة الذي نُسب إليه
باب توما في العهدين اليوناني والروماني



كوكب الزهرة Venus

الذي يمثّل عند الرومان ربّة الحب والجمال ڤينوس

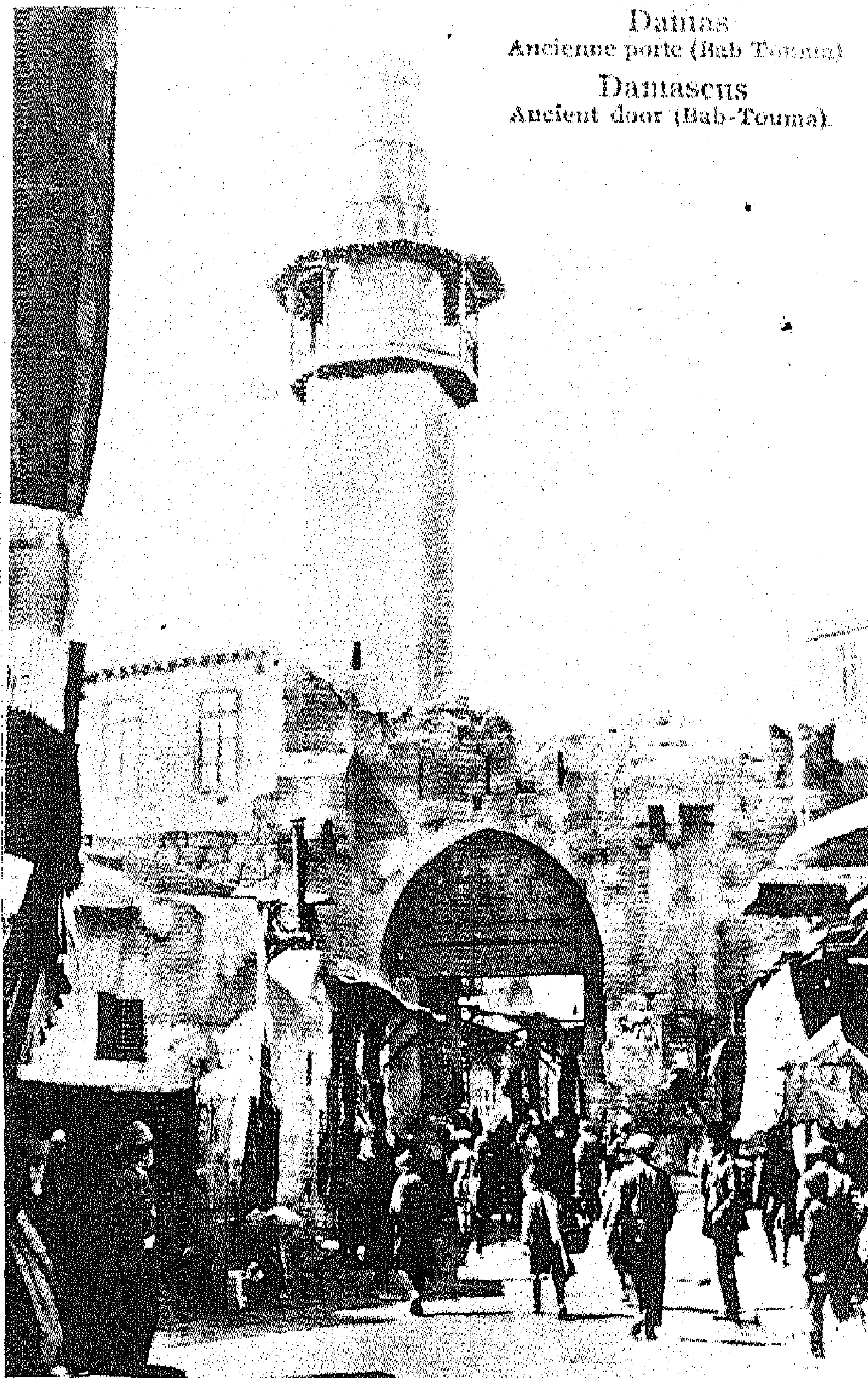
وعند الإغريق ربّة الحب أفروديت

(الصورة عن وكالة الفضاء الأمريكية Nasa)

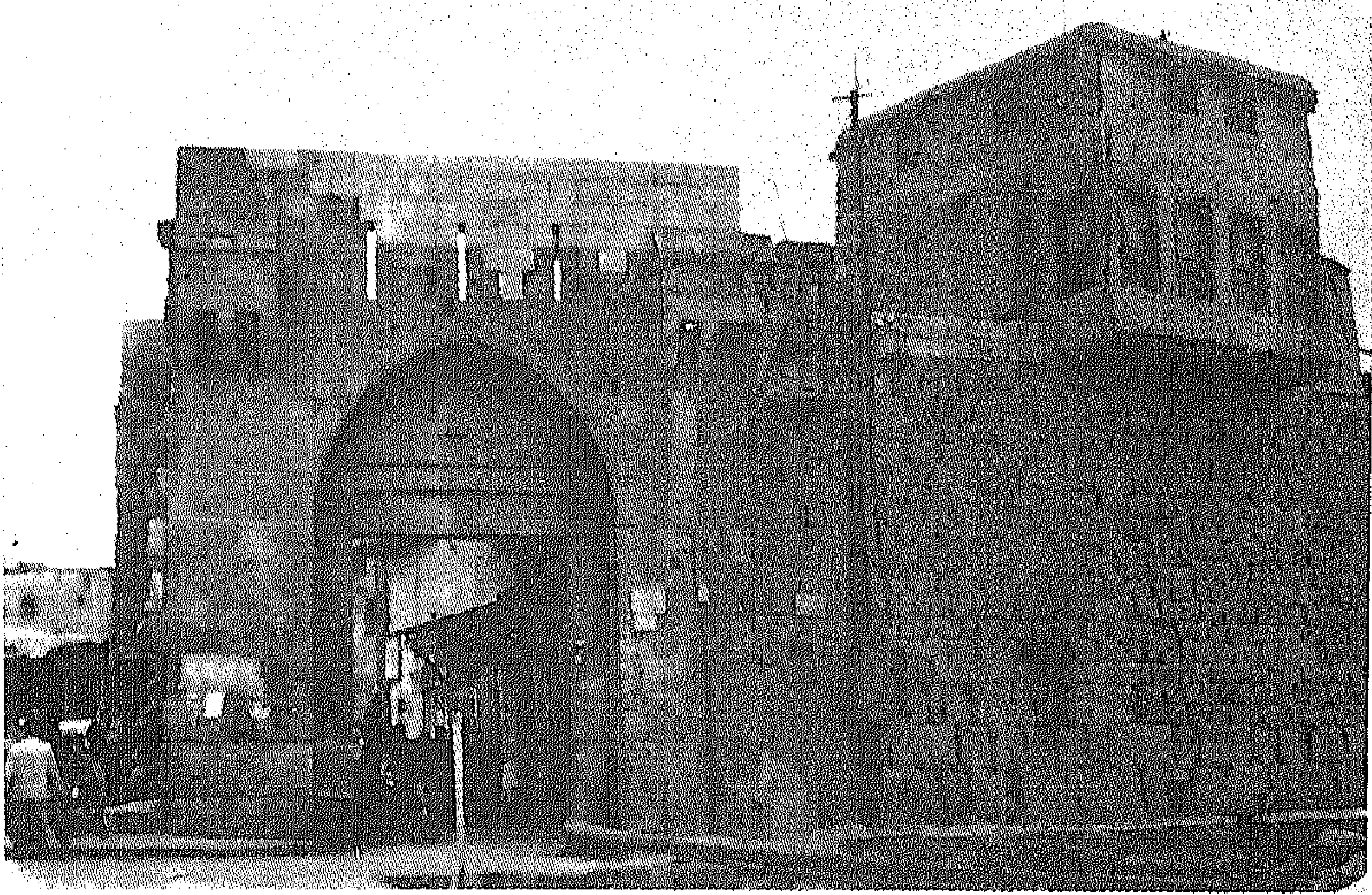


لوحة حفر لباب توما من الخارج بريشة فنّان أوروبي

في القرن التاسع عشر للميلاد



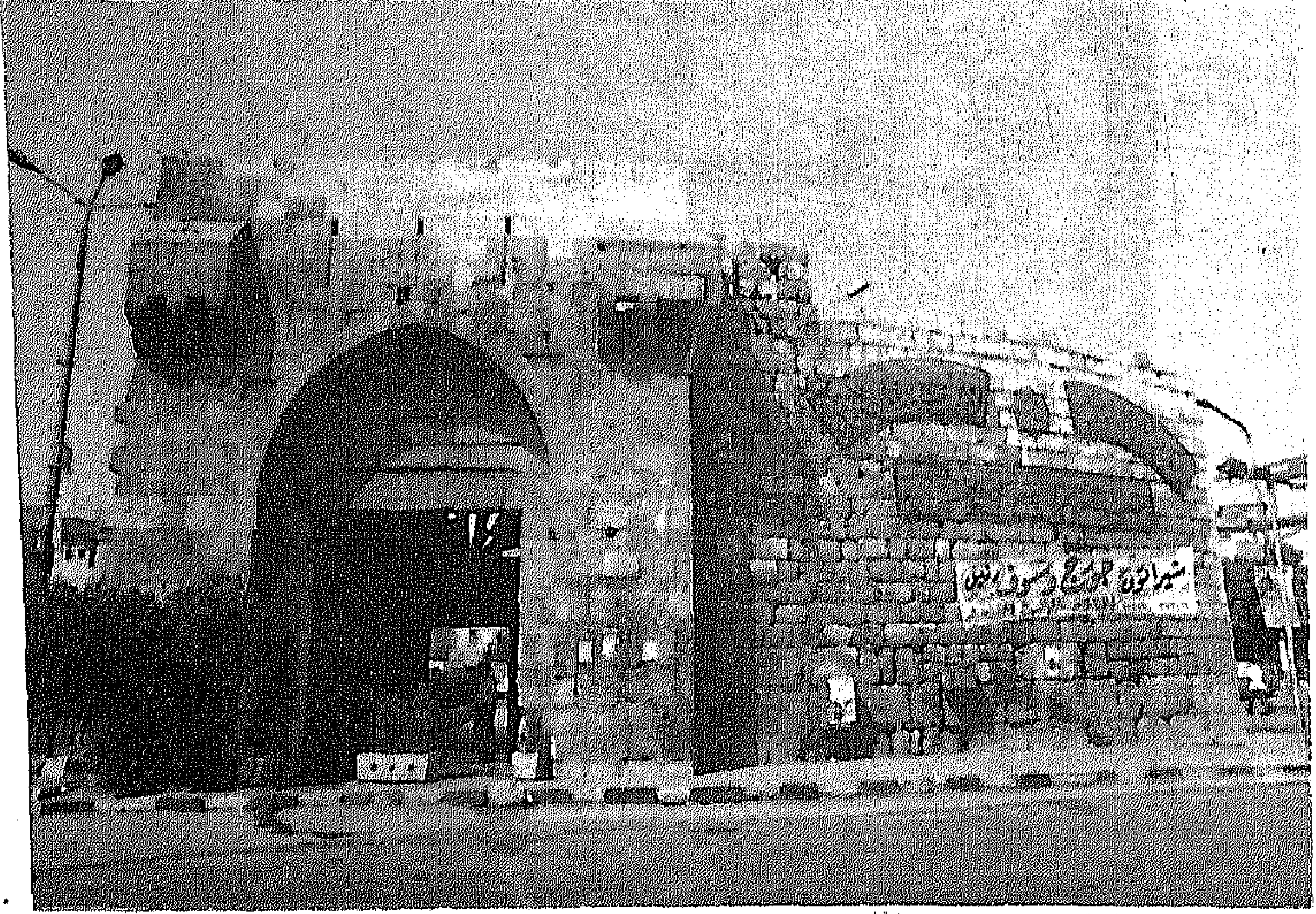
صورة من عشرينات هذا القرن لباب توما من خارجه تشاهد فيها الأسواق التي كانت تمتدّ على طرفيه كما تشاهد مئذنة مسجده التي أزالها المهندس الفرنسي (إيكوشار) في ثلاثينات هذا القرن أيام الإنتداب



باب توما في خمسينات هذا القرن ويعلو السور المجاور للباب بيت أزيل عند تنظيم الساحة حوله



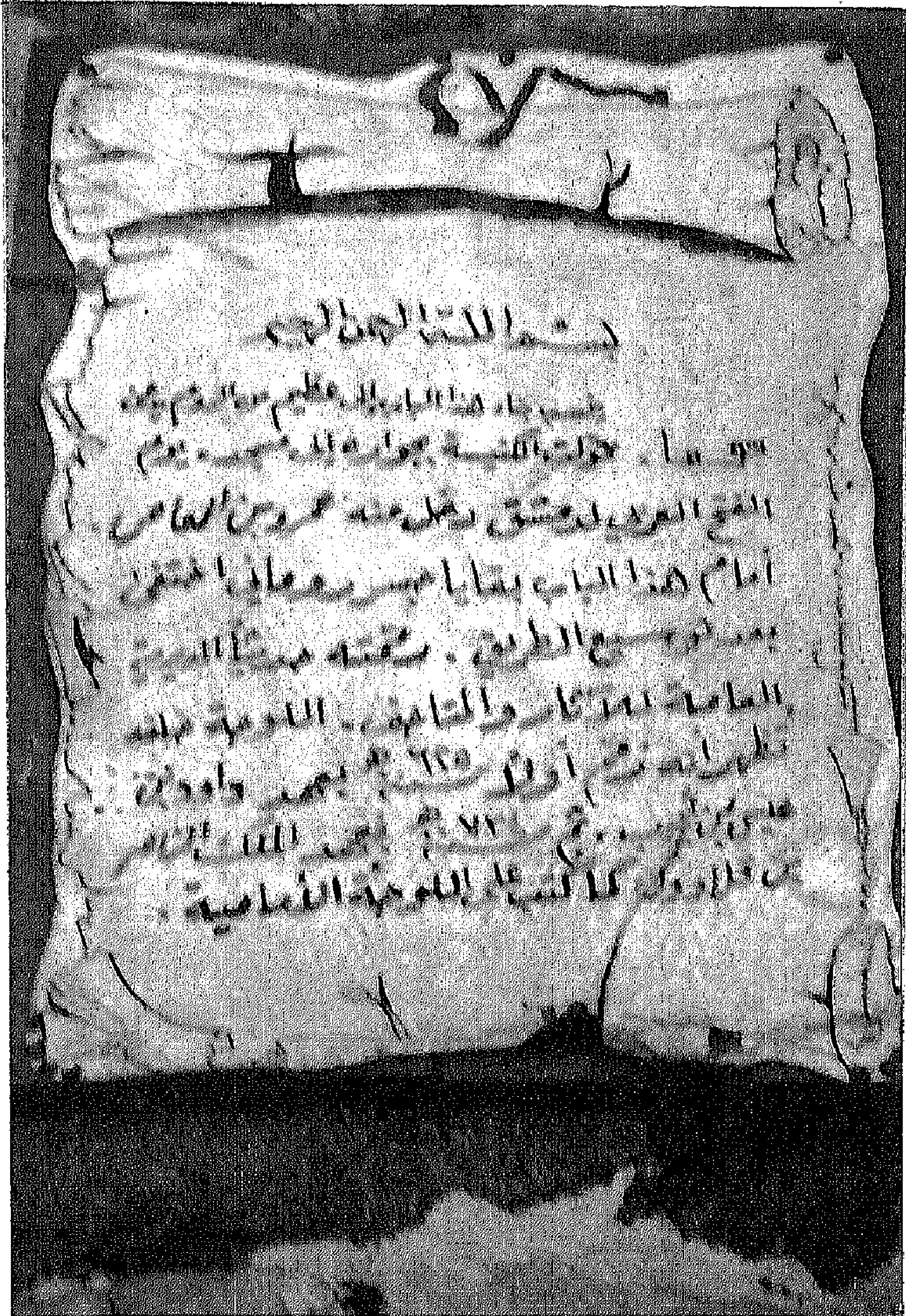
خارج باب تُوما في عشرينات هذا القرن وتبدو في العمق مئذنة مسجد باب توما



الواجهة الخارجية لباب توما وبجواره قطعة من السور الممتد بينه وبين باب السلام
(بعدسة المؤلّف من الشمال إلى الجنوب صيف عام ١٩٩٦م)



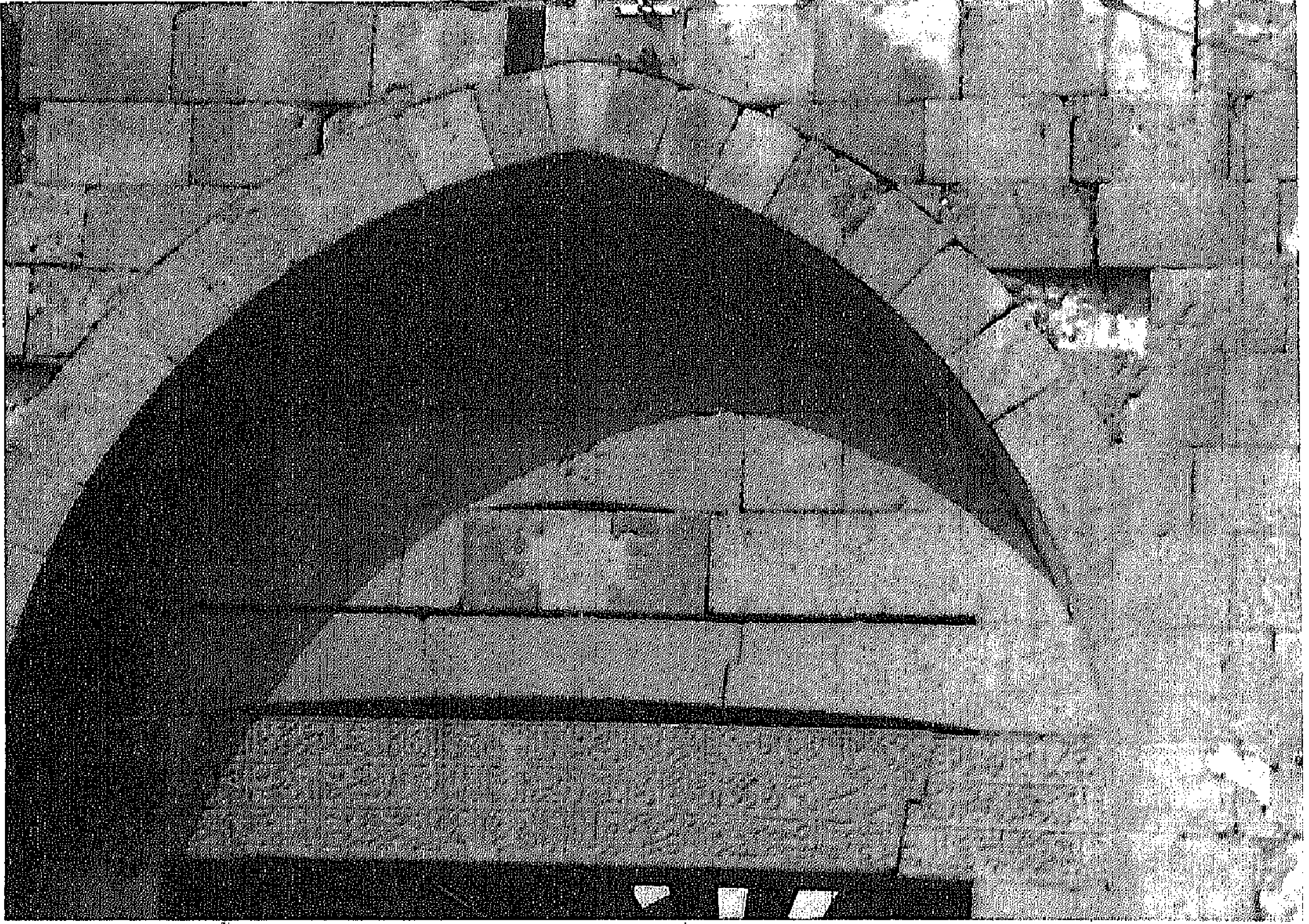
الواجهة الداخلية لباب توما والحديقة خلفه، وفي جهة اليمين قاعدة مئذنته
(بعدسة المؤلّف من الجنوب إلى الشمال صيف عام ١٩٩٦م)



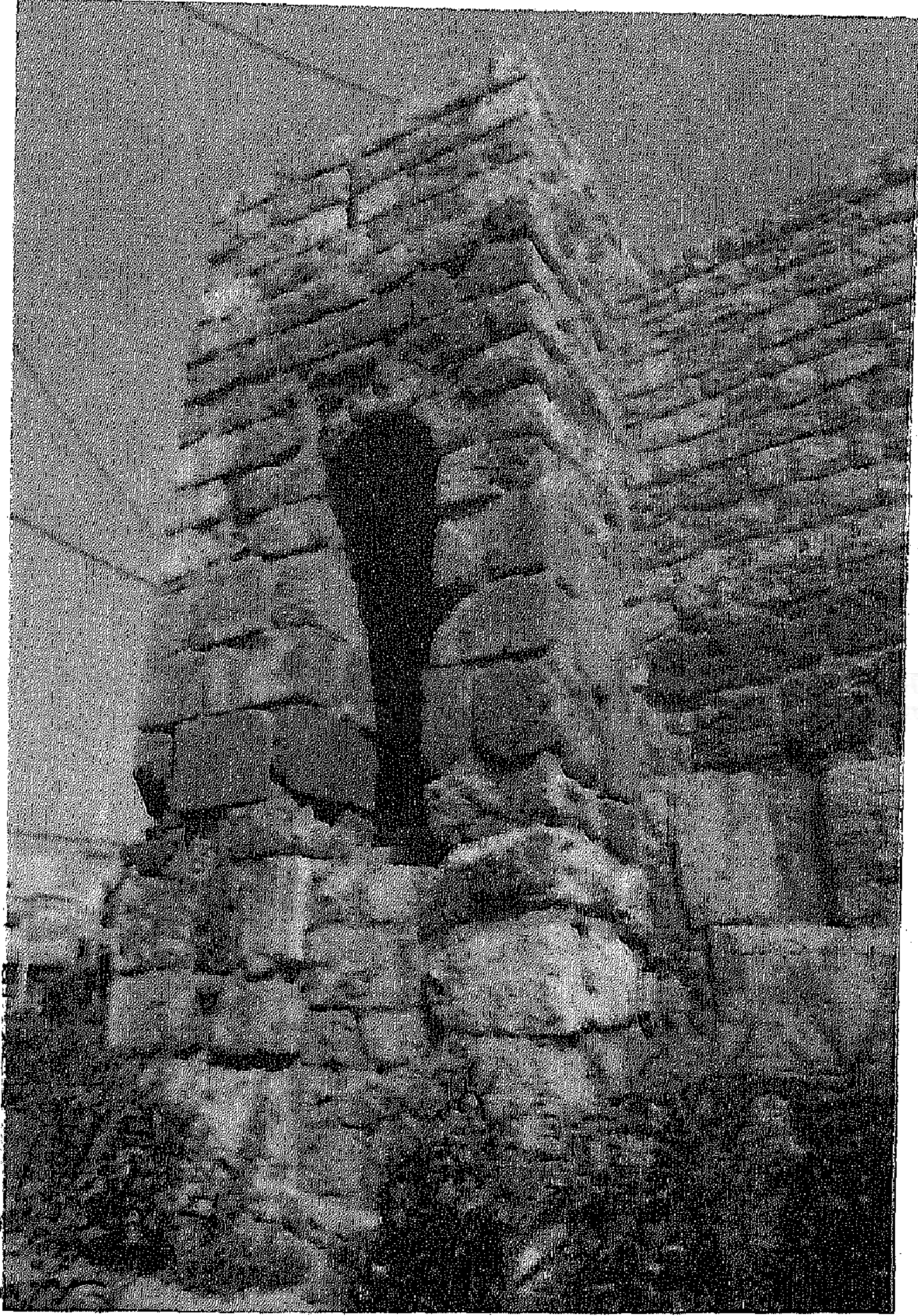
لوحة جدارية تأريخيّة ركيكة السبك ضعيفة اللغة مهلهلة الخط في جدار الباب إلى يسار الداخل منه، توحي بأن من نفذّها كان فناناً شعبياً، وهي تحمل العبارات التالية:

بسم الله الرحمن الرحيم

ينسب بناء هذا الباب إلى عظيم من الروم يدعى توما. حوّلت الكنيسة بجواره إلى مسجد. يوم الفتح العربي لدمشق ودخل منه عمرو بن العاص أمام هذا الباب بقايا جسر روماني اختفى بعد توسيع الطريق. رمّمته حديثاً المديريّة العامّة للآثار والمتاحف. اللوحة خلفه تُظهر أنه رقُم أولاً سنة ٦٢٥هـ بعهد داود بن عيسى بن أيوب. ثم سنة ٧٣٤هـ بعهد الملك الناصر بن قلاوون كما كتب على اللوحة الأماميّة. (بعدسة المؤلّف صيف عام ١٩٩٦م)



القوس المدبّبة التي تعلو باب توما وتحتضن ساكفاً حجرياً منقوشاً بالكتابات المؤرّخة من العهد المملوكي ذكرتها في المتن.
(بعدسة المؤرّخ صيف عام ١٩٩٦م)



قاعدة مئذنة مسجد باب توما التي كانت لصيقة الباب قبل أن تزال في ثلاثينات هذا
القرن عند تنظيم المنطقة
(بعدسة المؤلّف من الشرق إلى الغرب صيف عام ١٩٩٦م)

باب الجابية

الباب الغربي لسور دمشق

من الأبواب السبعة الأصلية لمدينة دمشق القديمة، بناه الرومان، وقيل دونما إثبات أثري أو تاريخي: شيّدوه على أنقاض الباب اليوناني، ولا يمكن الجزم إن كان هذا الأخير قد شيّد أيضاً على أنقاض الباب الآرامي الأقدم.

يُنسب الباب إلى كوكب المرّيخ، وهو إله الحرب عند اليونان (آريس Ares) وتروي الأساطير الإغريقية بأنه كان شديد البأس والشكيمة، ذا قامة ضخمة وصوت قاصف كالرعد، وكان أسرع من كل الآلهة يصحبه الخوف والرعب أينما سار. وقد اتّخذ فيما بعد بإله الحرب الروماني (مارس Mars).

ويذكر أبو البقاء البدري من علماء القرن التاسع للهجرة: (وكان من حكماء اليونان من اتّخذ على باب الجابية صورة إنسان مطرق الرأس كالمتفكّر، ومن أعماله أنه إذا دخل أحد يريد بدمشق سوءاً أو بأهلها، فإن ذلك الإنسان يصرّ لأنينه الباب، فيعلم به خدمة الباب وقوّامه).

قلت: غير أن البدري غيّر من نصّ ابن عساكر في نسبة بابين، ولعل الأمر اختلط عليه عندما نقل عنه فقال: (والأبواب صوّروها على الكواكب . . . وعلى باب الجابية المشتري، وعلى الباب الصغير المرّيخ). في حين وردت عند ابن عساكر: (باب الجابية للمرّيخ، والباب الصغير للمشتري)، ومن الطبيعي أن يكون نصّ ابن عساكر أكثر صحةً لأنه أقدم وكانت وفاته سنة (٥٧١ هـ) بينما توفى البدري سنة (٨٩٤ هـ).

كما يذكر عبد القادر بدران عن أحد الحكماء: ويصوّرون المرّيخ بصورة

شابٌّ في يمينه سيف مصلت، وفي يساره طبرزين [فأس]. ويصوّرونه أيضاً بصورة شاب أشقر، راكب على فرس أشقر، في رأسه مِغْفَر، وفي يساره رمح فيه علامة، وفي يمينه رأس رجل، ولباسه أحمر.

يرجع المؤرّخون العرب تسمية باب الجابية إلى (قرية الجابية) لأن الخارج من دمشق إليها يخرج من هذا الباب لكونه مما يليها، والجابية كما يذكر ياقوت الحموي في معجمه: (وهي قرية من أعمال دمشق ثم من عمل الجيدُور من ناحية الجولان قرب مرج الصفّر في شمالي حوران، إذا وقف الإنسان في الصنمين واستقبل الشمال ظهرت له، وتظهر من نوى أيضاً، وبالقرب منها تلّ يسمّى (تلّ الجابية)، ويقال لها أيضاً: (جابية الجولان)، نزلها الخليفة الراشدي عمر بن الخطّاب مع زعماء الصحابة للتداول في شؤون الفتح وخطب فيها خطبة طويلة بليغة، فكان يوم الجابية وكانت خطبة الجابية، قال ابن كثير في حوادث سنة ١٥ هـ: (وكان أول من تلقّاه [عمر] يزيد بن أبي سفيان، ثم أبو عبيدة، ثم خالد بن الوليد في خيول المسلمين وعليهم يلامق الديباج، فسار إليهم عمر ليحصبهم، وقال لهم لما رأى ما عليهم من ثياب: ويحكم لا تعتزّوا بغير ما أعزّكم الله به فتذلّوا، فاعتذرو إليه بأن عليهم السلاح، وأنهم يحتاجون إليه في حروبهم، فسكت عنهم). ويبدو أن الجابية كانت في العصر الأموي من أهمّ قرى حوران حتى ينسب الباب إليها، وكانت قبل ذلك منازل أمراء بني جفنة الغساسنة، وجعلها العرب عند فتحهم للشام جُنداً (إقليماً إدارياً)، وفيها تقاسم المسلمون الغنائم بعد معركة اليرموك الشهيرة، وفيها أيضاً عُقد المؤتمر الذي بويع به لمروان بن الحكم بالخلافة في العهد الأموي سنة (٦٤هـ).

قلت: درج سكّان المدن الكبرى في العصور الإسلامية على تسمية بعض أبواب مدنهم بأسماء المدن الهامة الأخرى التي تسامتها ويُخرج إليها منها، كباب

مصر في دمشق [بوابة الأشمر في حي الميدان الفوقاني اليوم]، وباب دمشق وباب يافا في القدس، وباب أنطاكية في حلب، وباب بغداد بالرقّة، وباب الشام بحمص، كذلك كانوا يطلقون عليها تسميات دينية، كبوّابة الله في الميدان وهي نفسها بوّابة الأشمر التي ذكرت، وكباب هود في حمص، وما إلى ذلك. ولست أعتقد بأن قرية الجابية كانت في تلك العصر من الأهمية بحيث ينسب إليها الباب. ولكن رب قائل: أما نُسب باب العمارة إلى الفراديس وهي قرية؟ والجواب أن الفراديس كانت قبالة الباب مباشرة لا على مسافة تتجاوز المئة كيلومتر كما هو الحال في قرية الجابية. من ذلك يبقى لديّ احتمالان:

أولهما كون التسمية مولّدة من السريانية الشرقية (كُوبْتا أو قُوبْتا) وتعني الجبّ أو الحفرة، وهذا يتقارض مع اسم الجابية العربي الذي ذكره ابن فارس في كتابه «اشتقاق البلاد» ويعني: الحوض أو الخابية الكبيرة، وجمعها: جوَابٍ. ومن المحتمل أيضاً أن تكون من الجذر السرياني (قْبَا) أي جمع الماء في الحوض، أو من جذر (جَبْ) بمعنى جنَب وطَرَف، ومنها (جبْايا) أي جانبي.

وثانيهما أن يكون اسم الجابية محرّفاً عن اسم كبير آلهة الرومان (جوپيتر) الذي يرمز إلى كوكب المشتري المنسوب إليه هذا الباب والتقارب اللفظي بينهما واضح، والجدير بالذكر أن اسم (جوپيتر الدمشقي) كان يطلق أيضاً على معبد دمشق في ذلك العصر.

ومن طريف ما يشاع على ألسنة العامّة أن الباب منسوب إلى وليّة صالحة تدعى «ستّي جابية» وقبرها بجواره وهذا وهم، إذ لم ترد في المصادر التاريخية أو في كتب الزيارات أو كتب فضائل دمشق أو حتى كتب الوفيّات أية إشارة لاسم هذه الوليّة.

كان لشهرة باب الجابية في العصر الروماني ما لشهرة الباب الشرقي، وكان

هو أيضاً بثلاثة أبواب، الأوسط منها كبير ضخم، وعلى طرفيه بابان صغيران، وتمتد الأسواق والأروقة من هذه الأبواب حتى الباب الشرقي. وكان الأوسط من الأسواق للناس، و أحد السوقين لمن يشرّق بدابّته، والثاني لمن يغرّب بها، حتى أنه كان لا يلتقي فيها راكبان. فسُدّ الباب الباب الكبير والشمالي منها، وبقي القبلي إلى الآن، كما ذكر ابن عساكر.

قلت: تشير مقولة ابن عساكر إلى أن أول نظام للسير في العالم كان مطبّقاً بين باب الجابية والباب الشرقي. ولا غرو فكم أعطى العرب من الحضارة لشعوب الأرض.

والباب القائم اليوم هو الباب الجنوبي الصغير من الأبواب الثلاثة.

وعلى باب الجابية نزل الصحابي أبو عبيدة بن الجرّاح يوم فتح دمشق سنة (١٤ هـ)، وجرت عنده بعض المعارك هي أقل بكثير مما جرى عند الباب الشرقي، ويذكر الواقدي عن تميم بن عدي وكان ممن شهد فتوح الشام قوله: (كنت في خيمة أبي عبيدة وذلك أن أبا عبيدة كان يصلّي فيها إذ سمع الصياح، فقال لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم ثم لبس سلاحه ورتّب قومه ودنا من القوم فنظر إليهم وهم في المعمعة والحرب وعدل عنهم ميسرة وميمنة إلى أن جاوزهم وعطف نحو الباب وكبّر وكبّر المسلمون، فلما سمع الروم تكبيرهم ظنّوا أن المسلمين قد دهموهم من ورائهم في جمع كثير فولّوا راجعين فتلقّاهم أبو عبيدة وقومه وأخذوا عليهم المجاز وبذل أبو عبيدة السيف فيهم). ويتابع الواقدي (وتدارس الروم الأمر مع عظيم عندهم فقال لهم: إن أردتم تقارب الأمر فامضوا إلى الذي على باب الجابية، وليتكلّم رجل يعرف العربية بصوت رفيع: يا معشر العرب الأمان حتى ننزل إليكم ونتكلّم مع صاحبكم. قال أبو هريرة: وكان أبو عبيدة قد أنفذ رجالاً من المسلمين مكثراً بالقرب من الباب مخافِ الكبسة مثل الليلة التي خلت، وكانت النوبة لبني دوس والأمير عليها عامر

بن الطفيل الدوسي. قال: فبينما نحن جلوس في مواضعنا من الباب إذ سمعنا أصوات القوم وهم ينادون، قال أبو هريرة: فلما سمعت بادرت إلى أبي عبيدة قال وبشّرته بذلك فاستبشر وقال امض وكلّم القوم وقل لهم لكم الأمان قال: فأتيت القوم وبشّرتهم بالأمان فقالوا من أنت؟ فقلت: أنا أبو هريرة صاحب رسول الله [ص] ولو أن عبيداً أعطوكم الأمان والذمام ونحن في الجاهلية لما غدرنا فكيف وقد هدانا الله إلى دين الإسلام. قال فنزل القوم وفتحوا الباب وإذ هم مائة رجل من كبرائهم وعلمائهم فلما وصلوا خيمة أبي عبيدة رحّب بهم وأجلسهم وقال: إن نبيّنا محمداً [ص] قال: «إذا أتاكم عزيز قوم فاكرموه». وتكلّموا في أمر الصلح وقالوا: إنّا نريد منكم أن تتركوا كنائسنا ولا تنقضوا علينا منها كنيسة. فقال لهم أبو عبيدة: جميع الكنائس لا يؤمر بهدمها. ثم كتب لهم كتاب الصلح والأمان ولم يسم فيه اسمه ولا أثبت شهوداً بذلك، لأنه لم يكن أمير المؤمنين. فلما كتب لهم الكتاب تسلّموه منه وقالوا له: قم معنا إلى البلد. قال: فقام أبو عبيدة وركب معه أبو هريرة، ومعاذ بن جبل، ونعيم بن عمرو، وعبد الله بن عمر الدوسي، وذو الكلاع الحِمْيَري، وحسّان بن النعمان، وجرير بن نوفل الحِمْيَري، وسيف بن سلمة، ومعمر بن خليفة، وربيعة بن مالك، والمغيرة بن شعبة، وأبو لبابة بن المنذر، وعوف بن ساعدة، وعامر بن قيس، وعبادة بن عتيبة، وبشر بن عامر، وعبد الله بن قرط الأسدي، وجملتهم خمسة وثلاثون صحابياً من أعيان الصحابة، وخمسة وستّون من أخلاط الناس، فلما ركبوا وتقدّموا نحو الباب قال أبو عبيدة: أريد منكم رهائن حتى ندخل معكم فأتوه برهائن).

وهكذا دخل أبو عبيدة بن الجرّاح دمشق صلحاً من باب الجابية، ودخل خالد بن الوليد من الباب الشرقي حرباً في نفس الوقت، ولم يكن على علم بدخول أبي عبيدة لأنه كان مشغولاً بالقتال. والتقي الجمعان في (المقسلاط) بمنتصف الشارع

المستقيم - وكان المقسلاط محلّة بالنحّاسين قرب سوق الصوف اليوم، غير أنه من المرجّح كونها بقرب مئذنة الشحم بعد رأس سوق البزورية في الشارع المستقيم - وقيل عند كنيسة المقسلاط بالقرب من درب الريحان، وقيل عند كنيسة مريم، فقال أبو عبيدة: أيها الأمير قد تمّ الصلح - ولم يكن أبو عبيدة يخاطب خالداً يوم الفتح إلا بالإمارة - ثم قال: اعلم اني ما دخلتها إلا بالصلح وكفى الله المؤمنين القتال. وقال المسلمون: إنا قد أمناهم، فقال خالد: إني فتحتها عنوة. واختلف الصحابة فمنهم من يقول: هي صلح - يعني على ما صالحهم أبو عبيدة - وآخرون يقولون: بل هي عنوة لأن خالداً افتتحها بالسيف أولاً. ثم اتفقوا فيما بينهم على أن جعلوا نصفها صلحاً ونصفها عنوة. فملك أهلها نصف ما كان بأيديهم وأقرّوا عليه، واستقرّت يد الصحابة على النصف.

قال ابن كثير: (واختلف العلماء في دمشق هل فُتحت صلحاً أم عنوة؟ فأكثر العلماء على أنه استقرّ أمرها على الصلح، لأنهم شكوا في المتقدّم على الآخر أفتحت عنوة ثم عدل الروم إلى المصالحة، أو فتحت صلحاً، أو اتّفق الإستيلاء من الجانب الآخر قسراً؟ فلمّا شكوا في ذلك جعلوها صلحاً احتياطاً. ثم قيل: إن أبا عبيدة هو الذي كتب لهم كتاب الصلح، وهذا هو الأنسب والأشهر، فإن خالداً كان قد عُزِل عن الإمرة، وقيل بل الذي كتب لهم الصلح خالد بن الوليد، ولكن أقرّه على ذلك أبو عبيدة. فالله أعلم). ويستطرد ابن كثير فيقول: (توفى [أبو بكر] الصديق قبل فتح دمشق، وكتب عمر [بن الخطّاب] إلى أبي عبيدة يعزّيه والمسلمين في الصديق، وأنه قد استنابه على من بالشام، وأمره أن يستشير خالداً في الحرب، فلما وصل الكتاب إلى أبي عبيدة كتمه عن خالد حتى فُتحت دمشق بنحو من عشرين ليلة، فقال له خالد: يرحمك الله، ما منعك أن تعلمني حين جاءك؟ فقال: إني كرهت أن أكسر عليك حربك، وما سلطان الدنيا أريد، ولا للدنيا أعمل، وما ترى

سيصير إلى زوال وانقطاع . وإنما نحن إخوان وما يضرّ الرجل أن يليه أخوه في دينه ودنياه) . وأطاع خالد خليفته وأصبح تحت إمرة أبي عبيدة .

أما نصّ الكتاب فهو : (أوصيك بتقوى الله الذي يبقى ، ويفنى ما سواه وقد استعملتك على جند خالد بن الوليد ، فقم بأمرهم الذي يحقّ عليك . ولا تقدّم المسلمين إلى هَلَكَة رجاء غنيمة . ولا تنزلهم منزلاً قبل أن تستريده لهم وتعلم كيف مأتاه . ولا تبعث سريّة إلا في كثف من الناس . وإيّاك وإلقاء المسلمين في الهَلَكَة وقد أبلاك الله بي ، وأبلاني بك . فغضّ بصرك عن الدنيا ، والهُ قلبكَ عنها ، وإيّاك أن تُهْلِكَك كما أهلكت من قبلك ، فقد رأيت مصارعهم) .

ويدخل أبو عبيدة المدينة من باب الجابية صلحاً فيَسْلَم الباب من الخراب ، وكذلك السور وبقيّة الأبواب .

وأبو عبيدة : هو عامر بن عبد الله بن الجرّاح بن هلال الفهري القرشي ، الأمير القائد ، والصحابي ، وأحد العشرة المبشّرين بالجنّة ، وعنه قال ابن عساكر : داهيتا قريش أبو بكر وأبو عبيدة . وكان لقبه أمين الأمّة . ولد سنة (٤٠ ق هـ) وتوفى بطاعون عمواس سنة (١٨ هـ) ودفن بغور بيسان من أعمال فلسطين . وكان طويلاً نحيفاً معروق الوجه ، خفيف اللحية ، خفيف العارضين ، فاقد الثنيّتين الأماميتين (فقد انتزع بأسنانه نصلاً من جبهة النبي – ص – يوم غزوة أُحُد فكسرتا) .

وفي العهد الأتابكي أعيد بناء هذا الباب أيام نور الدين الشهيد .

قال بدران : (وهذا الباب مبني بحجارة ضخمة ، وفوقه صخرة عظيمة ، وقد وضع طرفاها فوق عضادتيه ، ومكتوب فوقها ما يشير إلى أنه تطرّق إليه بعض انهدام ، فجدّده الملك المعظّم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل [في العهد الأيوبي] ، وهو الذي بنى سور دمشق بعد انهدامه ، وبنى طارمة على باب الحديد . وهذا الباب يقرب من جامع السنانية – يقصد جامع سنان باشا الحالي – وبجانبه عن

يسار الخارج منه تربة يقال للمدفونة بها الست جابية، وبجانبها سويقة، حوانيتها صغيرة، وطريقها ضيّق جداً، وهي الباشورة التي بناها نور الدين الشهيد، ولها باب بجانب باب جامع السنانية الشرقي الصغير، وهذا الباب مبني بالحجارة الضخمة أيضاً، ومحفور على الحجر الذي بأعلاه من الخارج:

(بسملة - أمر بعمارة الباشورة والقبو مولانا الملك العادل السعيد
نور الدين أبو القاسم محمود ابن زنكي بن آق سنقر ضاعف
الله له الثواب وغفر له ولوالديه يوم الحساب ابتغاء مرضاة الله
سنة سبع وستين وخمسمائة).

وآثار الأبواب ظاهرة من شماله، وكذا آثار الأسواق الثلاثة التي أشار إليها ابن عساكر. وقد ظهرت منذ عهد قريب أعمدة ضخمة جداً مطمورة في محلّة الخراب، فنقل واحد منها إلى الجامع الأموي حين بنائه، فما وصل إليه إلا بعد الجهد لعظمه. وهذا مما يدلّ على أن تلك الأسواق الثلاثة كانت معقودة بالأحجار العظيمة).

ويذكر د. المنجّد: (وكان على عتبة باب الباشورة التي في غربه كتابة بخط جميل واضح، سقطت وكسر بعضها، وجعلت في مسطبة بجانب باب مسجد سنان باشا الشرقي. وقد نبشتها مديرية الآثار ونقلت إلى متحف دمشق حديثاً وفيها:

(بسملة - أمر بعمارة هذه الباشورة والأبواب مولانا الملك العادل
المجاهد أبو القاسم محمود بن زنكي بن آق سنقر ضاعف الله

له الثواب وغفر له ولوالديه يوم الحساب ابتغاء مرضاة الله وتقرّباً إليه سنة ستّين وخمسمائة).

قلت : يلاحظ في المقولتين اختلاف في النص والتاريخ، ففي حين يذكر بدران أن نور الدين أمر بعمارة الباشورة والقبو سنة ٥٦٧ هـ، يذكر المنجّد أنه أمر بعمارة هذه الباشورة والأبواب سنة ٥٦٠ هـ.

وصار في العهد الأيوبي تجديد هذا الباب أيام الملك الناصر داوود بن الملك المعظّم عيسى، وفي أعلاه من الداخل نصّ مؤرّخ فيه :

(بسملة – أمر بعمل هذا الباب والسور مولانا السلطان الملك الناصر صلاح الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين محيي العدل في العالمين منقذ المظلومين من الظالمين سيد الملوك والسلاطين داوود بن المولى السلطان الملك المعظّم شرف الدين عيسى بن السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب خلّد الله ملكه. بتولي العبد الفقير إلى رحمة ربّه محمد بن قرشي سنة ستماية و . . .).

وكان على الباب من خارجه نصّ كتابي نصفه مفقود، والنصف الآخر حروفه مفتّتة غير مقروءة. هذا ويبلغ ارتفاع الباب (٢٨٣ سم) وعرضه (٣٠٦ سم).

ومن أحداث هذا الباب في العهد المملوكي :

- قال ابن كثير : (في أواخر ربيع الآخر من سنة ٦٨٧ هـ قدم الشيخ ناصر

الدين عبد الرحمن المقدسي من القاهرة، على وكالة بيت المال ونظر الأوقاف ونظر الخاص، فجدّد باب الجابية الشمالي ورفعه، وكان متواطئاً [منخفضاً]، وأصلح الجسر الذي تحته).

- وفي يوم الأحد الثاني من ربيع الآخر سنة (٦٩٩هـ) وإبّان حصار (غازان) قائد التتار لدمشق، قام المسجونون بحبس الباب الصغير - وكان هذا الحبس عند طاحون السجن قرب سوق الحبّالين اليوم - فكسروا باب السجن وكانوا نحو مئتي رجل ونهبوا ما قدروا عليه، وجاؤوا إلى باب الجابية فكسروا أقفاله، وخرجو' منه إلى برّ البلد.

- وفي ١١ رجب سنة (٧٤٢ هـ) وبعد رفض نائب السلطنة بدمشق الأمير علاء الدين الطُنْبُغَا الحاجب الناصري تقديم الولاء للسلطان الملك الناصر أحمد وتوجّهه نحو دمشق، انزعج الناس وخافوا من النهب فأغلقوا الأبواب، وما فُتح منها إلا باب الجابية لمن كان خارجه، فجرت على الباب زحمة عظيمة، وبات الناس في غمّ وهمّ بسبب اختلاف الجيشين وتصميم الطُنْبُغَا على القتال.

- ويذكر ابن كثير: (وفي ليلة الأحد العشرين من جمادى الآخرة سنة ٧٥٥ هـ صار حريق باشورة باب الجابية في العهد المملوكي أيام نائب السلطنة بدمشق الأمير علاء الدين أمير على المارداني، وعدم المسلمون تلك الأطعمات والحواصل النافعة من الباب الجوّاني إلى الباب البرّاني).

- ويتحدّث ابن صَصرَى عن قدوم السلطان برقوق وعساكره لامتلاك دمشق وكان مخلوعا عن العرش فيقول: (فلما هلّت السنة المباركة - يقصد ٧٩٢ هـ - ركب السلطان وعساكره في نهار الإثنين ثامن شهر المحرّم، وكان قد بلغهم أن برج عند باب الجابية قد وقع ولم يبق له أثر، فطمع السلطان ومن معه في الدخول إلى المدينة وقالوا: «إن لم ندخل اليوم ما بقينا نقدر ندخل» وجاؤوا في همّة عالية إلى

باب الجابية في ضحوة النهار. وكان أمر هذا البرج عجيب، وذاك أنه كان قد انشقّ لما احترقت الحوانيت الذي حوله إلى أول الليل وقع، وكان لوقوعه رجّة عظيمة جفلت منه الناس، وفزعوا أهل المدينة وأعلموا النائب - جردمر - فصعب ذلك عليه وحضر هو والأمراء والقضاة فوقفوا عليه وخافوا على المدينة منه، وفي الحال طلب الصنّاع والبنّائين وبناه على ضوء الشمع والمشاعل، وهم يعملوا فيه شغل وهو يستحثّهم طول الليل، ولم ينام أحد في تلك الليلة، وما طلعت الشمس حتى طلع البرج وارتفع كأنه ما وقع، وهذا من همم الملوك العالية، يبني برج على ضوء الشمع في ليلة.

وجاء السلطان وجماعته إلى باب الجابية وقاتلوا قتال شديد، ورأوا السور كما كان صحيح ما كأنه وقع، ولم يجدوا لهم طريق إلى المدينة، وقاتلوا أهل دمشق من أعلى الأسوار في ذلك اليوم قتال شديد، حتى انه لم يقدر احد من جماعة السلطان في ذلك اليوم يصل إلى السور ولم يزالوا كذلك إلى آخر النهار، وقد قُتل وجُرح من الفريقين في ذلك اليوم خلق كثير، وكان يوم مهول، وما كان في ذهن السلطان وأصحابه إلا أنهم في ذلك اليوم يأخذون دمشق، فإن المناحيس راحوا إليهم في الليل وقالوا لهم: «قد وقع برج باب الجابية، وإن لم تدخلوا إلى المدينة في هذا اليوم لم تقدروا بعده تدخلوا إليها» فلأجل ذلك ركب جميع عساكر السلطان، وأتوا إلى المدينة . . . وقاتلوا في ذلك اليوم قتال شديد ولم ينالوا مقصود).

- ويحدّد ابن قاضي شهبة سقوط هذا البرج في ليلة الإثنين ثامن المحرّم سنة ٧٩٢ هـ، وأنه كان مشقوقاً فسقط شقّه الذي يلي الخندق .

ويتابع ابن صَصرَى الحديث عن حصار دمشق فيقول: (وأما نائب الشام - ويقصد جردمر أو جَنْتَمِر - فإنه أغلق أبواب المدينة وطيّنها بكلس وحجر، وقاعَد على كل باب أمير وباقي الأمراء والأجناد على الأسوار، وقد استخدم رجال

وأخذت الناس في الحصار . . . وأما جردمر نائب الشام، فانه أصبح يوم الجمعة ثامن عشر القعدة من السنة المذكورة، أمر بخراب باشورة باب الجابية، وكذلك جميع الأبواب - يقصد باشورات جميع الأبواب - حتى يبقى قدّامهم فسحة، وعملوا على الأبواب ستائر خشب، وحصّنوا القلعة غاية التحصين، ونصبوا بها أربع مناجنيق وحدّافات ومدافع ورجال، وسدّوا جميع الأبواب خلا باب النصر وباب الفرج، وبقي يهلك منهم كل يوم من الزحمة ناس كثير، والناس ينتقلوا إلى داخل المدينة. ثم بعد أيام قفلوا باب الفرج، فهلكوا الناس ولم يجدوا لهم من الضيق مخرج، ولم يبق مفتوح سوى باب النصر).

ثم يقول في موضع آخر: (حرق جردمر دكاكين السماسرة خارج باب الجابية، والخشّابين خارج الباب الصغير، لأن أهل السور كانوا ينظروا منهم يطلعوا على أصحاب السلطان ويرموا عليهم منهم، فلأجل ذلك أحرقوهم وعملت النار في تلك المواضع).

والسلطان برقوق: هو الملك الظاهر سيف الدين أبي سعيد برقوق بن أنص - أو أنس - العثماني، أول من تسلطن في مصر والشام من المماليك البرجية الشراكسة، ولد سنة (٧٣٨ هـ) وتولّى سنة (٧٨٤ هـ) وخُلع سنة (٧٩٠ هـ)، ثم عاد وتولّى ثانية سنة (٧٩٢ هـ) وتوفي سنة (٨٠١ هـ).

وجَرْدَمر أوجَرْدَمُر وتسميه العامّة جَنْتَمِر: هو الأمير الكبير سيف الدين التركي الناصري أخو الأمير الكبير طاز، نشأ مع أخيه ببيت الناصر محمد بن قَلاوون، وصار من أكبر خاصّكية الناصر حسن، وتنقّل في الأمريات والنيابات بالبلاد الشامية وسجن أكثر من مرة، ثم صار مقدّم ألف سنة (٧٦٨ هـ) وأعطي نيبة صفد أواخر السنة المذكورة، ثم عُزل منها سنة (٧٧٠ هـ)، وعيّنه قَرْطَاي لنيابة دمشق فقُبض عليه قبل أن يتم ذلك، ثم ولّي أتابك الشام أكثر من مرّة، ولما ملك الظاهر

برقوق دمشق سجنه في قلعتها فلما استولى عليها يلبغا الناصري رسم بإطلاقه فأطلق، ولما سافر الناصري إلى مصر جعله نائب الغيبة بدمشق، بعدها جاءته نيابة دمشق سنة (٧٩١ هـ)، وفي النهاية اعتقل وقتل بالصحراء بظاهر القاهرة في سنة (٧٩٣ هـ)، ضربت رقبته عن نيف وستين سنة.

- ومن غريب ما يذكره ابن قاضي شهبة أيضاً نقلاً عن ابن كثير عن شاهد عيان: (أنه في سنة ٧٦٢ هـ اشتُهِر أن بقرة كانت تجيء من ناحية باب الجابية تقصد جراءً لكلبة قد ماتت أمهم وهم في ناحية كنيسة مريم في خرابة، فتجيء إليهم فتضطجع على شقّها، فيرضع إولئك الجراء منها، تكرر ذلك منها مراراً).

- ويقول ابن طولون الصالحي: (في يوم الثلاثاء الثامن عشر من ربيع الآخر سنة ٨٩٠ هـ بعد العصر هبّت رياح شديدة من جهة المزّة على باب الجابية فكسرت شجراً كثيراً ثم سكنت، ثم ثارت أيضاً أثناء الليل فخرّبت بيوتاً كثيرة وشجراً كثيراً).

- ثم يذكر: (في ليلة الخميس الثامن عشر من رجب سنة ٨٩٩ هـ قرب وقت ثلث الليل، احترق مربّع باب الجابية وشماليّها وشرقيّها إلى الباب، وذهب فيه للناس أموال كثيرة، وغالبها نُهبت قبل وصول الحريق إليه).

- ويقول أيضاً: (في ليلة الأحد العاشر من رجب سنة ٩٠٤ هـ ختم الوالي على حوانيت خارج باب الجابية، واحتجّ بوضع قناديل، على كل حانوت قنديل، فشُكي عليه إلى النائب، فرسم بعودة المال إلى أربابه وفكّ الختوم، ونودي بوضع القناديل المذكورة، وأن لا يحمل أحد سلاحاً ولا منكراً في الليل).

- ثم يروي أنه في يوم الأحد الرابع عشر من ربيع الآخر سنة ٩٠٩ هـ مات أحد المجرمين الأقدمين من زعر دمشق بباب الجابية، المشهور بالغزال، ولله الحمد).

والزُعْر: وعلى ألسنة الناس الزعران ومفردها أَزْعَر، هم الشُطّار

والعيّارون، والشاطر هو الخبيث الفاجر، والعيّار من لا يردع نفسه عن ارتكاب أي شيء. والزعر على نقيض الزكرتيّة أو القبضايات الذين كانوا يتمتّعون بمكانة مرموقة بين أفراد حيّهم.

- وفي موضع آخر يقول: (وفي ليلة الأحد الرابع عشر من ربيع الثاني سنة ٩١١ هـ وهو عيد الجوزة، سرق اثنان من حانوت لحمّام بقصر حجّاج رأسين من اللحم وغيرهما، فرُئي ذلك معهما قرب باب الجابية، فقُبض عليهما، فضربهما دوادار النائب ضرباً مبرّحاً، وأشهرهما بدمشق، ثم شنقهما على باب الحانوت الذي سرقا منه).

والدوادار: هو من يحمل دواة السلطان أو نائبه أو الأمير، ويقدّمها لهم للتوقيع على الأوامر والمناشير (المراسيم والقرارات)، ويتولّى أمر تنفيذ الأحكام وما إليها.

وشهد باب الجابية في العهد العثماني عديداً من الصراعات بين قوات السلطة والقوات المحليّة، وفي كثير من الأحيان كانت هذه الصراعات تدور داخل كلّ منهما:

- ففي حوادث دمشق اليومية للبديري الحلاّق: (وفي يوم الإثنين ثاني عشرين من صفر سنة ١١٥٩هـ بينما الناس قبل الظهر في أشغالهم، وإذا بضجّة عظيمة وضرب بارود، فقيل ما الخبر، قيل ملكت الدالاتية القلعة، فسكّرت البلد وزاد الفزع في كل أحد، ولما بلغ الخبر للإنكشارية قاموا على قدم وساق، وقالوا: أُخذت القلعة يا شباب، واجتمعوا في باب الجابية بالسلاح الكامل ينتظرون القتال..).

قلت: بما أن لغة البديري الحلاّق أقرب إلى العاميّة منها إلى الفصحى، لذلك يقتضي الأمر تفسير بعض الكلمات وهي:

ضرب بارود: إطلاق النار.

الدالاتية: أنظر أحداث الباب الصغير في العهد العثماني.

والإنكشارية: هم الينكجريّة أو الينكجاريّة: والكلمة تركية تعني الجيش الجديد، وتتألف من (يني) أي جديد أو مُحدث، و(تشري) بمعنى جيش أو جند أو عسكر.

القلعة: قلعة دمشق.

- ثم يقول في أحداث سنة ١١٦١هـ: (وبتلك الأيام لم تبطل طول الليل والنهار ضرب البندق والمدافع، وفتحوا عسكر الباشا دكاكين باب الجابية ونهبوا وأكلوا وشربوا وهدموا المصاطب وعملوها متاريس، وفي يوم الخميس بكّروا للقتال).

البندق: المقصود هنا البنادق. وفي الأصل هي كرات من الطين المشوي تطلق من وتر القوس بدلاً عن السهام.

والباشا: هو والي دمشق في العهد العثماني أسعد باشا العظم خلال السنوات ١١٥٦هـ- ١١٧٠هـ، ومن بصماته العمرانية الباقية إلى اليوم قصر العظم (متحف التقاليد الشعبية الحالي)، وخان أسعد باشا وكلاهما في سوق البزورية.

- ويذكر أيضاً في حوادث سنة ١١٧٠هـ: (وبهذه الأيام سمّروا خبّازاً بباب الجابية).

وسمّروا: أي صلبوا، لكنه لم يذكر سبب التسمير.

- وفي موضع آخر يقول عن أحداث سنة ١١٧١هـ: (ولما كانت ليلة الأربعاء اجتمعت من الإنكشارية جماعة في حارة السويقة، وصاروا يقوّسوا ويفزعوا الناس، إلى أن سكّرت أهل الشام البوّابات، ولما ظهر النهار هجموا على باب الجابية وقوّسوا إلى ناحية باب السرايا).

وقَوَّسُوا : بمعنى أطلقوا النار .

- وفي تاريخ حسن آغا العبد : (في سنة ١٢٢٠ هـ تخاصكت الينكجريّة مع القُول ، والقُول أخذت باب الحديد عند باب الجابية ، والينكجريّة برّات المدينة ، واشتغل القواص من الفريقين . . . وملكوا الينكجرية باب المدينة) .

قلت : كُتب هذا التاريخ بلغة عاميّة تستوجب تفسير بعض كلماتها وهي :

الينكجريّة : أنظر الباب الصغير وأحداثه في العهد العثماني .

القُول : هم القاپي قول ، أنظر أيضاً الباب الصغير وأحداثه في العهد العثماني .

أخذت باب الحديد : تحصّنت بباب الحديد .

برّات المدينة : خارج المدينة .

واشتغل القواص : صار إطلاق النار .

باب المدينة : المقصود به هنا باب الجابية .

أما اليوم فأصبح باب الجابية بالواقع الفعلي باب سوق (النسوان) المعروف على ألسنة العامّة باسم (سوق مِيْلِه) ، وعلى طرفيه حوانيت صغيرة . وتتدلّى أمامه وخلفه معلّقات من الأقمشة والأغطية والثياب البسيطة ، فيغدو كأنه باشورة عادت إليها الحياة من جديد .

فتوح الشام للواقدي ٧٧

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٢/ ١٨٧

الأعلاق الخطيرة لابن شدّاد ١٩

البداية والنهاية لابن كثير ١٣/ ٣٦٦ - ٧/ ٢٤، ٢٨ .

٦٦، ١٠٨ - ١٤/ ٢٨٨

تاريخ ابن قاضي شهبة المجلد الأول الجزء الثالث ٣١٨، ٣٩٧، ٣٩٨ والمجلد الثالث الجزء الثاني ١٨٢

الدرّة المضيّة في الدولة الظاهريّة لابن صَصرَى ٢٨، ٣٠، ٣٦، ٤٨

نزهة الأنام في محاسن الشام للبدري ١٨

معجم البلدان لياقوت الحموي ٢/ ٩١

البداية والنهاية لابن كثير (حوادث سنة ١٣ للهجرة)

مفاكهة الخلاّن لابن طولون ١/ ٦٧، ١٥٦، ٢١٠، ٢٧٠، ٢٩٣

حوادث دمشق اليومية للبديري الحلاّق ٦٦، ١١٨، ١٩١، ٢١٤

منادمة الأطلال لبدران ٣٩

الأعلام للزركلي ٤/ ٢١

ولاة دمشق في عهد المماليك لدهمان ٩١، ١٨٣، ٢٠٩، ٢٢٣، ٢٥١، ٢٥٣

الآثار التاريخية في دمشق لسوفاجيه ٥٧

دمشق القديمة للمنجّد ١٩٤٥

تاريخ حسن آغا العبد (حوادث بلاد الشام) ١٢٤

معجم الحضارات السامية لعبّودي ٣٢٣، ٤٤٠

معجم ألقاب أرباب السلطان للشهابي ١٣٤

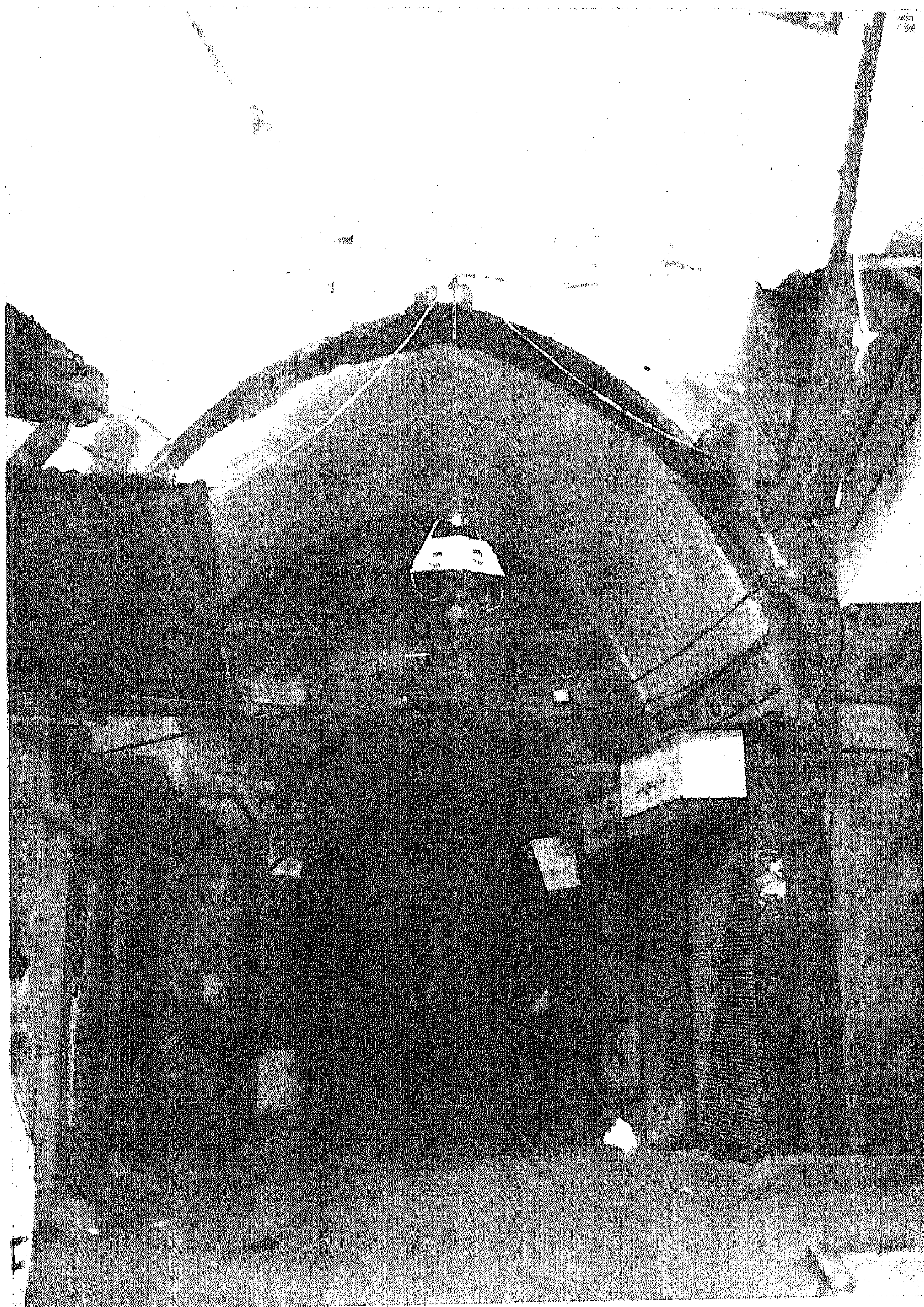
معالم دمشق التاريخية للإيبش والشهابي ١٩٩٦



إله الحرب مارس Mars عند الرومان
وهو نفسه الإله آريس Ares عند الإغريق
ويمثّلهما كوكب المرّيخ الذي نُسب إليه
باب الجابية في العهدين اليوناني والروماني



كوكب المرّيخ Mars
الذي يمثّل إله الحرب مارس Mars عند الرومان
وهو نفسه الإله آريس Ares عند الإغريق
(الصورة عن وكالة الفضاء الأمريكية Nasa)



باب الجابية من خارجه

(بعدسة المؤلّف صيف عام ١٩٩٦م)



باب الجابية الأثري وفي داخله سوق النسوان المقام في الربع الثاني من القرن العشرين، ويعرف على ألسنة العامّة باسم (سوق ميلِه) أو سوق (أبو ميله) ومازال هذا السوق قائماً حتى اليوم (بعدسة المؤلّف عام ١٩٨٩م)

الباب الشرقي

في الجهة الشرقية لسور دمشق القديمة

هذا الباب من الأبواب السبعة الأصلية للمدينة القديمة، بناه الرومان، ويقال دونما إثبات أنهم أقاموه على أنقاض الباب اليوناني الأسبق، وربما كان هذا الأخير قد شيّد في موضع الباب الآرامي الأقدم لكننا لا نملك دليل النفي أو الإثبات.

وهو الباب الذي نُسب إلى كوكب الشمس، ورُمز لها بالإله الإغريقي (هيليوس Helios) راكباً على عربة تجرّها أربعة خيول وحول رأسه هالة مستديرة تنبعث منها حزم من النور، ويقابله عند الرومان إله الشمس (سول Sol).

ويقول بدران نقلاً عن أحد الحكماء: ويصورون الشمس بصورة رجل، في يمينه عصا متكىء عليها، وهو راكب على أربعة ثيران، وفي يساره خرز. ويصوّرونها أيضاً بصورة رجل جالس، وجهه كالطوق، ومعه تمثال أربعة أفراس.

وكانت الشمس معبودة لشعوب المنطقة الساميّة، فقد أطلق عليها السومريون اسم (اوتو) و(ببّار) وعبدوها باسم (شمش) وسمّاها أهل أوغاريت (شاباش)، وعرب الجاهلية (شمس).

ويذكر الأب الباحث أيوب سميا: (ان اليونان رسموا فوق قوس رتاج الباب الشرقي نقشاً نافراً في الحجر صورة قرص الشمس تنبعث منه أشعة النور. وقد شاهده وذكره ابن عساكر. وقد استمرّ وجود هذه الرسوم في العهد الروماني لأنهم كانوا يعبدون ما يعبده اليونان الوثنيون ولكن بأسماء أخرى، كذلك أبقى العهد البيزنطي عليها ولم يغيّر إلا الشعائر الوثنية بشعائر دينية، واستمرّ تواجدها في العهود الإسلامية بدليل مشاهدة ابن عساكر لها).

قلت : بحثت طويلاً لأتوصل إلى أي ذكر لما شاهده ابن عساكر من هذه الرسوم خصوصاً رسم الشمس فوق الباب الشرقي كما أورده الأب سميا دونما جدوى، وأعتقد أن الأمر قد التبس عليه بين الباب الشرقي وباب كيسان، فابن عساكر لم يؤكّد أنه شاهدها بل قال : (وبلغني من وجه آخر عن بعضهم أن الذي بنى دمشق، بناها على الكواكب السبعة، وأن المشتري بيته دمشق، وجعل لها سبعة أبواب، وصورّ على كل باب أحد الكواكب السبعة، وصورّ على الباب الذي يقال له اليوم باب كيسان زحل، فخربّت الصور كلّها التي كانت على الأبواب إلا باب كيسان فإن صورة زحل باقية إلى الساعة).

غير أن الكوارث الطبيعية كالزلازل والسيول والصواعق وعوامل التحات، والحروب وو الغزوات والإهمال التي تعرّضت لها هذه الأبواب وأدّت إلى إنهدامها أو تخربّها، إضافة إلى تجديدها أو ترميمها أو إعادة بناء ما دمّر منها، كل ذلك أدّى إلى اختفاء هذه النقوش واحد بعد الآخر، ولعل الحجارة المتساقطة إثر الكوارث المذكورة والتي كانت عليها هذه النقوش، قد استعملت في بناء الصروح أو البيوتات في أماكن أخرى متفرّقة لا نعرفها اليوم.

تعدّدت الآراء حول تسمية هذا الباب، فمنهم من يقول بأنه كان يعرف أيام اليونان السلوقيين ثم الرومان باسم (باب الشمس) لأنها تشرق عليه قبل غيره من الأبواب، ومنهم من يصرّ على أنه سمي بذلك لوقوعه في شرق المدينة، وكانت العرب تعتمد الجهات الأربع واسطة للتوجّه، ويرد عليهم آخرون بقولهم : لو كان الأمر كذلك لسمّوا باب الجابية الباب الغربي والباب الصغير الباب الجنوبي وهكذا.

ويطرح الأب الباحث أيوب سميا فرضية كون الاسم من العصر البيزنطي فيقول : (سمي باب دمشق الشرقي هكذا باللسان من اليونان البيزنطيين المسيحيين [الروم] بعد أن ذهب من دمشق عصر الوثنية ومعه اسم (باب الشمس) الوثني، لأن

منه كان يُذهب إلى مدينة في أقصى الغوطة شرقاً من وضع اليونان الوثنيين اسمها (أناثولي Anatholi) ومعناه الشرقية. سمّوها هكذا لأنهم بنوها على الشاطىء الشرقي من القسم الشمالي من البحيرة المسمّاة اليوم (بحيرة العتيبة) التي يصبّ فيها فرعا نهر بردى. وهذه البحيرة تكاد تكون بحيرتين بواسطة وجود خصرٍ بينهما يشبه البوغاز. وقد سمّيت هذه المدينة بالشرقية لأنها شرقية بانحراف إلى الشمال بالنسبة إلى مدينة بناها اليونان في نفس الزمان ولكن قبلها وضعوها على الشاطىء الشمالي من القسم الغربي من البحيرة وسمّوها (ذورونياس)، تقوم على أنقاضها اليوم بلدة العتيبة، وقد ورد ذكر هاتين المدينتين في تاريخ كنائسي يوناني لمؤلّفه (ذوكصا باتربس) البيزنطي المتوفى في الربع الأول من القرن العاشر المسيحي. إذ كانت كل منهما مركز أسقفية). ثم يعلّق الأب سميا بقوله: (وبالأكثر كان اسم هذه (الشرقية) بالنسبة إلى دمشق لعامل هام شهر نسبة الباب إليها وهو: إن ذكرها كان مستفاضاً عند سريان دمشق (اليعاقبة) الذين كانوا يشكّلون القسم الأكبر من مسيحيي دمشق قبل الفتح الإسلامي. والشرقية هذه غدت في ذلك الوقت من أكبر ملاجىء هؤلاء السريان الهاربين من الجزيرة بنتيجة اضطهاد الروم الأرثوذكس الديني لهم. وكانت المواصلات دائمة بينهم وبين إخوانهم الدمشقيين من هذا الباب، ثم تواتر عندهم وبواسطتهم في دمشق اسم (باب الشرقية). هذا وقد ذكر (الشرقية) واسقفيتها العالم البطريرك أغناطيوس أفرام الثاني بطريرك السريان الكاثوليك المتوفى سنة (١٩٣٠ م) في بحثه (أبرشيات الكرسي الأنطاكي)، في مجلّة (الآثار الشرقية) سنة ١٩٢٦ وكانت تابعة لمطرانية دمشق).

قلت: لا أشارك الأب الباحث هذا الرأي فالأمر أبسط من ذلك بكثير، فقد سمّي الباب بالشرقي لأنه يقع في جهة الشرق، وطرحه لفرضيته يشبه تماما ما قاله المؤرّخون العرب حول اسم باب الجابية ونسبته إلى قرية الجابية في حوران وهو

غلط سأبيّن صوابه عند بحثي في ذلك الباب.

الباب الشرقي الحالي مشيّد في العهد الروماني أيام الإمبراطور الروماني (سبتيموس سيفيروس Septemus Severus) ثم في عهد ابنه (كاراكالا Caracalla) أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الميلادي، وكان له شأن كبير في ذلك العصر، لذا فله قيمة تاريخية كبيرة. وهو الباب الوحيد الذي وصلنا كما تركه الرومان، ويتألّف من ثلاث فتحات مقوسنة، أوسطها أكبرها، وعلى طرفيها فتحتان أصغر منها، واحدة إلى الشمال والأخرى إلى الجنوب، وهما يفضيان مباشرة إلى الرصيف وإلى رواقي الشارع المستقيم. وقد سُدّت منه الفتحتان الوسطى والجنوبية في العصر الإسلامي، وتركت الشمالية مفتوحة كما يذكر مؤرّخ دمشق الكبير ابن عساكر، و يرجع فن تحصين هذه الأخيرة إلى العصور الوسطى.

ومن غير المعروف اليوم ما كان عليه ارتفاع هذه الفتحات بدقّة، لأن منسوب الأرض ارتفع عما كان أيام الرومان، كما غطّيت جوانبها بالتراب المتراكم عبر الحقب الطويلة، ويقدّر المنجّد ارتفاع الفتحة الشمالية بنحو (٢٩٢ سم) وعرضها (٢٨٨ سم)، أما ارتفاعها عند ڤاتسنگر فهو (٣١٧ سم).

تعود شهرة الباب الشرقي إلى أيام الفتح العربي الإسلامي لدمشق، ففي سنة (١٤ هـ) طوّقت جحافل المسلمين أبواب دمشق بقيادة خالد بن الوليد الذي نزل على هذا الباب بعد أن ضرب خيامه قبالته [في موضع مسجد الشيخ رسلان حيث ما زال فيه إلى اليوم فسحة سماوية مسوّرة تعرف بمسجد خالد، ويعتبر أول مسجد أقيم في دمشق أيام الفتح].

وخالد: هو خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي، صحابي لُقِّب بسيف الله، أسلم قبل فتح مكّة، ووجّهه أبو بكر لحروب الردّة، ثم سيّره إلى العراق سنة (١٢ هـ) ففتح الحيرة وجانباً عظيماً منه، وحولّه إلى الشام وجعله أمير

من فيها من الأمراء. وعزله عمر بن الخطّاب عن قيادة الجيوش في الشام وولّى أبا عبيدة بن الجرّاح مكانه فأخفى أبو عبيدة الأمر حتى فُتحت دمشق، وقيل علم بالأمر قبل ذلك وظلّ يقاتل تحت إمرة أبي عبيدة حتى تمّ الفتح، ثم رحل إلى المدينة فدعاه عمر ليولّيه فأبى. ومات بحمص سنة (٢١هـ) وقيل بالمدينة المنوّرة.

وقبيل وفاته بأيام جاءه زائر فكشف خالد الغطاء عن جسده وقال: (لقد شهدت مائة زحف وما في بدني موضع شبر إلا وفيه ضربة سيف أو طعنة رمح، وها أنا ذا أموت على فراشي حتف أنفي، فلا نامت أعين الجبناء). وكان طول خالد يزيد عن ستة أقدام (يزيد عن ١٨٠ سم)، وبدا عريض المنكبين، واسع الصدر، مفتول العضلات، قوي البنية، نحيل الخصر، وكانت لحيته الكثّة تملأ وجهه.

وتجلّت العبقرية الحربية لخالد حين أصدر تعليماته لقادة الألوية بالتعسكر حول دمشق آخذين بعين الإعتبار النقاط التالية:

١- التعسكر خارج مدى السهام التي تطلقها أقواس العدو من السور والأبراج.

٢- مراقبة الأبواب باستمرار.

٣- تقديم النبّالة للإشتباك مع نبّالة الروم الذين يظهرون الفتحات السور

٤- صدّ أية قوّة رومية [بيزنطية] تخرج من الأبواب لمهاجمة المسلمين.

٥- طلب مساعدة خالد في حال التعرّض لضغط شديد.

واستمرّت المناوشات والمعارك الكثيرة والبطولات والمبارزات الفردية والجماعية بين العرب والروم البيزنطيين قبالة الباب الشرقي طوال أربعة أشهر قبل اقتحامه على ما ذكره الواقدي والبلاذري وابن عساكر وغيرهم. ولاقتحام هذا الباب أكثر من قصّة:

الأولى عن الواقدي (المتوفى ٢٠٧ هـ) قال: كان هناك قسّ من قساوسة الروم اسمه يونس بن مرقُص وكانت داره ملاصقة للسور مما يلي باب شرقي الذي

عنده خالد وكانت عنده ملاحم دانيال عليه السلام وكان فيها : إن الله تعالى يفتح البلاد على يد الصحابة ويعلو دينهم على كل دين ، فلما كانت تلك الليلة نقب يونس من داره وحفر موضعاً وخرج على حين غفلة من أهله وأولاده وقصد خالداً وحدّثه أنه خرج من داره وحفر موضعاً والآن أريد أماناً لي ولأهلي ولأولادي . قال فأخذ خالد عهده على ذلك وأنفذ معه مائة رجل من المسلمين أكثرهم من حِمْيَر ، وقال لهم إذا وصلتم المدينة فارفعوا أصواتكم بأجمعكم واقصدوا الباب واكسروا الأقفال وأزيلوا السلاسل حتى تدخلوا إن شاء الله تعالى . قال ففعل القوم ما أمرهم به خالد وساروا ومضى أمامهم يونس بن مرقص حتى دخل بهم من حيث خرج . فلما حطّوا في داره تدرّعوا واحترسوا ثم خرجوا وقصدوا الباب وأعلنوا بالتكبير . ثم يقول : وقصدوا الباب وكسروا الأقفال وقطعوا السلاسل ودخل خالد بن الوليد ومن معه من المسلمين .

الثانية عن البلاذري (المتوفى ٢٧٩ هـ) : وكان الأسقف الذي أقام لخالد النزُل في بدأته ربما وقف على السور ، فدعى له خالداً فإذا أتى سلّم عليه وحادثه فقال له : ذات يوم يا أبا سليمان إن أمركم مقبل ، ولي عليك عِدَةَ ، فصالحني عن هذه المدينة ، فدعى خالد بدواة وقرطاس فكتب . بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى خالد بن الوليد أهل دمشق إذا دخلها أعطاهم أماناً على أنفسهم ، وأموالهم ، وكنائسهم ، وسور مدينتهم لا يُهدم ، ولا يسكن شيء من دورهم ، لهم بذلك عهد الله ، وذمّة رسوله [ص] والخلفاء والمؤمنين ، لا يعرض لهم إلا بخير إذا أعطوا الجزية . ثم إن بعض أصحاب الأسقف أتى خالداً في ليلة من الليالي فأعلمه أنها ليلة عيد لأهل المدينة ، وأنهم في شغل ، وأن الباب الشرقي قد ردم بالحجارة وتُرك ، وأشار عليه أن يلتمس سُلّماً فأتاه قوم من أهل الدير الذي عند عسكره بسلّمين - المقصود به الدير الذي سمّي فيما بعد بدير خالد في موضع مسجد الشيخ

رسلان اليوم - فرقي جماعة من المسلمين عليهما إلى أعلى السور ونزلوا إلى الباب وليس عليه إلا رجل أو رجلان فتعاونوا عليه وفتحوه، وذلك عند طلوع الشمس.

الثالثة عن الطبري (المتوفى ٣١٠ هـ) قوله: وقدم خالد بن الوليد وعلى مجنبتيه عمرو [بن العاص] وأبو عبيدة [بن الجرّاح]، وعلى الخيل عياض، وعلى الرحل شرحبيل. فقدموا على دمشق وعليهم نِسطاس بن نُسْطُورس. فحصروا أهل دمشق ونزلوا حواليها. فكان أبو عبيدة على ناحية وخالد على ناحية ويزيد على ناحية وشُرحبيل على ناحية وعمرو على ناحية. وهرقل [الإمبراطور البيزنطي] يومئذ بحمص، ومدينة حمص بينه وبينهم. فحاصروا أهل دمشق نحواً من سبعين ليلة حصاراً شديداً وقاتلوهم قتالاً شديداً بالزحوف والترامي والمجانيق، وهم معتصمون بالمدينة يرجون الغياث، وهرقل منهم قريب وقد استمدّوه، وذو الكلاع بين المسلمين وبين حمص، في خيل على رأس ليلة من دمشق، كأنه يريد حمص. وجاءت خيول هرقل مغيثة لأهل دمشق فأشجَتْها الخيول التي مع ذي الكلاع وشغلتها عن الناس. فأرَزوا ونزلوا بإزائه، وأهل دمشق على حالهم. فلما أيقن أهل دمشق أن الامداد لا تصل إليهم فشلوا ووهنوا. وازداد المسلمون طمعاً فيهم. وقد كانوا يرون أنها كالغارات قبل ذلك، إذا هجم البرد قفل الناس. فسقط النجم والقوم مقيمون. فعند ذلك انقطع رجاؤهم وندموا على دخول دمشق. وولد للبطريق الذي على أهل دمشق مولود فصنع عليه وليمة. فأكل القوم وشربوا وغفلوا عن مواقفهم، ولا يشعر بذلك أحد من المسلمين، إلا ما كان من خالد فإنه لا ينام ولا يُنيم ولا يخفى عليه من أمورهم شيء. عيونه ذاكية وهو معنيٌّ بما يليه، قد اتّخذ حبالاً كهيئة السلاليم وأوهاقاً. فلما أمسى من ذلك اليوم نهد ومن معه من جنده الذين قدم بهم عليهم، وتقدّمهم هو والقعقاع بن عمرو ومذعور بن عدي وأمثاله من أصحابه في أول نومة، وقال: إذا سمعتم تكبيرنا على السور فارقوا إلينا

وانهدوا إلى الباب. فلما انتهى إلي الباب الذي يليه هو وأصحابه المتقدّمون رموا بالحبال الشُرَف، وعلى ظهورهنم القِرَبُ التي قطعوا بها خندقهم. فلما ثبت لهم وهقان تسلّق فيهما القعقاع ومذعور، ثم لم يدعا أحبولة إلا أثبتاها والأوهاق بالشُرَف. وكان المكان الذي اقتحموا منه أحصن مكان يحيط بدمشق: أكثره ماءً وأشدّه مدخلاً. وتوافوا لذلك فلم يبق ممن قدم معه أحد إلا رقى أو دنا من الباب، حتى إذا استووا على السور حدر عامة أصحابه وانحدر معهم، وخلّف من يحمي ذلك المكان لمن يرتقي، وأمرهم بالتكبير. فكبّر الذين على رأس السور، فنهد المسلمون إلى الباب، ومال إلى الحبال بشر كثير، فوثبوا فيها. وانتهى خالد إلى أول من يليه فأنامهم، وانحدر إلى الباب فقتل البوّابين. وثار أهل المدينة وفزع سائر الناس. فأخذوا مواقفهم ولا يدرون ما الشأن. وتشاغل أهل كل ناحية بما يليهم، فقطع خالد بن الوليد أغلاق الباب بالسيوف. وفتحوا للمسلمين فأقبلوا عليهم من داخل، حتى ما بقي مما يلي باب خالد مقاتل إلا أُنيم).

الرابعة وهي أضعف الروايات، عن ابن منظور المتوفى سنة (٧١١ هـ) عن أبي عثمان الصنعاني قال: حاصرنا دمشق فنزل يزيد بن أبي سفيان على باب الصغير، ونزل أبو عبيدة بن الجرّاح على باب الجابية، ونزل خالد بن الوليد على باب الشرقي، وكان أبو الدرداء في مسلحة برزة، قال: فحاصرناها أربعة أشهر... قال: فدخلها يزيد بن أبي سفيان قسراً من الباب الصغير حتى كبها... ولا يعلم خالد أن يزيد قد دخلها قسراً.

نستدل من هذه الروايات المختلفة على أن الباب الشرقي لم يخرّب عند الفتح. واستمرّ على وضعه السليم خلال العهد الأموي حتى كان الإحتلال العبّاسي سنة (١٣٢ هـ) حين نزل عليه القائد عبد الله بن علي ومنه دخل إلى المدينة وفتك بها وبأهلها ثم تحوّل إلى السور فهدم قسماً كبيراً منه، وقيل بل نقضه حجراً حجراً، وقد

ذكرت ذلك عند بحثي لدمشق العربية الإسلامية .

وعبد الله هذا هو : عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي العبّاسي، وعمّ الخليفة أبي جعفر المنصور، ولد سنة (١٠٣ هـ) ومات سنة (١٤٧ هـ)، وهو الذي مهّد دمشق لدخول الخليفة أبي العبّاس السفّاح، وظلّ أميراً على بلاد الشام طوال خلافته، فلما تولى المنصور الخلافة خرج عليه ودعى إلى نفسه، فانتدب المنصور لإخضاعه أبا مسلم الخراساني، فقاتله في نصيبين، فانهزم عبد الله واختفى . وصار إلى البصرة، وهناك قبض عليه أخوه سليمان بن علي وأشخصه إلى بغداد فأمر المنصور بسجنه في بيت جدرانه مبنية على ملح، ثم أمر فأطلق على البيت الماء، فذاب الملح وسقط البيت عليه فمات . وقيل بل سقط عليه البيت في الحبس في ليلة مطيرة . وقيل أيضاً إن أبا جعفر المنصور قتله سراً، وهدم الحبس قصداً .

ومن هذا الباب أيضاً دخل الملك العادل السلطان نور الدين محمود بن زنكي الملقّب بالشهيد (أنظر ترجمته في باب الفرج) لما ضمّ دمشق إلى إمارته سنة (٥٤٩ هـ)، ويمكن اعتبار هذا التاريخ بداية إحياء السور والأبواب وردّ الحياة إليهما بعد نقضهما في العهد العبّاسي .

ولدخول نور الدين دمشق من الباب الشرقي حكاية ذكرها ابن القلانسي فقال : (وفي العشر الثاني من المحرّم من سنة ٥٤٩ هـ وصل الأمير الاسفهسلاّر أسد الدين شيركوه رسولاً من نور الدين صاحب حلب إلى ظاهر دمشق وخيّم بناحية القصب من المرج في عسكر يناهز الألف . . . ووصل نور الدين في عسكره إلى شيركوه وخيّم بعيون الفاسريا عند دومةورحل في الغد ونزل بأرض الضيعة المعروفة ببيت الآبار من الغوطة وزحف إلى البلد من شرقيّه وخرج إليهم من عسكريّته وأحداثه الخلق الكثير ووقع الطراد بينهم ثم عاد كلّ من الفريقين إلى مكانه ثم زحف

يوماً بعد يوم. فلما كان يوم الأحد العاشر من صفر . . . باكر الزحف وقد احتشد وتهيأ لصدق الحرب وظهر إليه العسكر الدمشقي على العادة ووقع الطراد بينهم وحملوا من الجهة الشرقية من عدّة أماكن فاندفعوا بين أيديهم حتى قربوا من سور باب كيسان والدبّاغة من قبلي البلد وليس على السور نافخ ضرمة من العسكريّة والبلديّة لسوء تدبير صاحب الأمر والأقدار المقدّرة غير نفر يسير من الأتراك [يعني السلاجقة] المستحفظين لا يؤبه لهم ولا يعوّل عليهم في أحد الأبراج. وتسرّع بعض الرجالة إلى السور وعليه امرأة فأرسلت إليه حبلاً فصعد فيه وحصل على السور ولم يشعر به أحد، وتبعه من تبعه وأطلعوا علماً نصبوه على السور وصاحوا [أصحاب] نور الدين «يامنصور» إوامتنع الأجناد والرعيّة من الممانعة لما هم عليه من المحبة لنور الدين وعدله وحسن ذكره وبادر بعض قطّاعي الخشب بفأسه إلى الباب الشرقي فكسر أغلاقه وفُتح فدخل منه العسكر على رغب وسعوا في الطرقات ولم يقف أحد بين أيديهم، وفتح باب توما أيضاً ودخل الناس منه. ثم دخل الملك نور الدين وخواصّه وسُرّ كافّة الناس من الأجناد والعسكرية لما هم عليه من الجوع وغلاء الأسعار والخوف من منازلة الإفرنج).

قلت: وما زالت العراضات الدمشقية إلى يومنا هذا تهزج أهزوجة: (نور الدين يامنصور، وبسيفك فتحنا السور).

ويدأ عهد نور الدين عنايته بالسور والأبواب، فالخطر الصليبي كان يتهدّد دمشق، والدفاع عن المدينة يتطلّب أسواراً وأبواباً أمنع وأكثر صموداً. فجدد الباب الشرقي سنة (٥٥٩ هـ) ورفع فوقه مداميك من الحجارة الصغار زيادة في تحصينه، كما أضاف إليه من داخله قوساً بعضادتين، ورفع فوقه مئذنة مربّعة مرتفعة، وبنى وراءه مسجداً صغيراً، كما أقام أمامه من الخارج باشورة هدمت أواخر القرن التاسع عشر أو في بدايات هذا القرن.

وتشاهد داخل الباب الشرقي الصغير اليوم كتابة مؤرّخة مشوّهة فيها :

(بسـملة - أمر بعمارة هذا الباب والأسـوار والخندق مولانا الملك المؤيّد المنصور العادل العالم عماد الدنيا والدين ناصر الإسلام والمسلمين محيي العدل في العالمين خليل أمير المؤمنين السـعيد الشـهيد نور الدين محمود بن عمـاد الدين زنكـي خلّد الله ملكه وغفر له ولوالديه وذلك في سـنة تسع وخمسين وخمسماية) .

أحداث الباب في العهد الأيوبي :

- ذكر ابن كثير في حوادث سنة ٦٠٢ هـ : (وفي شعبان منها هدمت القنطرة الرومانية عند الباب الشرقي ، ونشرت حجارتها ليبلّط بها الجامع الأموي بسفارة الوزير صفي الدين بن شكر ، وزير العادل [الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد شقيق صلاح الدين الأيوبي] ، وكمل تبليطه في سنة أربع وستمائة) .

وأحداثه في العهد المملوكي :

- يقول ابن قاضي شهبة في حوادث سنة ٧٤٧ هـ : (وفي يوم عرفة جُدّدت طبلخانة خليلية على البرج الذي في الزاويةعند الباب الشرقي ، وقد جُدّدت عمارته في هذه الأيام) .

والطبلخانة الخليلية : بِناء أو بيت للفرقة الموسيقية ، وهو المكان المخصّص لطبول الفرقة وأبواقها وتوابعها من الآلات ، وتعني في أيامنا : موسيقى الجيش . وكانت الطبلخانة ترافق السلطان في الأسفار وفي الحروب . وأمير الطبلخانة هو الأمير الذي تُضرب الموسيقى على بابه .

- ويتحدّث ابن طولون الصالحي عن الصراعات التي كانت تدور بين

المماليك أنفسهم فيقول: (في صبيحة الأحد الرابع والعشرين من ربيع الأول سنة ٩٠٣هـ ذهب الدوادار بجماعته إلى الباب الشرقي من أبواب المدينة، ومعهم السلالم، وحاصروه وأتى النائب بجماعته إلى محلّة مسجد الذبّان. واستمرّوا في القتال والمكاحل ترمي إلى المغرب، وجاع العسكر في اليوم المذكور أشدّ جوع. وشرع بعضهم ينهب البيوت، وقتل جماعة من وجرح آخرون سيما من جماعة الدوادار، عند الباب الشرقي، من جماعة نائب صفد الموكل به، وكان يوماً مهولاً لم يُرَ مثله).

والدوادار: هو من يحمل دواة السلطان أو نائبه أو الأمير، ويقدّمها لهم للتوقيع على الأوامر والمناشير (المراسيم والقرارات)، ويتولّى أمر تنفيذ الأحكام وما إليها.

والمكاحل مفردها مِكْحَلَة: هي في الأصل وعاء لوضع كحل العين فيه، ثم استعيرت التسمية وأطلقت في العصور الوسطى على المدفع، حيث يوضع فيه كحل البارود مع فتيل صغير لينفجر ويقذف القذيفة على الهدف، وما زالت البندقية تعرف بالمكحلة في المغرب وبعض أقطار الوطن العربي إلى يومنا هذا.

فتوح الشام للواقدي ٨٠

فتوح البلدان للبلاذري ١٦٥

تاريخ الطبري ٣/ ٤٣٨

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ١/ ١٥، ٥١٥، ٢/ ١٨٥

مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ١/ ٢٠٣

ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ٣٢٧

نزهة الأنام للبدري ٢٤

تاريخ ابن قاضي شهبة المجلد الثاني الجزء الأول ٤٨٣

الدارس للنعيمي ٢/ ٣٨٦

البداية والنهاية لابن كثير . حوادث سنة ١٣٧ ، و ١٤٧

شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ١/ ٢١٩

مفاكهة الخلاّن لابن طولون ١/ ١٩٣

منادمة الأطلال لبدران ٤٣

الآثار الإسلامية لفاتسنكر ٣٨٩

الأعلام للزركلي ٢/ ٣٤١، ٤/ ٢٤١

الآثار التاريخية في دمشق لسوفاجيه ١٦

مأساة سقوط دمشق ونهاية الأمويين للمنجّد ٥٩

خطط دمشق للمنجّد ٥٣

دمشق (أسوارها أبراجها أبوابها) للمنجّد ١٩٤٥

معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي لدهمان ١٠٦،

١٤٣

مقالة (الشارع المستقيم - ٢) لسميا مجلة النعمة عدد ٢

١٩٦٠

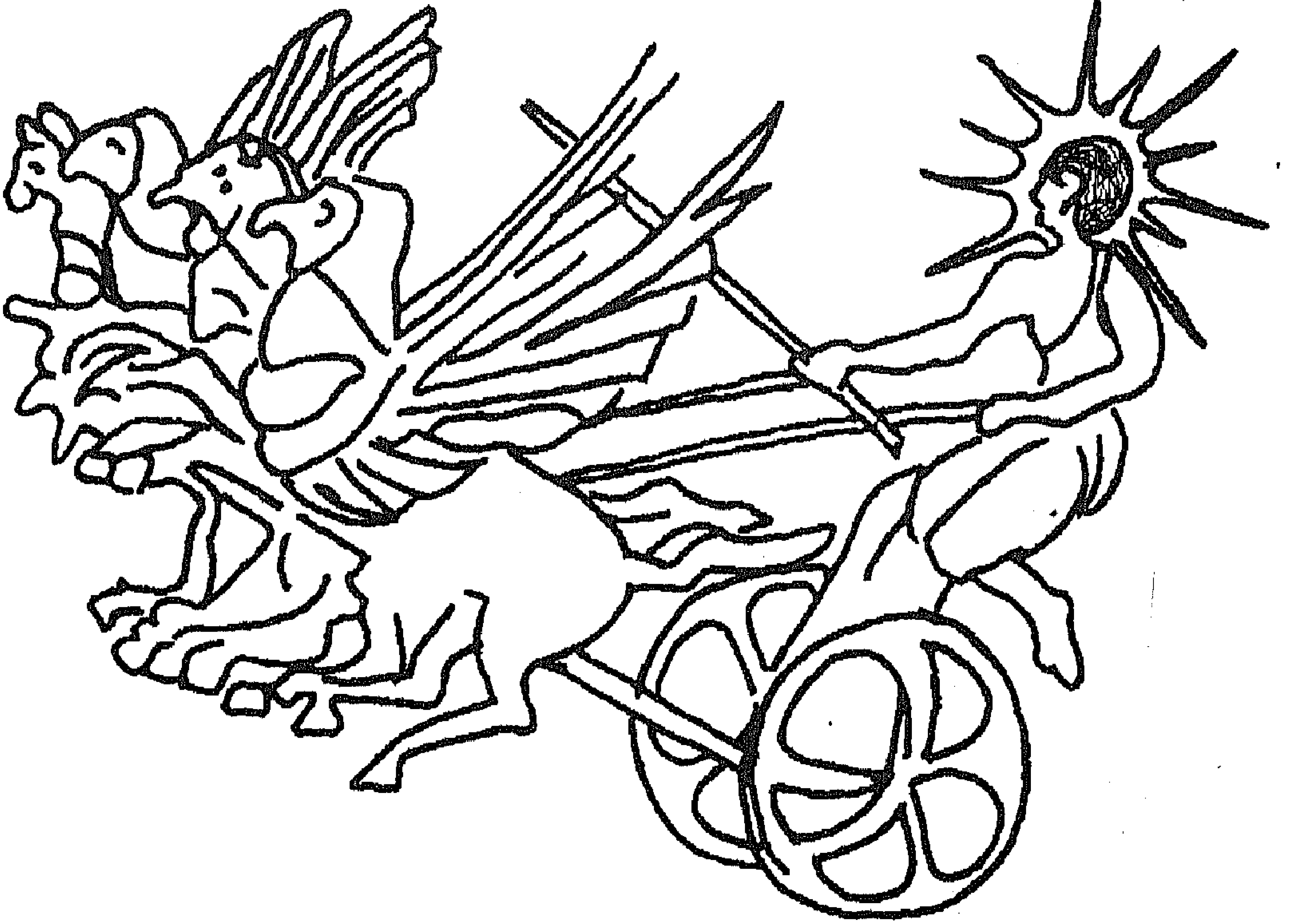
معجم الحضارات السامية لعبّودي ٥٣٦

دمشق تاريخ وصور للشهابي ط٢ ص ٣٢١

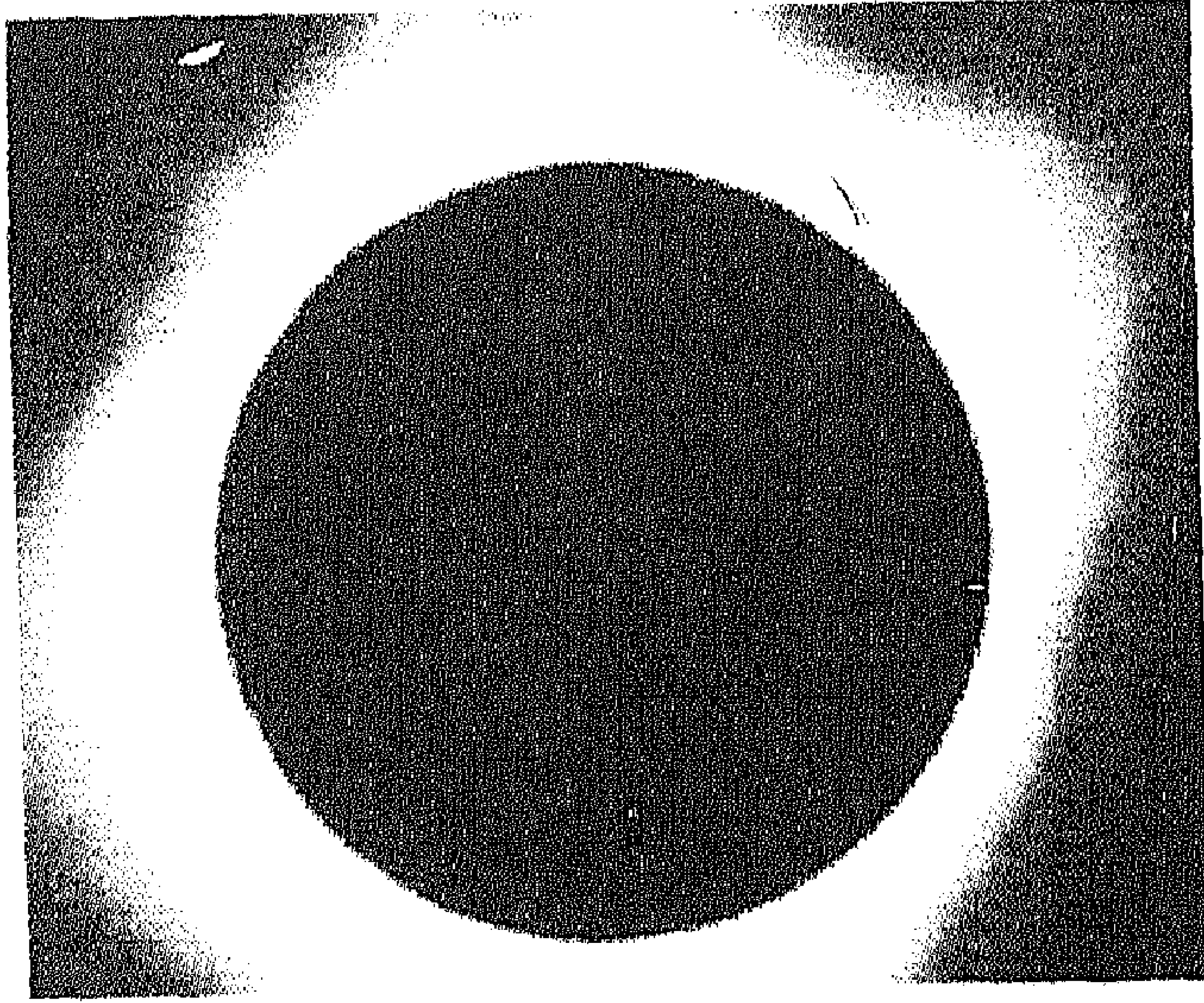
معجم ألقاب أرباب السلطان في الدول الإسلامية للشهابي

١٤٠

معالم دمشق التاريخية للإيبش والشهابي



إله الشمس سول Sol عند الرومان
وهو نفسه إله الشمس Helios عند الإغريق
وتمثّلهما الشمس التي نُسب إليها
الباب الشرقي في العهدين اليوناني والروماني



الشمس Sun

التي تمثّل الإله سول Sol عند الرومان

وهو نفسه الإله هيليوس Helios عند الإغريق

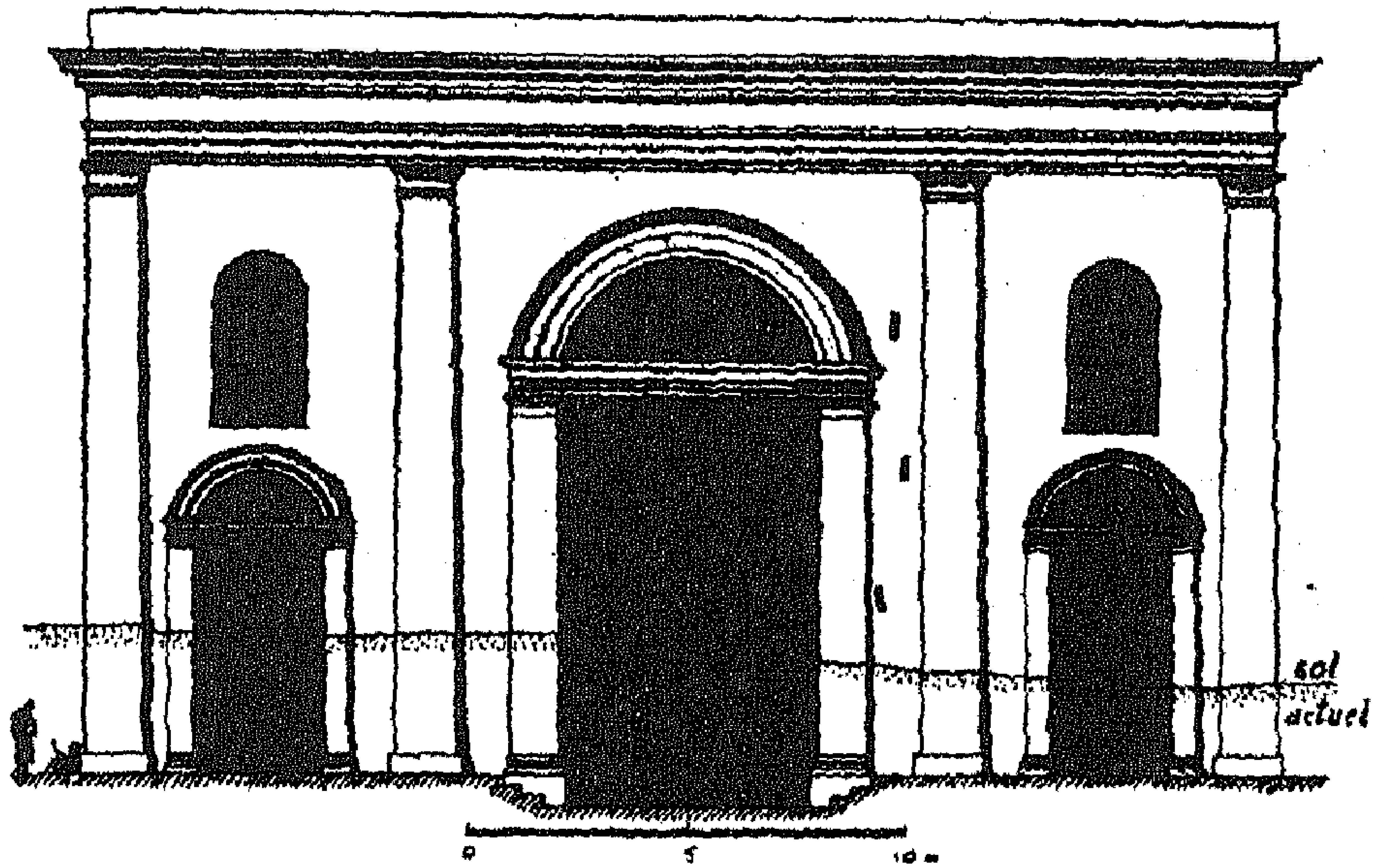


Fig. 2. — Bâb Charqi : (façade extérieure restituée).

الواجهة الخارجيّة للباب الشرقي كما تخيّله سوقاجيه

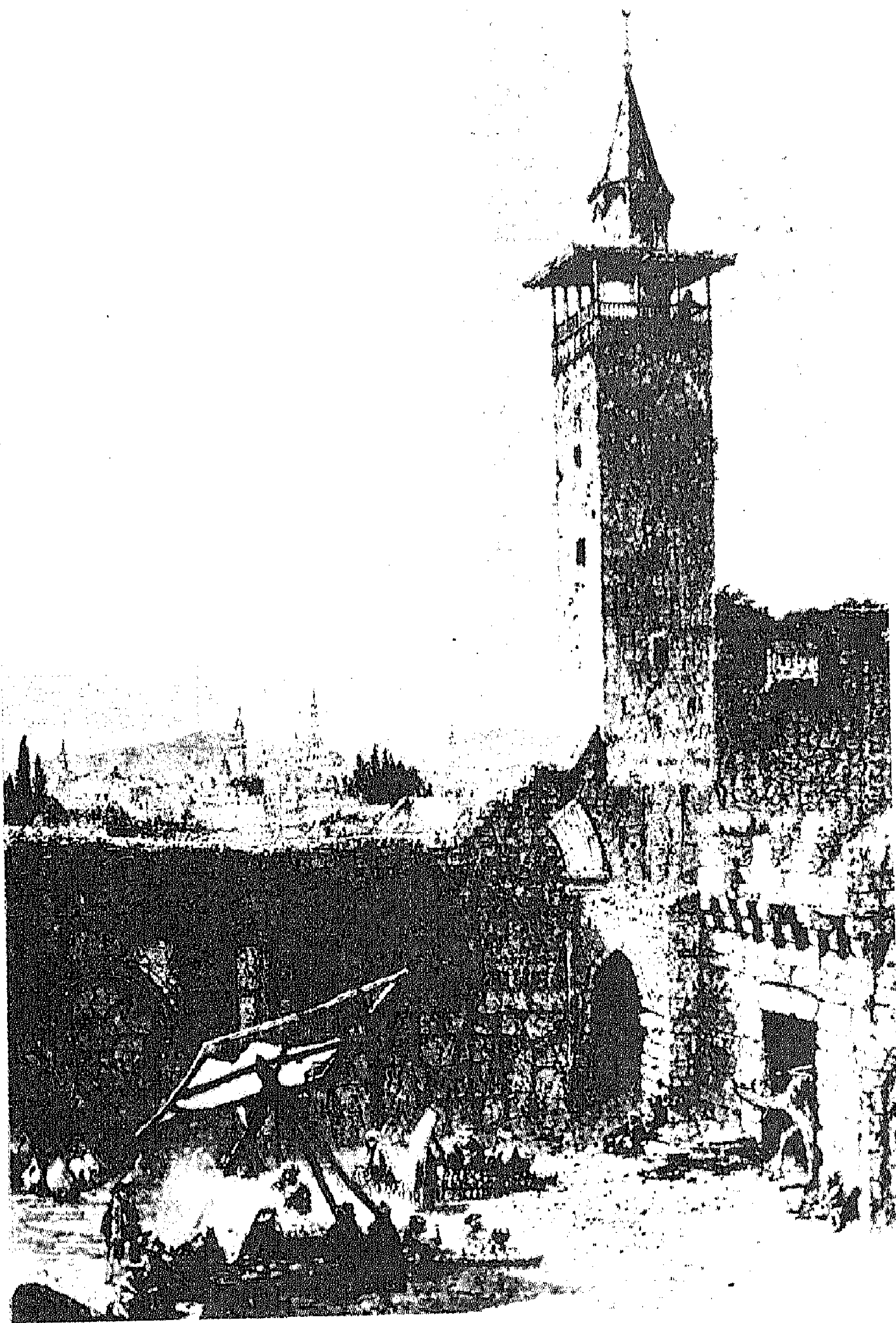


مدالية جصيّة تمثّل البطل خالد بن الوليد
(كما تخيّله الفنّان الراحل محمود جلال)

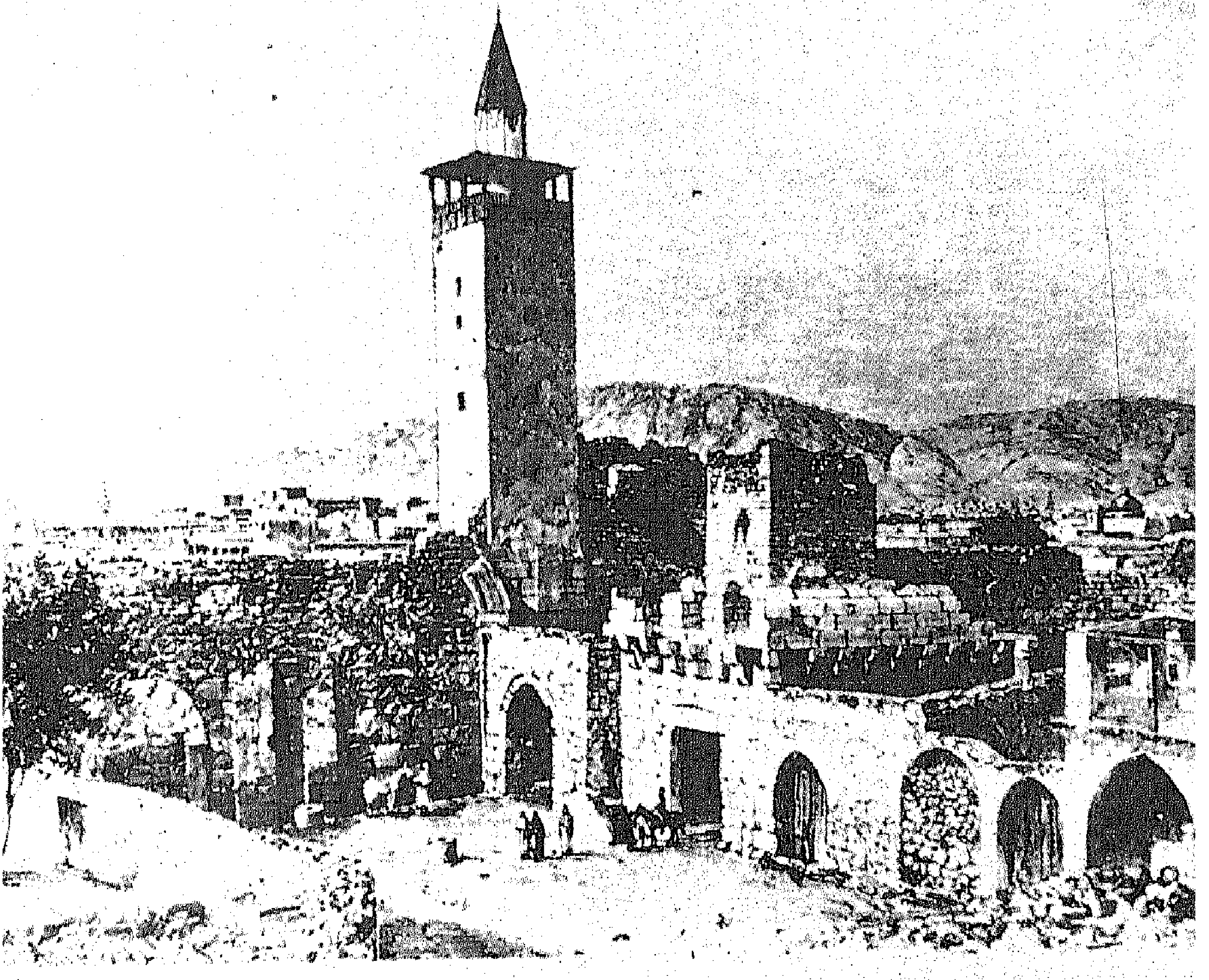
خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي، صحابي لُقِّب بسيف الله، أسلم قبل فتح مكّة، ووجّهه أبو بكر لحروب الردّة، ثم سيّره إلى العراق سنة (١٢ هـ) ففتح الحيرة وجانباً عظيماً منه، وحوّله إلى الشام وجعله أمير من فيها من الأمراء فهزم الروم بأجنادين واليرموك. وعزله عمر بن الخطّاب عن قيادة الجيوش في الشام وولّى أبا عبيدة بن الجرّاح مكانه فأخفى أبو عبيدة الأمر حتى فُتحت دمشق، وقيل علم بالأمر قبل ذلك وظلّ يقاتل تحت إمرة أبي عبيدة حتى تمّ الفتح، ثم رحل إلى المدينة فدعاه عمر ليولّيه فأبى. ومات بحمص سنة (٢١هـ) وقيل بل في المدينة المنوّرة.



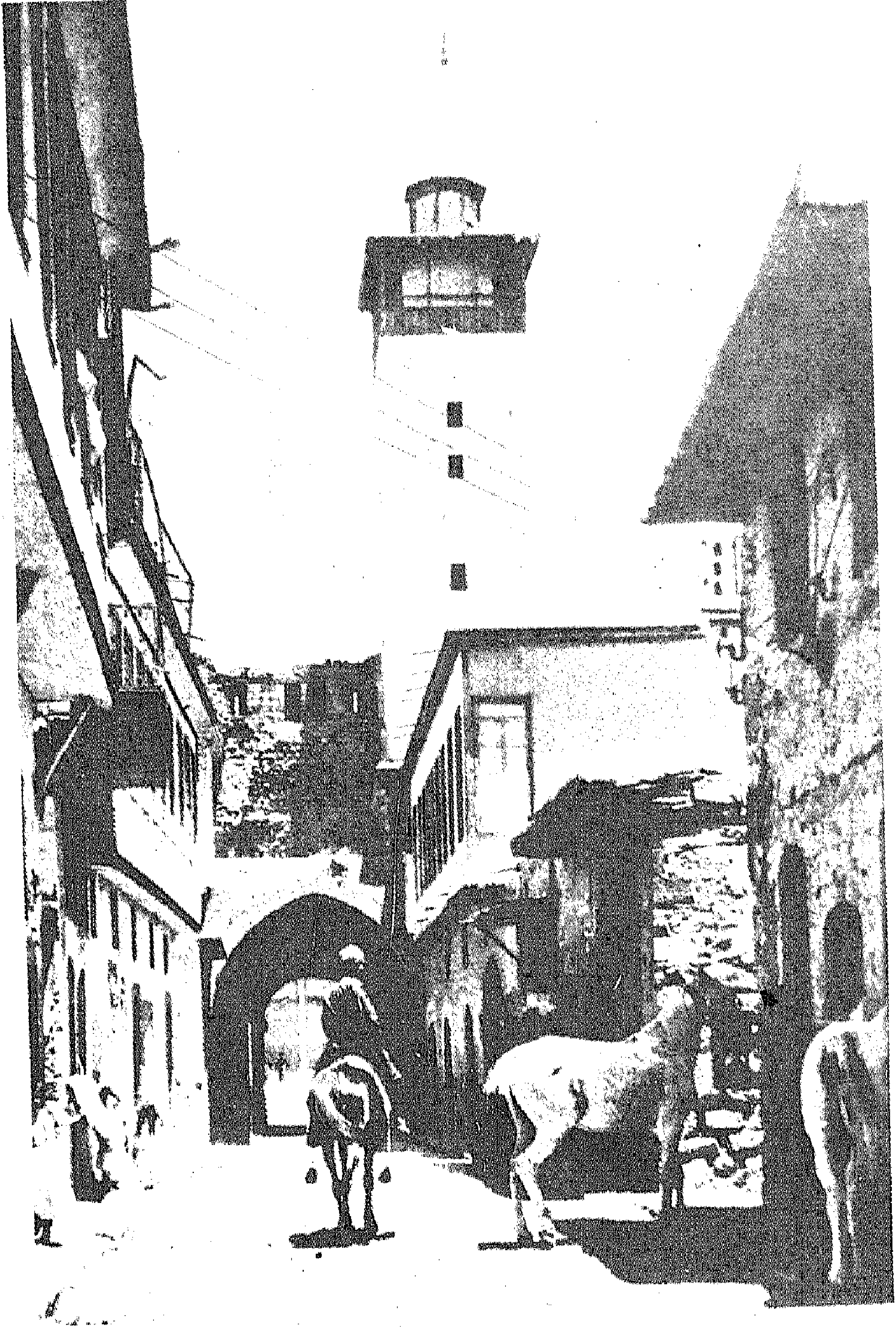
لوحة حفر دقيق للباب الشمالي الصغير من الباب الشرقي حين كان الوحيد المفتوح والمستعمل قبل أن يتم الكشف عن البابين الآخرين (بريشة فنّان أوروپي من القرن التاسع عشر)



لوحة حفر للباب الشرقي من خارجه بريشة فنّان أوروبي من القرن التاسع عشر، وتبدو أمامه السوق التي كانت قائمة في ذلك الزمن



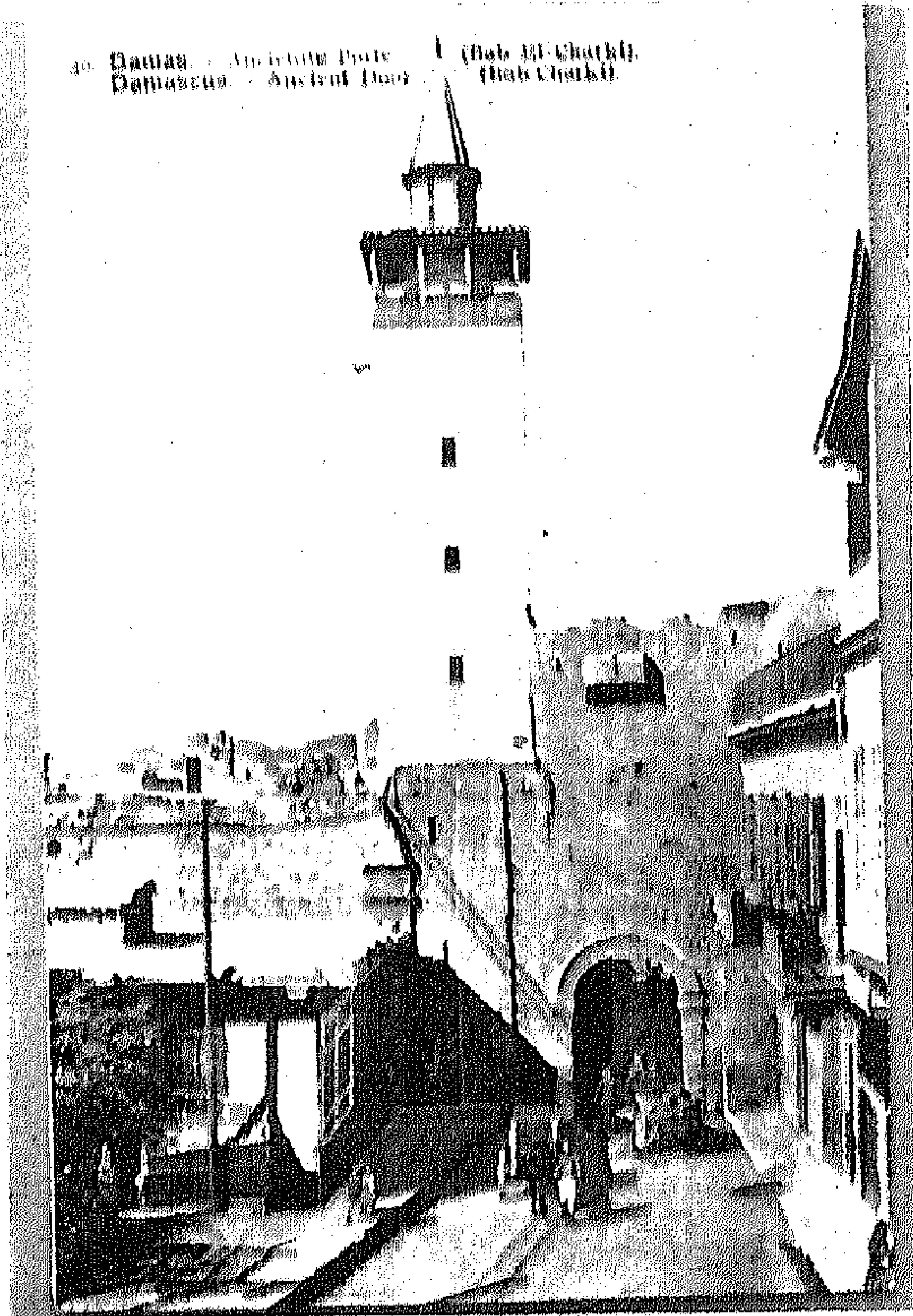
خارج الباب الشرقي بريشة فنان أوروپي من القرن التاسع عشر



الباب الشرقي من الداخل في بدايات هذا القرن
ويلاحظ أنه الباب الشمالي الصغير.



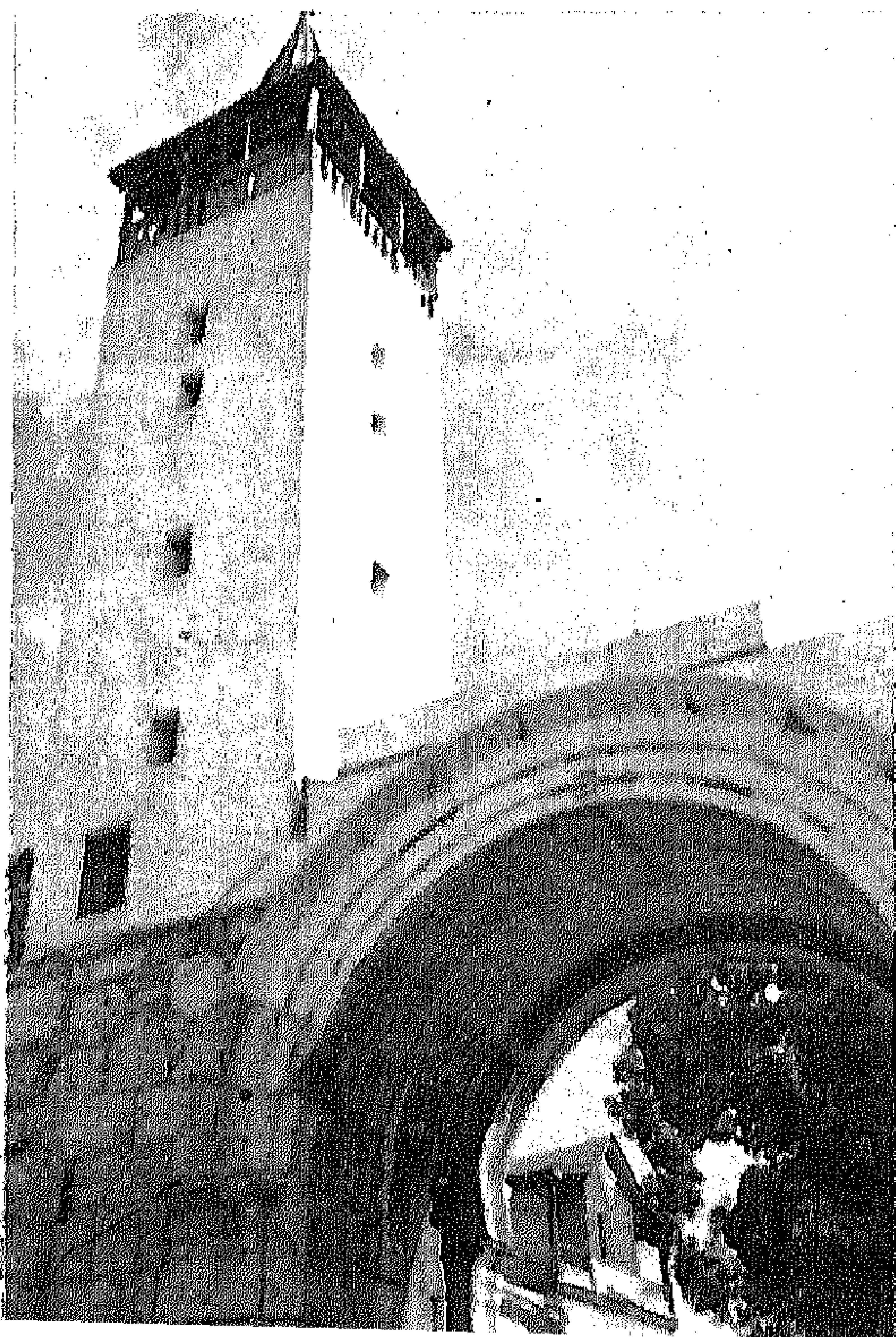
خارج الباب الشرقي في عشرينات هذا القرن يوم لم يكن مفتوحاً منه سوى الباب الشمالي الصغير



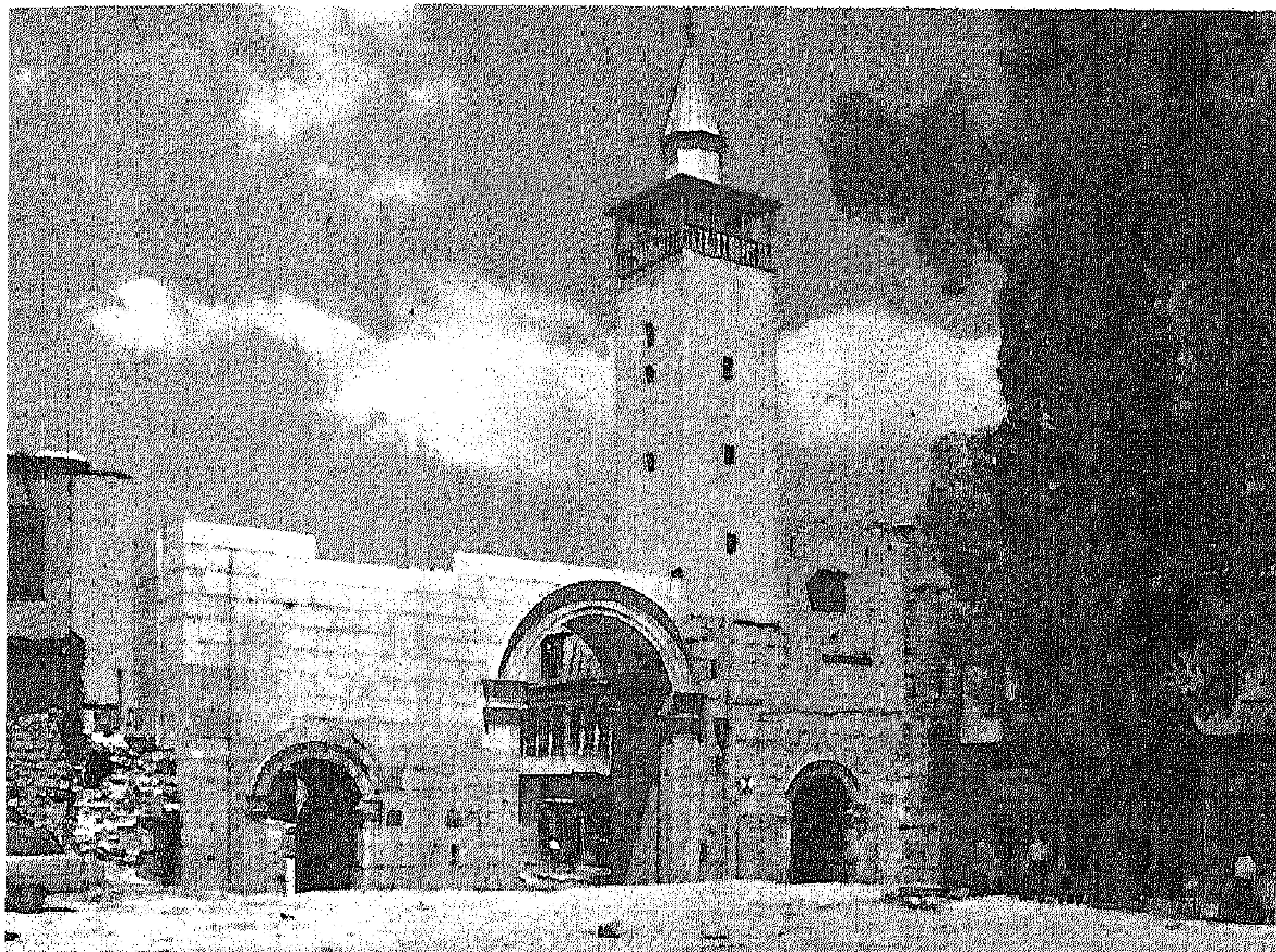
الباب الشمالي الصغير للباب الشرقي من الخارج خلال عشرينات أو ثلاثينات قرننا الحالي



داخل الباب الشرقي بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩م



قوس الباب الأوسط الكبير للباب الشرقي من داخله (بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٩٦م)



الواجهة الخارجيّة للباب الشرقي في أيامنا بعد الكشف عن أبوابه الثلاثة

الباب الصغير

الباب الجنوبي لسور دمشق

من الأبواب السبعة الأصلية لمدينة دمشق القديمة، بناه الرومان، وقيل فرضياً: شيّدوه على أنقاض الباب اليوناني، ولا يمكن الجزم إن كان هذا أيضاً قد شيّد على أنقاض الباب الآرامي الأسبق.

وهو الباب الذي نسبه اليونان إلى كوكب المشتري، ورمزوا له بكبير آلهتهم (زفس أو زيوس Zeus) ويمثّل السماء والأمطار والريح والصاعقة، وتروي الأساطير قصّته مع «أوروبا» - المعروفة باسم (عربا) وقد ظهر لها على صورة ثور وخطفها إلى جزيرة (كريت) وتزوّجها هناك بعد أن استعاد شكله الأصلي. وكان لهذا الإله مقراً في جبل كاسيوس (الجبل الأقرع في اللواء السليب)، وقد أصبح اسمه في الزمن الهلنستي معادلاً للإله السامي (بعل). وهو عند الرومان كبير الآلهة (جوپيتر Jupiter) الذي عُرف أيضاً باسم (جوپيتر الدمشقي) المعادل للإله الحثّي (تيشوپ).

ويذكر مؤرّخ دمشق الكبير ابن عساكر وينقل عنه ابن شدّاد والقلقشندي وغيرهما فيقول: (الباب الصغير للمشتري). بينما ينسبه البدري من علماء القرن التاسع للهجرة إلى المرّيخ وينسب باب الجابية للمشتري معاكساً في ذلك نصّ ابن عساكر، غير أنه من الطبيعي أن تكون مقولة ابن عساكر أكثر دقّة وصواباً لأنه توفى سنة (٥٧١ هـ) بينما توفى البدري سنة (٨٩٤ هـ) والفارق بين الوفاتين (٣٢٣) سنة.

وينقل عبد القادر بدران عن أحد الحكماء قوله: ويصوّرون المشتري في صورة كهل، في يمينه سيف مصلط، وفي يساره قوس، وهو راكب على فرس، وفي

عنقه سبحة . ويصوّرونه أيضاً بصورة رجل جالس على كرسي ، عليه أثواب ملوّنة ، وفي يساره خيزرانة .

وتذكر المراجع التاريخية أن العرب بعد الفتح أطلقوا عليه اسم الباب الصغير لأنه كان أصغر أبواب المدينة . وعُرف في العهد العثماني أيضاً باسم (باب الحديد) لأنه كان مدعّماً بصفائح الحديد ، إضافة إلى (باب الجابية الصغير) ، كما تسمّيه العامّة (باب الشاغور) لأنه يفضي إلى حي الشاغور داخل السور . وللعامّة أيضاً تفسير آخر يقول : سمّي بالباب الصغير لأن الخارج منه يخرج إلى مقبرة الباب الصغير الشهيرة ، والصواب أن المقبرة هي التي نُسبت إلى الباب وليس العكس .

قلت : إذا كانت العرب قد أطلقت اسم (الصغير) على الباب كما ذكر المؤرّخون ، فمن المحتمل أن تكون هذه التسمية محرّفة عن اسمه الآرامي القديم (زكُورتَا) و بالسريانية (زكُورتُو) بمعنى الصغير ، وذلك نتيجة للتقارض اللغوي بين العربية والسريانية ، والاحتمال الأضعف أن تكون من الجذر السامي المشترك (زكَر) ويفيد معنى الإطباق والإحاطة والتسوير والإقفال . كما يُفترض أنها تحوّلت في عهد اليونان السلوقيين إلى (باب زيوس) وفي العصر الروماني (باب جوپيتر) خصوصاً وأنهم أطلقوا اسم (جوپيتر الدمشقي) على معبدهم الذي كان في موقع الجامع الأموي . لكن الاسم الآرامي الذي كان شائعاً على ألسنة الناس هو الذي استمرّ بعد زوال العهدين المذكورين ، واعتمده العرب بعد تعريبه للأسباب التي ذكرت .

ويذكر عبد القادر بدران الباب الصغير فيقول : (هو الباب القبلي للبلد ، وهو باق إلى الآن بمصلّبة الشاغور ، ومن جانبه الغربي زقاق يقال له زقاق الصماديّة ، ومن شرقيه طريق يوصل إلى حارة الزطّ [جادة الإصلاح اليوم] ، وبناؤه قوي متين ، وأخبرني بعض سكان تلك الجهة انه كان في قبلته باب آخر نظيره ، فهدم في حدود تسعين ومائتين بعد الألف ، وجُعل مكانه حوانيت للبيع والشراء ، والظاهر أن هذا

كان هو الأصل، وأن الموجود الآن أُحدث بعده).

قلت: الإحتمال الأكبر أن ذلك الباب الذي ذكره السكّان كان باب الباشورة، بدلالة أمرين: أولهما أن الموضع الذي كانت تمتدّ فيه هذه الباشورة يحتوي اليوم على دكاكين للبيع والشراء فعلاً وكان لكل باشورة باب خارجي قوي، وثانيهما وجود مسجد لصيق الباب من خارجه يعرف إلى اليوم بمسجد الباشورة.

وعلى هذا الباب نزل يزيد بن أبي سفيان عند حصار العرب المسلمين لدمشق سنة (١٤هـ) إضافة إلى نزوله على باب كيسان في نفس الوقت، ومنه دخل إلى المدينة سلماً عند دخول أبي عبيدة بن الجرّاح. غير أن ابن منظور المتوفى سنة (٧١١هـ) يروي عن أبي عثمان الصنعاني قوله: حاصرنا دمشق فنزل يزيد بن أبي سفيان على باب الصغير، ونزل أبو عبيدة بن الجرّاح على باب الجابية، ونزل خالد بن الوليد على باب الشرقي، وكان أبو الدرداء في مسلحة برزة، ثم يقول: فحاصرناها أربعة أشهر. . . فدخلها يزيد بن أبي سفيان قسراً من الباب الصغير حتى ركبها. . . ولا يعلم خالد أن يزيد قد دخلها قسراً.

قلت: هذه واحدة من الروايات المتعدّدة المختلفة التي لا تخرج عن كونها (قيل عن قال)، وقد أجمع المؤرخون الأقرب إلى زمان الفتح على أن خالداً دخل دمشق عنوة، بينما دخلها أبو عبيدة صلحاً. وعلى هذا لا يمكن الأخذ بها أو بصحّتها.

ويزيد هو: يزيد بن صخر (أبي سفيان) بن حرب، الأموي، أبو خالد: أمير، صحابي، من رجالات بني أمية شجاعة وحزماً، وشقيق معاوية بن أبي سفيان، ولّي فلسطين أيام الخليفة عمر بن الخطّاب، ثم ولّي دمشق وخراجها، وتوفي فيها بالطاعون سنة (١٨ هـ) وهو على ولايتها.

جدّد هذا الباب في العهد الأيوبي، وبجانبه لوحة مؤرّخة حديثة فيها:

(الباب الصغير - جدّده السلطان الملك المعظّم عيسى الأيوبي سنة ٦٢٣ هـ).
وفوق الباب من داخل السور كتابتان منقوشتان، في الأولى نصّ مؤرّخ جاء فيه:

(بسملة - كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز. أمر بتجديد هذا الباب والسور والخندق المبارك مولانا السلطان المعظّم الغازي المجاهد في سبيل الله شرف الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين محيي العدل في العالمين عيسى بن المولى السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب خلّد الله ملكه تقرّباً إلى الله تعالى بتولي العبد الفقير إلى رحمة ربه محمد قرشي سنة ثلاث وعشرين وستمائة).

وفي الثانية نصّ تشريعي يتعلّق بالرسوم الضرائبية على التجّار المسافرين إلى العراق والقادمين منه أيام الدولة الأتابكية النورية وفيها:

(بسملة - أمر مولانا الملك العادل العالم العارف المؤيد المظفّر المنصور نور الدين ركن الإسلام والمسلمين محيي العدل في العالمين أبو القاسم محمود بن زنكي بن آق سنقر خلّد الله ملكه بإزالة حق التسفير على التجار المسافرين للعراق والقافلين عنها إلى دمشق حزسها الله وتعفية رسمه وابطال اسمه والمنع من تناوله والمكاتبة بشيء منه إحساناً إلى الرعية ورأفة ومناً عليهم وعاطفة وتقرّباً إليه تعالى وتقديمه ليزيد له يوم يجزي الله

الذين أحسنوا بالحسنى. ورسم لكل . . . على تطاول الأيام.
فمن بدله بعدما سمعه فانما إثمه على الذين يبدلونه وذلك في
رجب سنة احدى وخمسين وخمس مائة).

هذا ولم تذكر المصادر التاريخية أي تجديد لهذا الباب أيام نور الدين سوى أنه أقام عنده باشورة ومسجداً ومنارة، ولا يزال هذا المسجد قائماً إلى اليوم ويعرف بمسجد الباشورة.

أحداث الباب في العهد المملوكي:

من سوء طالع هذا الباب أنه اقترن بأحداث (تيمورلنك) قائد جيوش التتار الذي حاصر دمشق وخدع أهلها ففتحوه له، ولهذا الحدث حكاية طويلة اوجزها كالتالي:

وصلت جحافل التتار بقيادة (تيمورلنك) إلى دمشق سنة (٨٠٣ هـ) بعد أن تخلّى عنها المماليك وانسحبوا تاركين أهلها لمصيرهم المشؤوم، فأغلق أهل البلد أبوابها وركبوا أسوارها، ونادوا بالجهاد، وتهيّأوا للقتال، وزحف عليهم تيمورلنك بعسكره فقاتله الدمشقيون من أعلى السور أشدّ قتال، وردّوهم عن السور والخندق، وأسروا منهم جماعة ممن كان قد اقتحم باب دمشق. وأخذوا من خيولهم عدّة كبيرة، وقتلوا منهم نحو الألف، وأدخلوا رؤوسهم إلى المدينة.

ولما أعيا تيمورلنك أمرهم، وتأكّد لديه أن الأمر لن يطول عليه، لجأ إلى إسلوبه التقليدي في الحيلة والخداع، ولا غرو فهو عقل مدبّر واستاذ كبير في الحرب النفسية ونشر الإشاعات للوصول إلى النصر بأسهل السبل وأيسر الطرق.

فبينما كان أهل دمشق في أشدّ ما يكون من القتال وتحصين البلد بعد أن قرّروا الإستمرار فيهما، قدم عليهم رجلان من أصحاب تيمور وصاحا عن بعدمن

أسفل السور: (الأمير يريد الصلح فابعثوا رجلاً عاقلاً حتى يحدثّه الأمير في ذلك. . .).

فلما سمع سكان المدينة ما قاله الرجلان تشاوروا في الأمر واستقرّ الرأي على طلب الأمان من تيمور - كما يذكر ابن خلدون - ثم شاوروا في ذلك نائب القلعة فأبى عليهم وأنكر وهدّد بإحراق المدينة فلم يلتفتوا إليه، ووقع اختيار الناس على القاضي تقي الدين ابراهيم بن محمد بن مفلح الحنبلي، الذي اتجه للخروج من (باب النصر) قرب القلعة فمنعه نائبها وحذّره من مغبّة عمله، لكنه لم يأبه به واتجه إلى (الباب الصغير) حيث أرخي من فوق السور إلى الأرض، وكان معه شيخ الصوفيّة، وتوجّه إلى تيمور واجتمع به في معسكره ثم عاد إلى دمشق مخدوعاً بمعسول الكلام ولطف القول ورفق الكلام، ومما قال له تيمور: (هذه بلدة الأنبياء والصحابة، وقد أعتقتها لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم صدقة عني وعن أولادي، ولولا حنقي من «سودون» نائب دمشق عند قتله لرسولي ما أتيتها، وقد صار سودون المذكور في قبضتي وفي أسري، وقد كان الغرض في مجيئي إلى هنا، ولم يبق لي الآن غرض إلا العَوْد، ولكن لا بدّ لي من أخذ عادتي من التقدمة من الطُّقُزات).

قلت: والطُّقُزات مفردها طُقُوز وهي كلمة تركية تعني (العدد تسعة) والمقصود بها في لغة تيمور وملوك التتار الهدايات التي يجب أن تشتمل على تسعة أنواع من المأكل والمشرب والملبس والجواري والعبيد والدواب والتحف وما إلى ذلك، ويذكر العلبي أنها عادة تيمورية معروفة، فهو عندما يدخل أية مدينة «صلحاً» يطلب من أهلها هذه الطُّقُوز، عربوناً للوفاء والمحبّة.

وعاد القاضي ابن مفلح إلى دمشق مخدوعاً بما حدثّه به تيمور، وأخذ في حضّ الناس على وقف القتال وصار يثني على القائد التتاري وحُسْن دينه واعتقاده،

فمال معه بعض الناس، وخالفه البعض الآخر وأبوا إلا القتال وقالوا: (لن نرجع عن القتال)، وهو ما كان يرمي إليه تيمور من بذر الشقاق وقسمة القوم ليسهل عليه أمر المدينة، فلم يصبح الصباح إلا وغلب رأي ابن مفلح على بقية الآراء المخالفة، فعزم على إتمام الصلح ونادى بالناس مهدّداً وقال: (من خالف ذلك قُتل أو هُدر دمه). فتوقّف الناس عن القتال.

قلت: ويا ليتهم لم يفعلوا، لأن نكبة دمشق وكارثتها ومجزرتها وحريقها بدأت منذ تلك اللحظة واستمرّت ثمانين يوماً كانت فيه كالكابوس المخيف.

وجاء رسول تيمورلنك إلى المدينة وطلب الطُّقُزات، فقام ابن مفلح واستدعى القضاة رالفقهاء رالأعيان والتجّار، ولما اكتمل جمعها ساروا بها إلى باب النصر يريدون الخروج منه حتى (القصر الأبلق) الذي يقيم فيه تيمور فهو أقرب أبواب دمشق إليه، [وكان هذا القصر المملوكي في موضع التكيّة السليمانية اليوم]، فمنعهم نائب القلعة ثانية وهدّدهم بإحراق المدينة عليهم فلم يلتفتوا إلى قوله، وقالوا له: (أنت احكم على قلعتك، ونحن نحكم على بلدنا)، ثم تركوا باب النصر وتوجّهوا إلى الباب الصغير فدلّي ابن مفلح والطُّقُزات وكثير من أعيان دمشق وعلمائها من فوق السور وساروا إلى مخيّم تيمور فباتوا ليلتهم فيه وعادوا صباح اليوم التالي وقد حمل بعضهم مناشير تثبيتهم في مناصبهم أو إقرارهم على وظائف جديدة كقاضي القضاة ومستخرج الأموال وما إلى ذلك، وأرسل معهم «فرماناً» - أي مرسوماً - وهو ورقة بتسعة سطور تتضمّن أمان تيمورلنك لأهل دمشق على أنفسهم خاصّة، وقد قرىء هذا الفرمان على منبر الجامع الأموي.

ويتحدّث ابن خلدون في تاريخه عن لقائه بتيمورلنك فيقول: (وأخبرني القاضي برهان الدين أنه [ويقصد تيمورلنك] سأله عني، وهل سافرت مع عساكر مصر أو أقمت بالمدينة، فأخبره بمقامي في المدرسة حيث كنت [ويعني المدرسة

العادلية القائمة في حي الكلاسة اليوم]، وبتنا تلك الليلة على أهبّة الخروج إليه، فحدث بين بعض الناس تشاجر في المسجد الجامع [الأموي]، وأنكر البعض ما وقع من الإستنامة إلى القول. وبلغني الخبر من جوف الليل، فخشيت البادرة على نفسي، وبكّرت سَحَراً إلى جماعة القضاة عند الباب، وطلبت الخروج أو التدلّي من السور، لما حدث عندي من توهّمات ذلك الخبر، فأبوا على أولاً ثم أصغوا الي، ودلّوني من السور، فوجدت بطانته عند الباب، ونائبه الذي عيّنه للولاية على دمشق، واسمه: شاه ملك، من بني جَقطاي أهل عصابته، فحييتهم وحيّوني، وفديّت وفدّوني، وقدّم لي شاه ملك، مركوباً، وبعث معي من بطانة السلطان من أوصلني إليه. فلما وقفت بالباب خرج الإذن بإجلاسي في خيمة هنالك تجاور خيمة جلوسه، ثم زيد في التعريف باسمي أني القاضي المالكي المغربي، فاستدعاني، ودخلت عليه بخيمة جلوسه، متكئاً على مرفقه، وصحاف الطعام تمرّ بين يديه، يشير بها إلى عُصَب المُغُل [المغول] جلوساً أمام خيمته، حلقاً حلقاً، فلما دخلت عليه فاتحت بالسَّلام، وأوميت إيماءة الخضوع، فرفع رأسه، ومدّيدة إليّ فقبّلتها، وأشار بالجلوس فجلست حيث انتهيت... ثم أشار إلى خدمه بإحضار طعام من بيته يسمّونه الرشتَة، فأحضرت الأواني منه، وأشار بعرضها عليّ، فمثَلْت قائماً وتناولتها وشربت واستطبت، ووقع ذلك منه أحسن المواقع).

وتم الإتفاق على فتح باب المدينة من الغد، ففُتح (الباب الصغير) فقط، وقدم أمير من أمراء التتار فجلس عنده ليحفظ البلد ممن يدخل إليها من عساكرهم، فانطلت الحيلة على أهل دمشق، وأكثر ابن مفلح ومن كان معه بالدعاء والثناء على تيمور ومحاسنه وفضائله، ودعى العامّة إلى طاعته والولاء له. وحثّهم على جمع المال الذي طلبه وقدره ألف ألف دينار، فلما اكتمل حمله ابن مفلح إلى تيمور ووضعه بين يديه، فلما عاينه استصغره وغضب غضباً شديداً وأمر بإخراجهم عنه

فأخرجوا عن وجهه. وعادوا إلى البلد ليفرضوا على أهله مبلغاً يوصل المجموع إلى عشرة آلاف ألف دينار [أي عشرة ملايين دينار]، فنزل بالناس بلاء عظيم، وعوقب كثير منهم بالضرب، ولما حمله ابن مفلح ثانية إلى تيمور قال: (هذا المال بحسابنا يسوي ثلاثة آلاف ألف دينار، وقد بقي عليكم سبعة آلاف ألف دينار، وظهر لي أنكم عجزتم). ثم ألزمهم بإخراج أموال أهل مصر التي خبّأووها قبل تركهم المدينة، كما ألزمهم بإخراج السلاح جليله وحقيره، والدواب والخيل أيضاً، فلما تم له ذلك قبض على ابن مفلح وصحبه، وألزمهم أن يكتبوا له جميع خطط دمشق وحاراتها وسككها ففعلوا، ففرّقه على أمرائه وقسّم البلد بينهم، فساروا إليها بمماليكهم وحواشيهم. ولما نزل كل أمير منهم في قسمه طلب من فيه وطالبهم بالأموال، وهنا حلّ البلاء الأعظم بأهل دمشق، وأجري عليهم أنواع العذاب مما يعجز المرء عن ذكره، فمن الضرب والعصر والإحراق بالنار، إلى التعليق منكوساً إلى أخذ النساء والبنات والأولاد، وأذاق أمراء التتار أهل دمشق من البلاء والعذاب ما لم يسمع به مدة تسعة عشر يوماً. فلما علمت أمراء التتار أن المدينة فرغت من الأرزاق والأموال عادوا إلى تيمور فسألهم: (هل بقي لكم تعلّق في دمشق ؟)، قالوا: لا، فأعطى عندئذ المدينة إلى أتباع الأمراء الذين دخلوها وبأيديهم سيوف مسلولة، فنهبوا ما قدروا عليه، وسبوا نساء دمشق بأجمعهنّ، وساقوا الأولاد والرجال. ثم طرحوا النار في المنازل والدور والمساجد فاحترقت البلد وهدمت القلعة وسقطت سقوف جامع بني أميّة من الحريق وزالت أبوابه ورخامه، كما ذهبت مساجد دمشق ودورها وقياسرها ومدارسها وحمّاماتها، صارت كلّها هباءاً منثورا.

والغريب في أمر تيمورلنك أنه خلال حواره ومناظراته من العلماء والفقهاء، كان يكثر من الاستغفار والتسبيح، حتى أن بعضهم قال فيه:

قد بُلينا بأمير ظَلَمَ الناسَ وسبَّح

فهو كالجزّار فيهم يذكُر الله ويَذْبَـح

وقال آخر:

للـه دَرُّكَ كـم بيت مررتَ بـه قد كان يعمر باللذّات والطرب

دارت عقاب المنايا في جوانبه فصار من بعدها للويل والخَرَب

ورحل تيمور عن دمشق بعد ثمانين يوماً أذاقها فيها الويلات والأهوال، وبعد أن فرّغ المدينة من مهرة الحرفيين والصنّاع ورجال الفكر ساقهم أمامه ليجمّلوا له عاصمته سمرقند [في أزبكستان اليوم]. فأصبحت دمشق خاوية على عروشها إلا من بضعة آلاف من الأطفال دون الخامسة من العمر لا معين لهم ولا معيل.

و تيمور هو، استناداً لما كُتب بالعربية على شاهدة قبره في سمرقند: (هنا مرقد السلطان الأعظم، الخاقان الأكرم، أمير تيمور گوركان ابن الأمير تُرغَان، . . . ابْن الأمير تومْناي خان).

وهو فاتح مغولي ولد سنة (٧٣٦ هـ/ ١٣٣٦م) ومختلف في هذا التاريخ، وتوفى سنة (٨٠٧ هـ/ ١٤٠٥م) وهو يعدّ العدّة لفتح الصين، وخلال حياته أصيب بسهم في ساقه فلقِّب بـ«لنك» أي الأعرج، ودمج الاسم واللقب فأصبحا كلمة واحدة هي: تيمورلنك. واجتاح بجحافله كامل المنطقة الممتدّة من منغوليا إلى البحر الأبيض المتوسّط، وأنزل بالسلطان العثماني بيازيد الأول هزيمة منكرة سنة (١٤٠٢م).

وصف ابن عرب شاه وابن تغري بردي تيمورلنك فقالا: كانت ملامحه مغولية خالصة، طويل القامة [وقيل معتدلها]، كبير الجبهة، عظيم الهامة، شديد القوة، أبيض اللون، مشرّباً بحمرة، عريض الأكتاف، غليظ الأصابع، مسترسل اللحية، أشلّ اليد، أعرج الرجل اليمنى، تتوقّد عيناه، جهوري الصوت.

- يقول ابن طولون الصالحي: في يوم الأحد الثاني عشر من صفر سنة

٩٠٣ هـ [من العهد المملوكي] شُرِعَ في تجديد باب آخر خارج الباب الصغير.

قلت: يحتمل أن يكون باب الباشورة الخارجي.

- وشهد الباب الصغير في العهد العثماني خلال القرن الثامن عشر للميلاد عديداً من الصراعات الداخلية التي كانت تدور بين فئات متناحرة من قوّات الدولة والقوّات المحليّة، كالصراع بين المغاربة والبغّادة، واليكنجريّة والقابي قول واليرلية والدالاتية وغيرهم.

والمغاربة: حامية مغربية من العساكر المرتزقة (من أقطار المغرب العربي) تواجدت أولاً في العهد المملوكي ثم برزت بالعهد العثماني في القرن الثامن عشر للميلاد، واستخدمها الولاة العثمانيون لحماية قافلة الحج، ولحراسة الخانات والحارات والأسواق، ولمراقبة البساتين والحقول المجاورة لدمشق، وفي غالب الأحيان كان مورد رزقهم من خلال التشليح وقطع الطرق والقتل.

والبغّادة: طائفة من العساكر المرتزقة تعود أصولهم إلى مدينة بغداد في العراق.

واليكنجريّة أو اليكنجاريّة هم: الإنكشارية، والكلمة تركية تعني الجيش الجديد، وتتألف من (يني) أي جديد أو مُحدث، و(تشري) بمعنى جيش أو جند أو عسكر.

والقابي قول: عساكر السلطة النظاميون المرسلون من استنبول لدعم الوالي والسلطة يقيمون عادة في قلعة دمشق وبها يتحصّنون.

واليرليّة: هم جنود الإنكشارية المحليّة ويتشكّلون من قوات القابي قول، لكنهم تخلّوا عن نظامهم طلباً للرزق، ثم من عناصر متطوّعة محلية تسعى للحصول على الإمتيازات، ومن الطبيعي أن يحدث صدام دائم بين هاتين القوّتين لتضارب مصالحهما.

والدالاتية : هم قوات مرتزقة تعود أصولهم إلى الأناضول وكرواتيا والبوسنة والصرب، ولم تكن الدولة تدفع لهم رواتب محدّدة بل كانوا يتعيّشون من عرض خدماتهم عليها، وتنفيذ بعض المهام التي تكلّفهم بها، ومن الغزو في بعض الأحيان.

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ١/ ١٥، ٢/ ١٨٥
الأعلاق الخطيرة لابن شدّاد ٣٤
نزهة الأنام للبدري ١٨
تاريخ ابن خلدون ٧/ ٧٢٨
عجائب المقدور في نوائب تيمور لابن عرب شاه
بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن أياس حوادث سنة ٨٠٣
مفاكهة الخلاّن لابن طولون ١/ ١٨٦
غرائب البدائع وعجائب الوقائع لابن الصدّيق ٤٥
منادمة الأطلال لبدران ٤٠، ٤٣
الآثار التاريخية في دمشق لسوفاجيه ١٧
دمشق القديمة للمنجّد ١٩٤٥ ص ٤٩
الأعلام للزركلي ٩/ ٢٣٧
دمشق في عصر المماليك لزيادة ٥٠
تيمورلنك وحكايته مع دمشق للعلبي
الغزو المغولي (أحداث وأشعار) لجرّار
مجتمع مدينة دمشق لنعيسة ١/ ٢٣١- ٢٥٨
معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية لفريحة ٨٣- ٨٤
معجم الأساطير اليونانية والرومانية لعثمان والأصفر ٤٣
معالم دمشق التاريخية للإيبش والشهابي

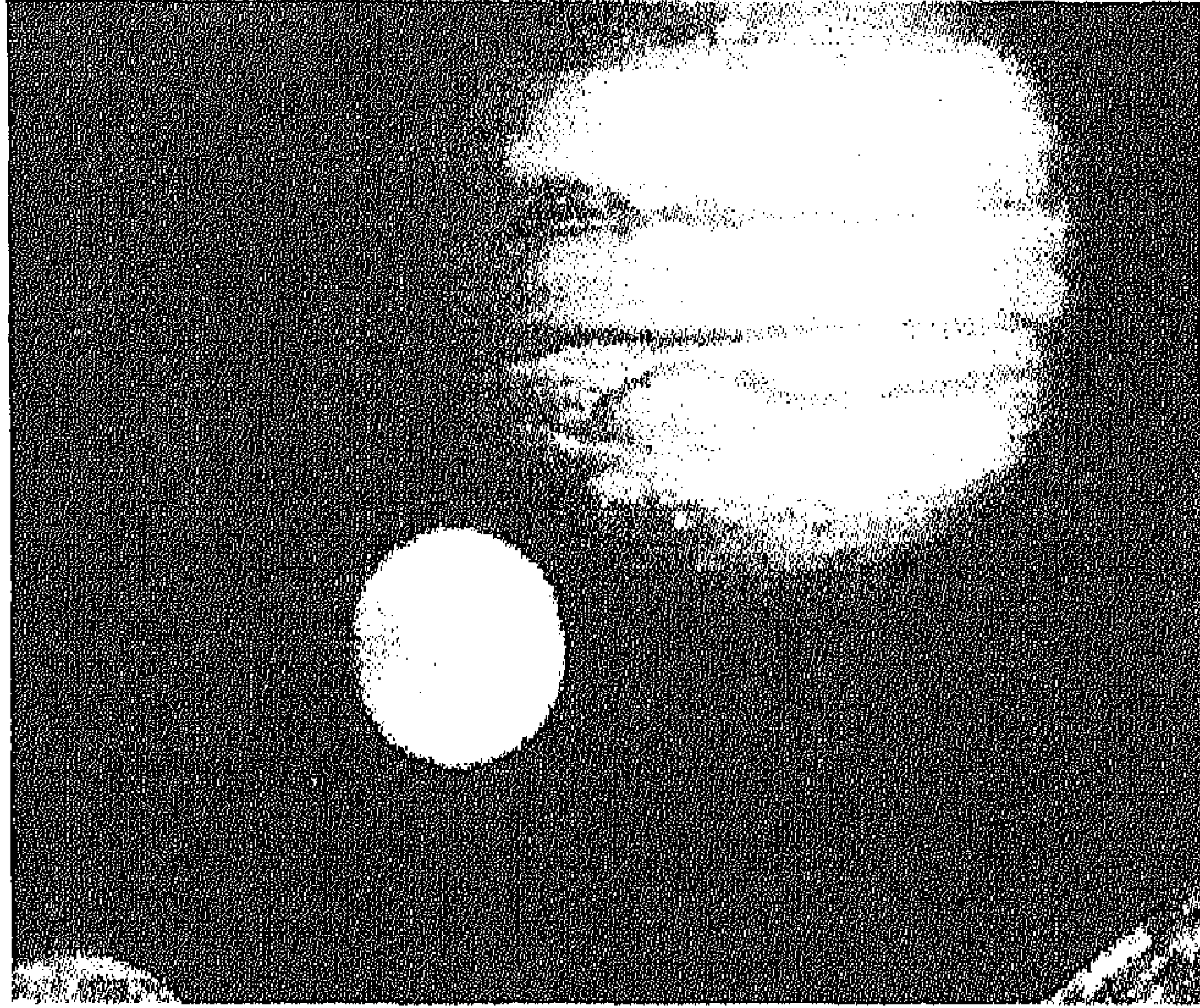


كبير الآلهة Zeus عند الإغريق

وهو نفسه كبير الآلهة جوبيتر Jupiter عند الرومان

ويمثّلهما كوكب المشتري الذي نُسب إليه

الباب الصغير في العهدين اليوناني والروماني



كوكب المشتري Jupiter

وأقماره التابعة

الذي يمثّل كبير الآلهة جوبيتر Jupiter عند الرومان

وهو نفسه كبير الآلهة Zeus عند الإغريق



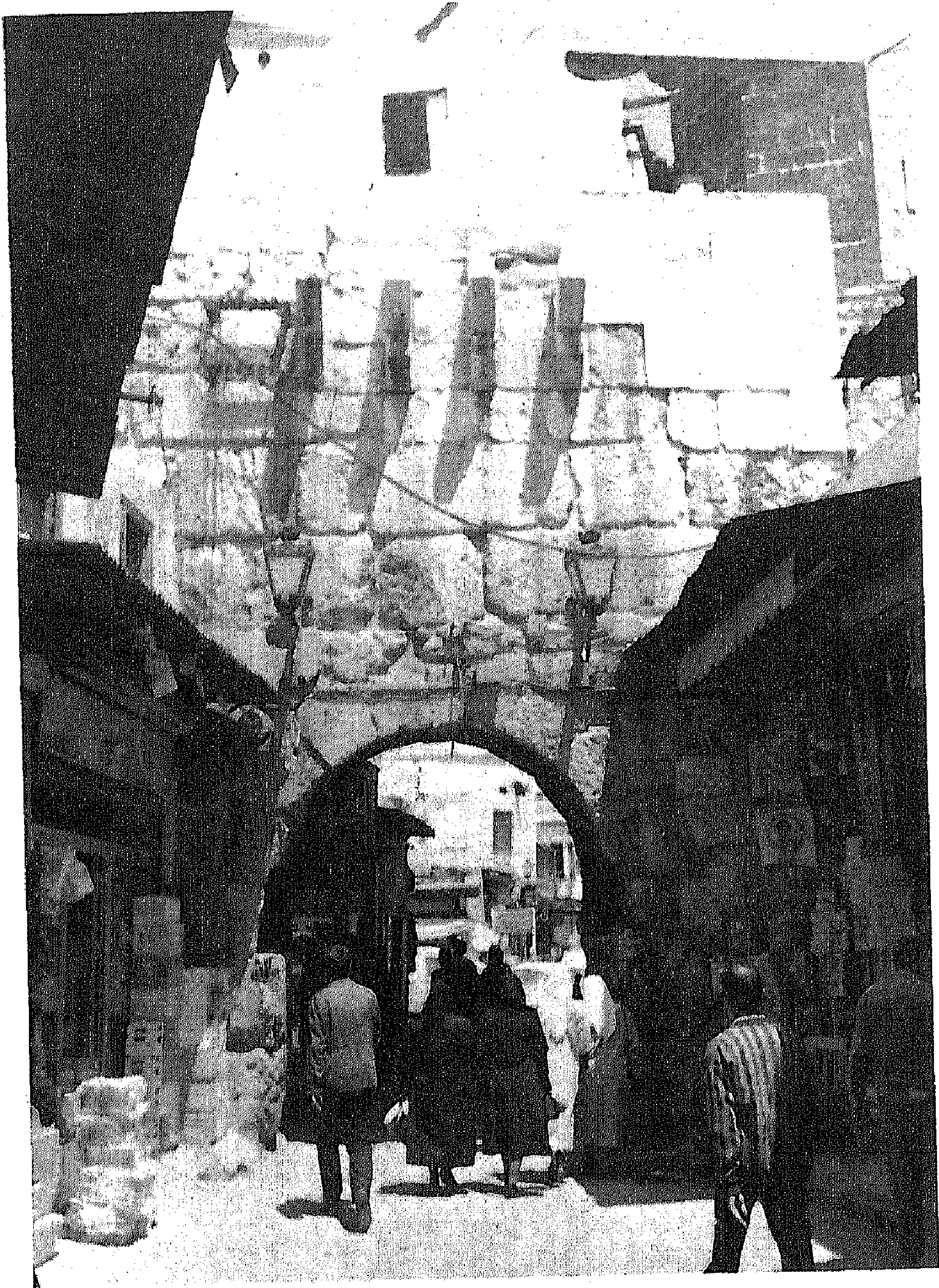
صورة تخيّلية لتيمورلنك

- ولادته سنة ١٣٣٦م ومختلف فيها
- وفاته سنة ١٤٠٥م
- لقّب بالأعرج (لنك) لسهم أصابه في ساقه
- أشد الفاتحين قسوة وشراسة ودهاء
- حاصر دمشق سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م وبعد ثمانين يوماً من الفتك بها وبأهلها رحل عنها وتركها قاعاً صفصفاً



تيمورلنك وجحافل التتار

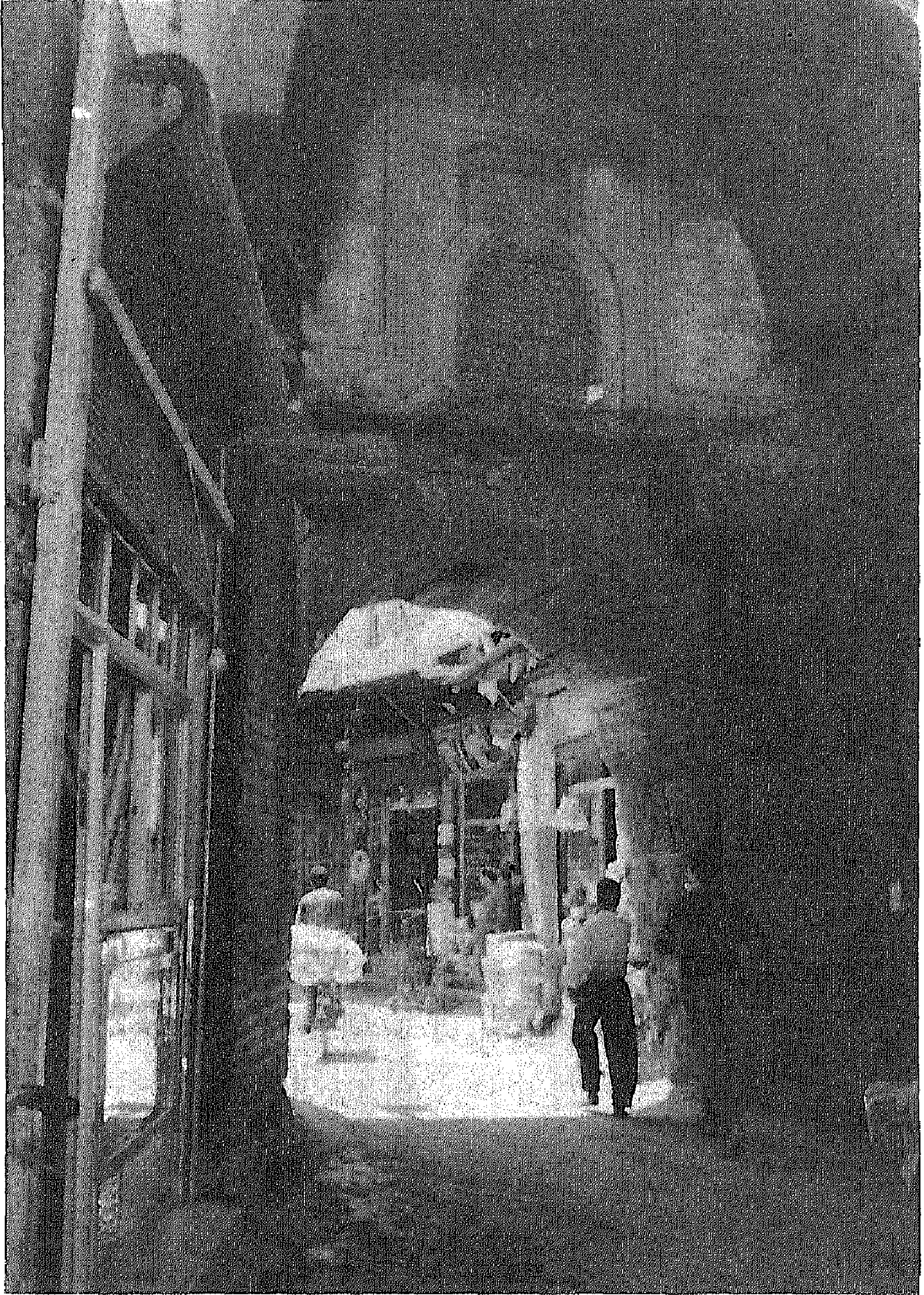
(عن موسوعة المورد)



الواجهة الخارجية للباب الصغير في حي الشاغور البرّاني خارج السور (بعدسة المؤلّف صيف عام ١٩٩٦م)



الواجهة الداخلية للباب الصغير في حي الشاغور الجوّاني داخل السور (بعدسة المؤلّف صيف عام ١٩٩٦م)



داخل الباب الصغير من الشمال إلى الجنوب، من الشاغور الجوآني إلى الشاغور البراني (بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٩٦م)



الواجهة الداخليّة للباب الصغير في حي الشاغور الجوّاني داخل السور
(بعدسة المؤلّف من الشمال إلى الجنوب صيف عام ١٩٩٦م)



الكتابات المنقوشة في أعلى الباب الصغير من الداخل والتي ذكرتها في المتن
(بعدسة المؤلّف صيف عام ١٩٩٦م)

باب الفراديس

من أبواب سور دمشق القديمة في الجهة الشمالية، بين باب الفرج وباب السلام ويتألف من بابين، داخلي وخارجي يمتدّ بينهما سوق العمارة.

هو واحد من الأبواب السبعة الأصلية للمدينة القديمة، بناه الرومان، ويحتمل أنهم أقاموه في نفس موضع الباب اليوناني الأسبق، لكننا لا نملك ما يؤكد أو ينفي ذلك. كما لا يمكن الجزم إن كان هذا الأخير قد شيّد على أنقاض الباب الآرامي الأقدم.

نُسب هذا الباب إلى كوكب عطارد، وهو رسول الآلهة عند اليونان واسمه (هرمس Hermes) وتروي الأساطير الإغريقية أنه أصبح إله الفطنة والحيلة كالتجارة، والفصاحة، واللصوصية، واختراع الأدوات الموسيقية، والموازين والمقاييس، وأحرف الهجاء. وقد دمج الرومان هذا الإله بإلههم (ميركور Mercury).

ويؤكد نسبة أبواب السور إلى الكواكب مؤرّخ دمشق الكبير ابن عساكر وينقل عنه ابن شدّاد والقلقشندي وغيرهما، فيقول: (باب الفراديس لعطارد).

ويذكر بدران عن أحد الحكماء قوله: ويصوّرون عطارد بصورة شاب راكب على طاووس، وفي يمينه حيّة، وفي يساره لوح يقرأ فيه. ويصوّرونه أيضاً بصورة رجل جالس على كرسي، وفي يده كتاب، وعلى رأسه تاج أو شيء من الملبوس، وعليه ثياب ملوّنة.

تعود تسمية (باب الفراديس) إلى عهود سابقة للإسلام، وتنسب إلى محلّة كانت قبالته من خارج البلد تسمّى (الفراديس) استناداً لما ذكره ابن عساكر.

والفراديس جمع فردوس، بمعنى: بستان أو روضة، ويسمّي أهل الشام الكروم والبساتين الفراديس. وهي كلمة فهلوية من الزند (من اللغات الإيرانية القديمة): Pairi - Daeza وتعني: حديقة أو بستان مسيَّج، وقد دخلت هذه اللفظة جميع اللغات السامية في الأزمنة القديمة، وبالأخص اللغة السريانية ومنها إلى العربية، كما دخلت إلى اليونانية ومنها انتقلت إلى اللغات الأوروبية ذات الأصول اللاتينية والجرمانية بنفس اللفظ Paradis .

ومن المعروف أن محلّة الفراديس كانت عامرة بالقصور والبنيان لكنها احترقت وخُرِّبت في فتنة القرامطة والفاطميين سنة (٣٦٣ هـ) كما يذكر ابن القلانسي فيقول: (ففي يوم الاثنين السابع عشر من ذي القعدة من السنة المذكورة ... جاءت المغاربة - وهم عساكر الخلافة الفاطمية وجلّهم من بربر الشمال الأفريقي - نحو الفراديس، ودخلوا الدروب، وملكوا السطوح وطرحوا النار في الفراديس، وكان هناك من البنيان الرفيع الغاية في الحسن والبهاء ما لم يُرَ مثله، وهو أحسن مكان كان بظاهر دمشق).

ثم صار في موضع هذه المحلّة مقبرة عرفت باسم (مقبرة الفراديس) أو مقبرة باب الفراديس واصبحت فيما بعد جزءاً من مقبرة الدحداح الحالية.

والقرامطة: حركة دينية سياسية تنسب إلى مؤسسها (حمدان قرمط) الذي ظهر في العراق نحو سنة (٢٥٨ هـ)، وانتشر القرامطة لا سيما في البحرين واليمن، واستولوا على مكّة سنة (٣١٧ هـ) ونقلوا منها الحجر الأسود ثم ردّوه بعد اثنتين وعشرين سنة، وانتزعوا دمشق من الفاطميين في ذي القعدة من سنة (٣٦٠ هـ)، ويقول ابن القلانسي: (وصل القرامطة إلى دمشق، ونصبوا على أسوارها السلالم، وتعلّقوا بها وفتحوها قصداً، وأوقعوا بأهلها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، وشنّعوا بأهلها وقتلوا واليها [الفاطمي] جعفر بن فلاح، وسبب ذلك أنهم

لما رأووا أن جعفراً استولى على الشام أهمهم أمره وأزعجهم وقلقوا، لأنهم كانوا قرروا مع ابن طغج [الفاطمي أيضاً] أن يحمل إليهم في كل عام ثلاثمائة ألف دينار، فلما ملكها جعفر علموا أن المال يفوتهم، فعزموا على المسير إلى الشام).

ثم زحف القرامطة إلى مصر يريدون احتلالها سنة (٣٦٢ هـ)، فهزمهم المعزّ لدين الله الفاطمي، وقضى عليهم الأمراء العيونيّون في البحرين سنة (٤١٨ هـ) فانقرضوا.

وكان جرير قد ذكر باب الفراديس في شعر له فقال:

لما تذكّرتُ (بالديرين) أرّقني صوتُ الدجاجِ وقرعٌ بالنواقيس
فقلت للركبِ إذ جَدَّ الرحيلُ بنا يا بُعْدَ (يبرين) من بابِ الفراديس

كما ذكر الفراديس ابن قيس الرّقيّات بقوله:

أقفرَت منهم الفَراديسُ والغو طةُ ذاتُ القُرى وذاتُ الظلالِ

والجدير بالذكر ان ابن عساكر ذكر باباً آخر باسم (باب الفراديس الآخر المسدود، ونسبه للقمر)، ثم قال: (وكان للفراديس باب آخر عند باب السلامة فسُدّ).

قلت: لعل ابن عساكر كان يعني في قوله باب الفراديس الآخر المسدود باب الجينيق لأنه الباب الوحيد الذي لم يذكره في تعداده، ولا يزال هذا الباب مسدوداً إلى يومنا هذا، ويبدو أنه كان قد سُدّ في عصر سابق سابق للإسلام بدليل عدم وروده بين الأبواب التي نزل عليها المسلمون عند فتح دمشق.

ويذكر كل من فاتسنگر وفولتسنگر أن اسمه في أيامهما (حوالي ١٩١٧م): باب العمارة، وكان يعرف في السابق بباب السلام، والسبب في تعدّد الأسماء أن

أربعة أبواب على الأقل كانت تقوم بالتوالي في هذا المكان . وهي البوّابة السابقة للإسلام، والقوس السابق للإسلام، وباب سور المدينة .

ومن طريف ما ذكره بعض الكتّاب المعاصرين أمثال (قدامة وفون كريمر) أن الباب كان يسمى (باب الكراديس) لما قيل بأن القتلى (تكردسوا) على هذا الباب، وهو وهم واضح، ولعلّ العامّة أطلقت هذه التسمية من قبيل النكتة أو المبالغة أو التحريف اللفظي، والإحتمال الآخر أن هذه التسمية الشعبية تناقلتها الأجيال وبقيت عالقة في أذهانهم نسبة لكثرة الضحايا عند هذا الباب إثر فتنة القرامطة سنة (٣٦٣ هـ) كما ذكرت .

اختلف المؤرّخون فيمن نزل على هذا الباب عند حصار العرب المسلمين لدمشق سنة (١٤هـ)، فذكر الواقدي أنه القائد عمرو بن العاص، وقال البلاذري بل هو شرحبيل بن حسنة، والتزم ابن كثير جانب الحرص والحذر فقال بعد أن ذكر من نزل على الباب الشرقي وباب الجابية والباب الصغير : نزل عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة على بقية الأبواب .

وعندما حاصر العبّاسيون دمشق سنة (١٣٢ هـ)، نزل عليه كل من : عبد الصمد بن علي، ويحيى بن صفوان، والعبّاس بن يزيد .

جدّد الباب في العهد الأيوبي سنة (٦٣٩ هـ/ ١٢٤١م) أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب لا في زمن الملك الصالح اسماعيل بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب كما تذكر اللوحة المؤرّخة بجواره . ويؤكّد الأستاذ شقْدن هذا التاريخ من خلال أبحاثه الميدانية فيقول : باب الفراديس الخارجي تمّ بناؤه في شوال (٦٣٩ هـ) .

ويذكر المرتضى الزبيدي : (الملك الكامل الشهيد ناصر الدين محمد صاحب ميافارقين كأبيه، حاصره أشموط بن هولاكو سنتين، فصبر حتى فني زادهم فاستولى التتار، واستشهد الملك ناصر الدين، وطيف برأسه بدمشق، ثمّ علّق بباب الفراديس سنة (٦٥٨ هـ) .

ويقول ابن شاكر الكتبي في حوادث سنة ٦٨٣ هـ من العهد المملوكي :(وفي ليلة الأربعاء العشرين من شعبان أمطرت السماء أول الليل، وتوالى المطر الشديد الغزير مع الرعد القاصف، والبرق الخاطف إلى أول النهار فجاءت زيادة عظيمة، وارتفع الماء على الأرض قامة وأخرب أكبر ضواحي دمشق، ووقع جسر باب الفراديس ووصل إلى المدرسة المقدّمية وأهلك خلق كثير من عسكر مصر وراح من أثقالهم ودوابهم شيء كثير، وكان أعظم من السيل الذي جاء سنة ٦٦٩ هـ . . . وراح للناس شيء كثير، وغرق خلق كثير من الناس وأكثرهم من المصريين لأنهم كانوا نازلين بالميادين وسوق الخيل، وما عرفوا في الليل أين يقصدون. وخرب جماعة بيوت وأربابها، مع أن باب الفراديس تكسّرت أقفاله والتراس الخشب الذي خلفه، وهذا غاية ما يكون من قوّة السيل).

ومن أحداث هذا الباب:

- قال ابن كثير: (في يوم الثلاثاء السابع والعشرين من صفر سنة ٦٣٧ هـ من العهد الأيوبي هجم الملك الصالح اسماعيل وفي صحبته أسد الدين شيركوه صاحب حمص إلى دمشق، فدخلاها بغتة من باب الفراديس. . وأصبحوا فحاصروا ا القلعة ونقبوها من ناحية باب الفرج ودخلوها وتسلّموها).

وحول ترجمة الملك الصالح اسماعيل: انظر باب توما.

أما اسد الدين شيركوه فهو: الملك المجاهد شيركوه، أسد الدين، أبو الحارث، بن الملك القاهر ناصر الدين محمد بن الملك المنصور أسد الدين شيركوه بن شاذي بن مروان، ثاني ملوك الأيوبيين في حمص، ولد سنة (٥٦٩ هـ)، وتولّى سنة (٥٨١ هـ) وتوفى سنة (٦٣٧ هـ).

- وقال أيضا: (في يوم الأحد الثاني عشر من شوّال سنة ٦٦٩ هـ من العهد

المملوكي جاء سيل عظيم إلى دمشق فأتلف شيئاً كثيراً وغرق بسببه ناس كثير، ولا سيما الحجّاج من الروم الذين كانوا نزولا بين النهرين، أخذهم السيل وجِمالهم وأحمالهم، فهلكوا وأغلقت أبواب البلد، ودخل الماء إلى البلد من مراقي السور ومن باب الفراديس، فغرق خان ابن المقدّم وأتلف شيئاً كثيراً، وكان ذلك في زمن الصيف في أيام المشمش).

- ثم ذكر: (في أواخر ربيع الآخر من سنة ٦٨٧ هـ قدم الشيخ ناصر الدين عبد الرحمن المقدسي من القاهرة، على وكالة بيت المال ونظر الأوقاف ونظر الخاص، فاستجدّ [جدّد] باشورة باب الفراديس . . وكذلك أصلح جسر باب الفراديس تحت السويقة التي جدّدها عليه من الجانبين).

- وقال أيضاً: (في سنة ٧٣٢ هـ أمر تنكز [نائب السلطنة بالشام] ببياض الجدران المقابلة لسوق الخيل إلى باب الفراديس).

وتَنْكِز هو: الأمير الكبير العالم العادل سيف الدين تنكز [وتلفظها العامّة: دِنكِز]، تولّى نيابة دمشق في العهد المملوكي يوم الخميس ٢٠ ربيع الآخر سنة (٧١٢ هـ) وترك فيها بصمات عمرانية كثيرة ما زالت ماثلة إلى اليوم، واستمرت نيابته مدة (٢٨) سنة عزل بعدها وألقي القبض عليه في ١٣ ذي الحجّة سنة (٧٤٠ هـ) واعدم في سجن الإسكندرية في نصف المحرّم من سنة (٧٤١ هـ)، ثم ارسلت جثته إلى دمشق في أوائل رجب من سنة (٧٤٤ هـ) ودفنت في تربته لصيق جامعه [جامع تنكز في شارع النصر اليوم].

ويقول الصلاح الصفدي:

في قتل تَنكِز سرّ ... أراده الله ربّه
أتى به نحو أرض ... يحبّها وتحبّه

- ويقول ابن طولون الصالحي : (في يوم الثلاثاء الثاني عشر من جمادى الأولى سنة ٩٢٣ هـ - مطلع العهد العثماني - خُوزِق كبير الحراميّة زغيب، على باب المزابل خارج باب الفراديس) .

قلت : خُوزِق بمعنى وُضِع على الخازوق، وكلمة الخازوق مصطلح علمي يستعمل في الهندسة بمعنى الوتد، لكنه أخذ بالمفهوم العامي أبعاداً أخرى، وكانت الخوزقة في العهد العثماني إحدى وسائل التعذيب والإعدام ، ومن طريف ما يروى حوله أن أحد المحكومين بالشنق ظل يردّد وحبل المشنقة حول عنقه : ألهمّ نجّنا من بلاء أعظم . فلكزه المكلّف بشنقه وقال له : وهل من بلاء أعظم من الشنق ؟ وعجّ في الأفق البعيد غبار كشف عن فارس يطارد الريح ويصيح أوقفوا الشنق، ثم قرأ فرماناً همايونيّاً [مرسوماً من السلطان] جاء فيه : يُستبدل حكم الإعدام شنقاً بالإعدام على الخازوق. وهنا نظر المحكوم إلى سجّانه وقال: ألم أقل ألهم نجّنا من بلاء أعظم .

وتطلق العامّة اليوم على هذا الباب اسم (باب العمارة) لأنه يقع بين حيي العمارة الجوانيّة والعمارة البرّانيّة . ويبلغ ارتفاعه ٤٣١ سم، وعرضه ٣٥٠ سم . ولا يزال الباب مصفّحاً بالحديد إلى يومنا هذا .

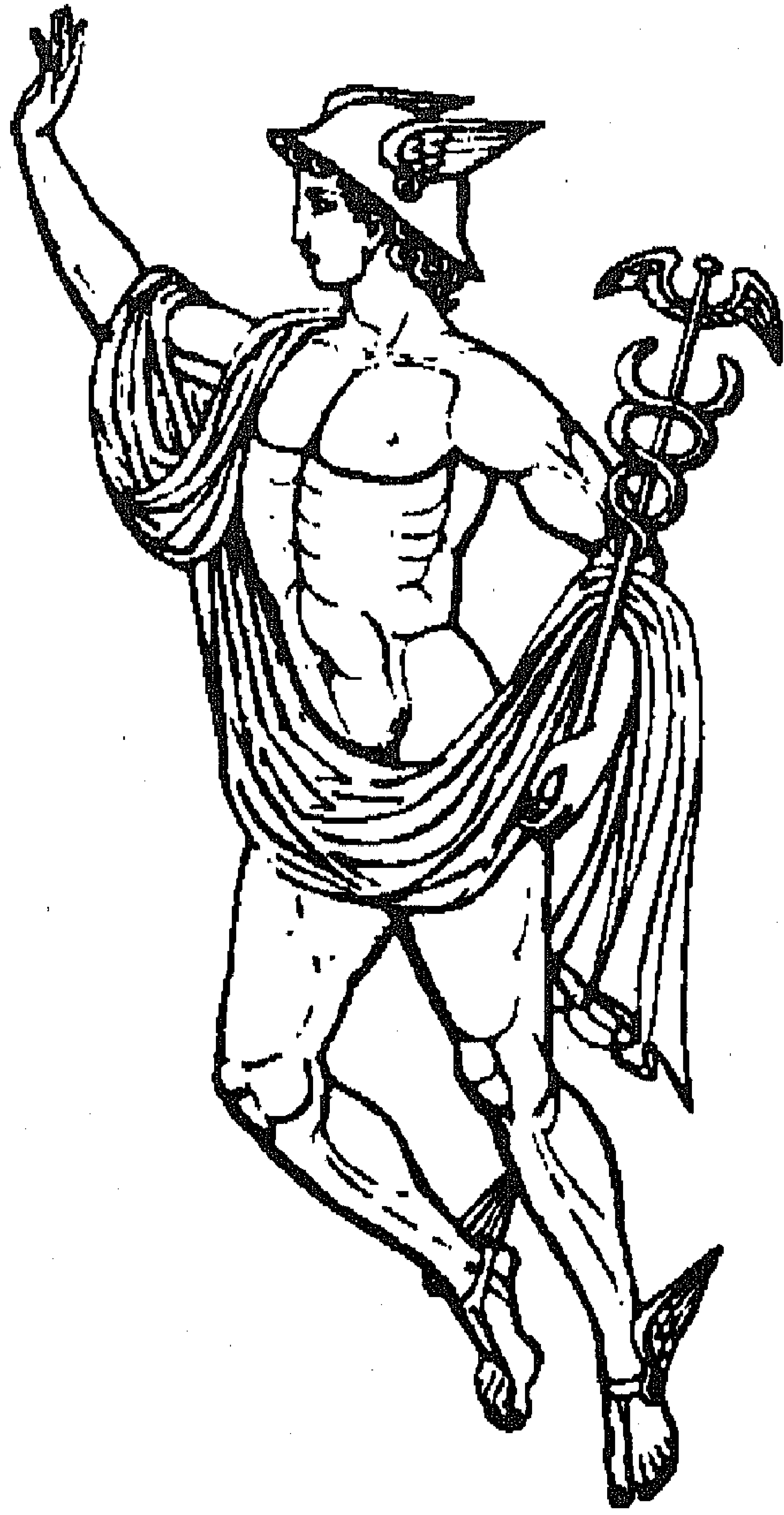
ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ١، ١٢

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ١/ ١٥، ٢/ ١٨٦

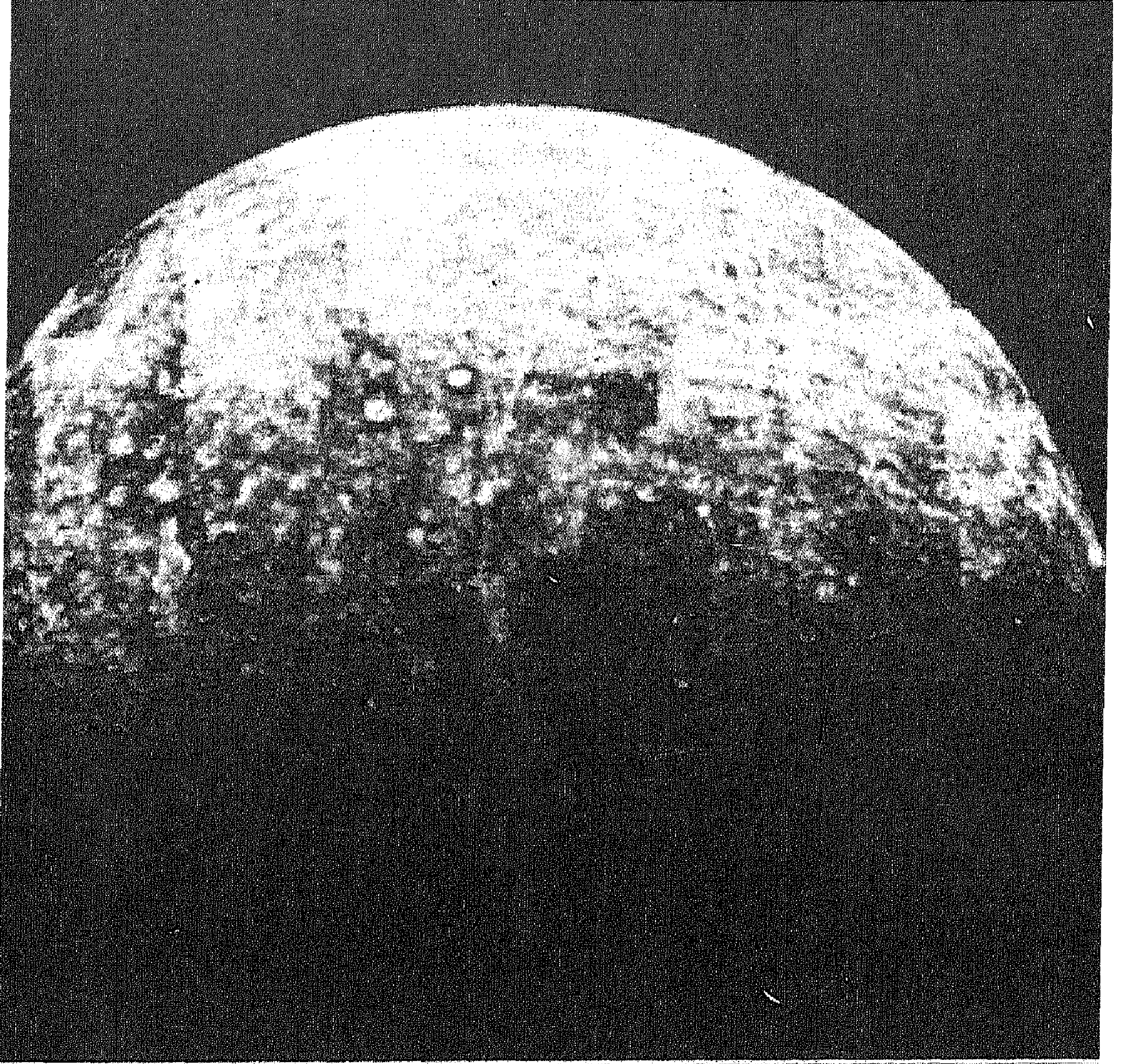
الدارس للنعيمي ٢/ ١٧٣

معجم البلدان لياقوت الحموي ٤/ ٢٤٢

البداية والنهاية لابن كثير ١٣/ ١٧٩ ، ٣٠٢ ، ٣٦٦ - ١٤/ ١٨٠
عيون التواريخ للكتبي حوادث سنة ٦٨٣
ترويح القلوب في ذكر الملوك بني أيوب للزبيدي ٥٦
مفاكهة الخلاّن لابن طولون ٢/ ٦٢
الروضة الغنّاء في دمشق الفيحاء للقساطلي ١١٢
طوبوغرافيا مدينة دمشق لفون كريمر (بالألمانية) ١٣
الآثار الإسلامية في مدينة دمشق لفاتسنگر ٣٩٢
الآثار التاريخية في دمشق لسوڤاجيه ٥٨
دمشق القديمة للمنجّد ٥٨
ولاة دمشق في عهد المماليك لدهمان ١٥٦
مجلة العمران ، عدد خاص عن دمشق ٩٤
غوطة دمشق لكرد على ١٥٣ ، ١٩٣
باب توما ١ لسميا مجلة الإيمان ١٩٥٨ ص ٤١
الشارع المستقيم ٢ لسميا مجلة النعمة ١٩٦٠ ص ٦٢
أسواق دمشق القديمة للشهابي ٣١٤
معجم ألقاب أرباب السلطان في الدول الإسلامية للشهابي
معالم دمشق التاريخية للإيبش والشهابي



إله التجّار ميركوري Mercury عند الرومان
وهو نفسه الإله هرمس Hermes عند الإغريق
ويمثّلهما كوكب عطارد الذي نُسب إليه
باب الفراديس في العهدين اليوناني والروماني

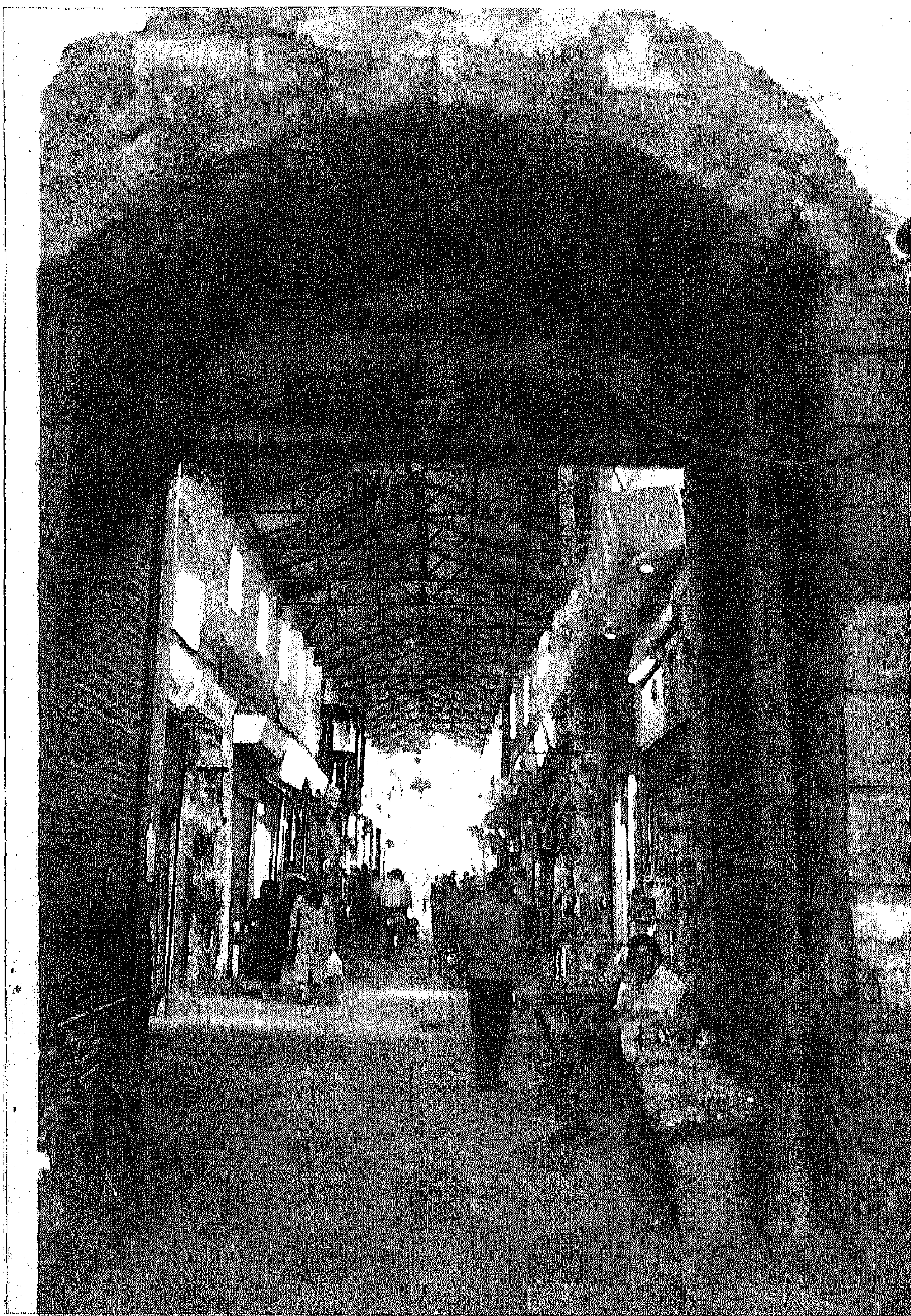


كوكب عطارد Mercury

الذي يمثّل إله التجّار ميركوري Mercury عند الرومان

وهو نفسه الإله هرمس Hermes عند الإغريق

(الصورة عن وكالة الفضاء الأمريكية Nasa)



باب الفراديس الداخلي في حي العمارة الجوّانية وخلفه سوق العمارة
(بعدسة المؤلف من الجنوب إلى الشمال صيف عام ١٩٨٩م)



باب الفراديس الخارجي المطل على حي العمارة البرانية (بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٩٦م)



الساكف الحجري المنقوش بالكتابات المطموسة فوق باب الفراديس (بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٩٦م)

باب كيسان

أحد أبواب دمشق القديمة في الزاوية الجنوبية الشرقية للسور

هذا الباب من الأبواب السبعة الأصلية لسور مدينة دمشق القديمة، بناه الرومان، ويحتمل أنهم أقاموه في نفس موضع الباب اليوناني الأسبق، لكننا لا نملك ما يؤكد أو ينفي ذلك. كما لا يمكن الجزم إن كان هذا الأخير قد شيّد على أنقاض الباب الآرامي الأقدم.

نُسب هذا الباب إلى كوكب زحل، وهو إله الزمن والزراعة عند اليونان، واسمه (كرونوس Kronos) وتروي الأساطير الإغريقية أنه أصبح رأس الأسرة الإلهية الأولمبية، ثم دمج الرومان هذا الإله بإلههم (ساتورن Saturn) الذي صار بتأثير الديانة الأورفية إلهاً عادلاً حكيماً للعصر الذهبي، وله في أثينا وروما أعياد خاصّة.

قال ابن عساكر: (ان الذي بنى دمشق، بناها على الكواكب السبعة، وجعل لها سبعة أبواب، وصوّر على الباب الذي يقال له اليوم باب كيسان زحل، فخرِّبت الصور كلّها التي كانت على الأبواب إلا باب كيسان فإن صورة زحل باقية إلى الساعة). ثم يقول على ألسنة البعض: (قرأت في كتاب عتيق: باب كيسان لزحل).

ويذكر بدران عن أحد الحكماء قوله: ويصوّرون زحل في صورة شيخ في يمينه رأس رجل، وفي يساره يده، وهو راكب على ذئب يحرك له بعصاه. وتارة يصوّرونه راكباً على فرس، وفي رأسه مِغْفَر، وفي يساره ترس، وفي يمينه سيف.

أما تسمية باب كيسان فينسبها ابن عساكر إلى (كيسان) مولى معاوية بن أبي

سفيان و**يكنّي بأبي** حَرِيز، ثم يذكر عن لسان هشام بن محمد الكلبي أنه منسوب إلى كيسان **مولى** بشر **ابن عبادة** بن حسّان بن جبّار بن قرط الكلبي.

قلت: من غير المعقول أن ينسب الباب إلى أحد (الكيسانين) ولا ينسب **مثلاً** إلى يزيد بن أبي سفيان وهو القائد الذي نزل عليه يوم الفتح وشقيق الخليفة **الأموي** معاوية بن أبي سفيان! أو حتى إلى غيره من عظماء القوم أو القادة. وما أظن مقولة ابن عساكر إلا ضرب من (التخمين الكيفي) لأنه هو نفسه لم يكن متأكداً من نسبة التسمية وإلا لما ذكر النسبتين وكرّر مقولة الآخرين دونما تمحيص أو مناقشة. وباعتقادي أن اسم كيسان محرّف عن (قِيْصُون) وهي كلمة سريانية تعني: طرفي، نهائي، أقصى. وهذا المعنى يفيد إما الحدّ الأقصى للمدينة، أو الباب المتطرّف، وفي هذه اللفظة ثلاثة إقلابات لغويّة، أولهما إقلاب القاف السريانية إلى كاف عربية تخفيفاً للّفظ، وثانيهما إقلاب بين الصاد السريانية والسين العربية تخفيفاً للّفظة أيضاً، وثالثهما إقلاب بين حرفي العلّة الواو السريانية والألف العربية وهو أمر بديهي، ومثل هذا الإقلابات واردة وشائعة في اللغات القديمة.

وهنا أود أن أطرح فرضية في احتمال كون اسمه باب (كرونوس) أيام اليونان، وباب (ساتورن) في العصر الروماني، باعتبار أنه كان منسوباً لهذين الإلهين.

وعلى هذا الباب نزل يزيد بن أبي سفيان عند حصار العرب المسلمين لدمشق سنة (١٤هـ) إضافة إلى نزوله على الباب الصغير في نفس الوقت. وحول ترجمته أنظر الباب الصغير.

ونزل عليه بسّام بن إبراهيم عند حصار العبّاسيين لها.

وقد بقي الباب مستخدماً إلى القرن السادس الهجري عندما سدّه السلطان نور الدين محمود بن زنكي وفتح باب الفرج بدلاً عنه، وذكر ابن عساكر المتوفى

(٥٧١ هـ) أنه كان مسدوداً في أيامه، وهذا يعني أن سدّه وقع بين السنوات (٥٤٩ - ٥٦٩ هـ).

قلت: باعتقادي أن سدّ نور الدين لهذا الباب كان بهدف دفاعي بحت يقوم على الإقلال من الأبواب التي يمكن اقتحامها من الجهة الجنوبية للمدينة حيث الأرض منبسطة وليس فيها عوائق أو موانع طبيعية كالأنهار أو الأشجار الكثيفة كما هو الحال في الجهة الشمالية من السور.

بقي هذا الباب مسدوداً طوال العهد الأيوبي الذي ورث العهد الأتابكي النوري، إلى أن أعاد فتحه الأمير سيف الدين مَنْكَلي بُغَا الشمسي نائب السلطنة في العهد المملوكي بالشام سنة (٧٦٥ هـ) وجدّد في داخله مسجداً كان مهجوراً ويعرف باسم (مسجد الشاذوري)، وعقد عنده جسراً فوق الخندق، ومنذ ذلك الحين شاع عليه اسم (الباب القبلي).

ويذكر ابن كثير فتح هذا الباب فيقول: (وفي يوم الأربعاء السادس والعشرين من شعبان اجتمع نائب السلطنة والقضاة عند باب كيسان، وشرع الصنّاع في فتحه عن مرسوم السلطان الوارد من الديار المصرية، وأمر نائب السلطنة وإذن القضاة في ذلك، واستهلّ رمضان وهم في العمل فيه).

ويتحدّث ابن صَصرَى عن قدوم السلطان المملوكي برقوق وعساكره لامتلاك دمشق وكان مخلوعا عن العرش فيقول بما معناه: من هذا الباب دخل شكر أحمد والمناطشة عسكر الأمير منطاش - بعد أن فتحه لهم الناس عندما كان السلطان يحاصر دمشق ولا يستطيع دخولها، وقيل ان الذين فتحوا باب كيسان كانوا من جماعة البيدمريّة أصحاب شكر أحمد البيدمري فإنه منهم ويسمّى بهم.

ويضيف ابن قاضي شهبة: (وجاء منطاش بعسكره فنزل بالقصر والميدان - يعني القصر الأبلق - يوم الإثنين في مستهلّ رجب - من سنة ٧٩٣ هـ - وجاء طائفة

من أصحابه إلى الباب الصغير يقصدون فتح البلد، ثم تحيّلوا حتى فتحوا باب كيسان، ودخلوا المدينة ولم يمانعهم أحد لأن العسكر غائب والقلعة محصّنة والحاجب بدار السعادة، والقضاة عندما وصل منطاش دخلوا القلعة، فدخل جماعة منطاش وفيهم أحمد شكر البيدمري المدينة).

و منْطاش: هو الأمير تمر بُغا الأشرفي الظاهري، سيف الدين منطاش، كان مملوكاً ثم اشتراه الملك الظاهر برقوق سنة سبع وثمانين وسبعمائة وأعتقه وولاه نيابة ملَطْية، فلما استقرّ بها عصي سنة (٧٨٨ هـ) ثم فرّ إلى سِيواس، و لما عصي الأمير يلبغا الناصري أرسله إلى حماة فأخذها، ثم توجها إلى مصر واستولوا عليها. وبعد عدة أحداث بين حمص ودمشق وحلب بدّل خلالها منطاش ولاءه أكثر من مرّة قُبض عليه في حلب وقطع رأسه وأرسل إلى مصر سنة (٧٩٥ هـ).

وفي سنة (١٩٢٥م) جُدد الباب وأدخلت عليه تعديلات كما تشير اللوحة المؤرّخة عنده.

وفي عهد الإنتداب الفرنسي، وتحديداً سنة (١٩٣٩م)، وبتخطيط المهندس الفرنسي (دولوري)، أقيمت عند مدخله كنيسة على اسم القدّيس (بولس الرسول) تخليداً لذكراه وحادثة تهريبه من السور في القرن الأول للميلاد، ومنذ القرن الرابع الميلادي شاع على الباب اسم (باب بولص).

والقديس بولس: هو أحد دعائم الكنيسة المسيحية القدامى، ولد في (طرسوس) باقليم كيليكيا (اللواء السليب) من أعمال تركيا اليوم، وتقدّر ولادته بحوالي سنة (٥ م)، وكان في شبابه من أعنف مضطهدي المسيحيين والديانة المسيحية عندما كان اسمه شاؤول، إلى أن اهتدى على طريق دمشق بعد أن ظهرت له رؤية السيد المسيح على شكل نور من السماء وقال له كلمته المشهورة: (شاؤول، شاؤول، لماذا تضطهدني). ، ثم أعاد له القديس (حنانيا) بصره الذي كان قد فقده

لثلاثة أيام، ثم تقرّر تهريبه خارج دمشق، فأنزله تلاميذ السيد المسيح ليلاً من السور في (سلّة) فتمكّن من النجاة والوصول إلى آسيا الوسطى واليونان حيث بدأ بالتبشير بالمسيحية ديناً جديداً وعندها أطلق عليه لقب (رسول الأمم). وقبض عليه في بيت المقدس وأرسل إلى روما فأعدم فيها أيام الأمبراطور نيرون حوالي سنة (٦٧ م).

فتوح الشام للواقدي ٧٠

فتوح البلدان للبلاذري ١٦٥

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ١/ ١٥ ، ٢/ ١٨٥

مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٢١/ ٢٢٩

البداية والنهاية لابن كثير ١٤/ ٣٥٠، ٣٥٢

تاريخ ابن قاضي شهبة المجلد الأول الجزء الثالث ٣٧٣، ٣٧٤، ٤٨٤ والمجلد الثالث الجزء الثاني ٢٤٤ - ٢٤٥، ٤٢٦

الدرّة المضيّة في الدولة الظاهريّة لاب صَصرَى ٧٦، ١٣٩

نزهة الأنام للبدري ٢٤

منادمة الأطلال لبدران ٤٢

الكتاب المقدّس أعمال الرسل الإصحاح التاسع

الآثار الإسلامية في مدينة دمشق لڤاتسنگر ١٨١ - ٣٨٩

الآثار التاريخية في دمشق لسوڤاجيه ٥٩

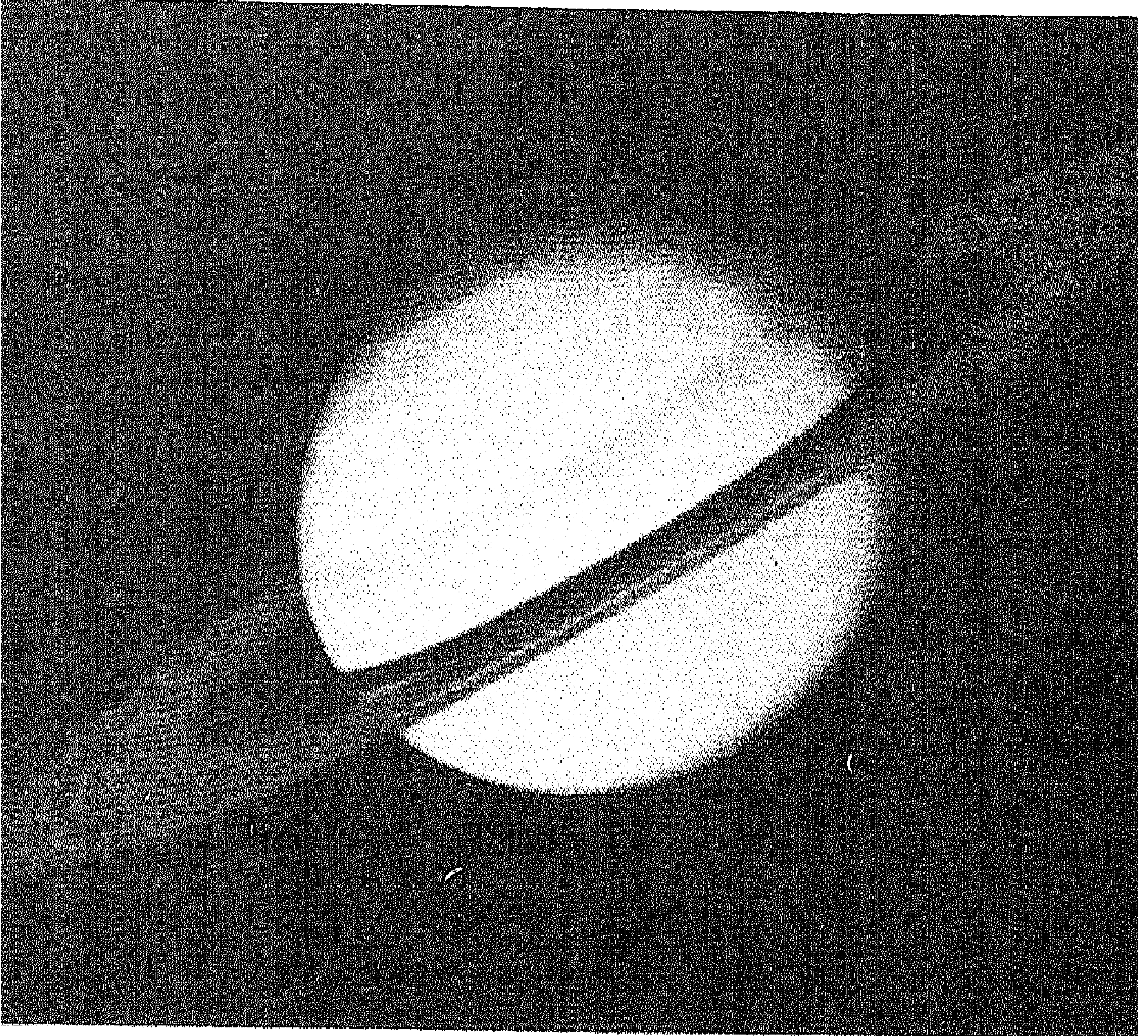
دمشق القديمة للمنجّد ١٩٤٥ ص ٦٠

ولاة دمشق في عهد المماليك لدهمان ٢٢٧

الشارع المستقيم ٦ لسميا، مجلة النعمة ١٩٦١ ص ٥٨
باب توما ١ لسميا، مجلة الإيمان ١٩٥٨ ص ٤١
معجم الأساطير اليونانية والرومانية لعثمان والأصفر ٣٥٤
دمشق تاريخ وصور للشهابي ط٢ ٣٢٩
هنا بدأت الحضارة للشهابي ٨٩
معالم دمشق التاريخية للإيبش والشهابي



إله الزمن ساتورن Saturn عند الرومان
وهو نفسه الإله كرونوس Kronos عند الإغريق
ويمثّلهما كوكب زحل الذي نُسب إليه
باب كيسان في العهدين اليوناني والروماني

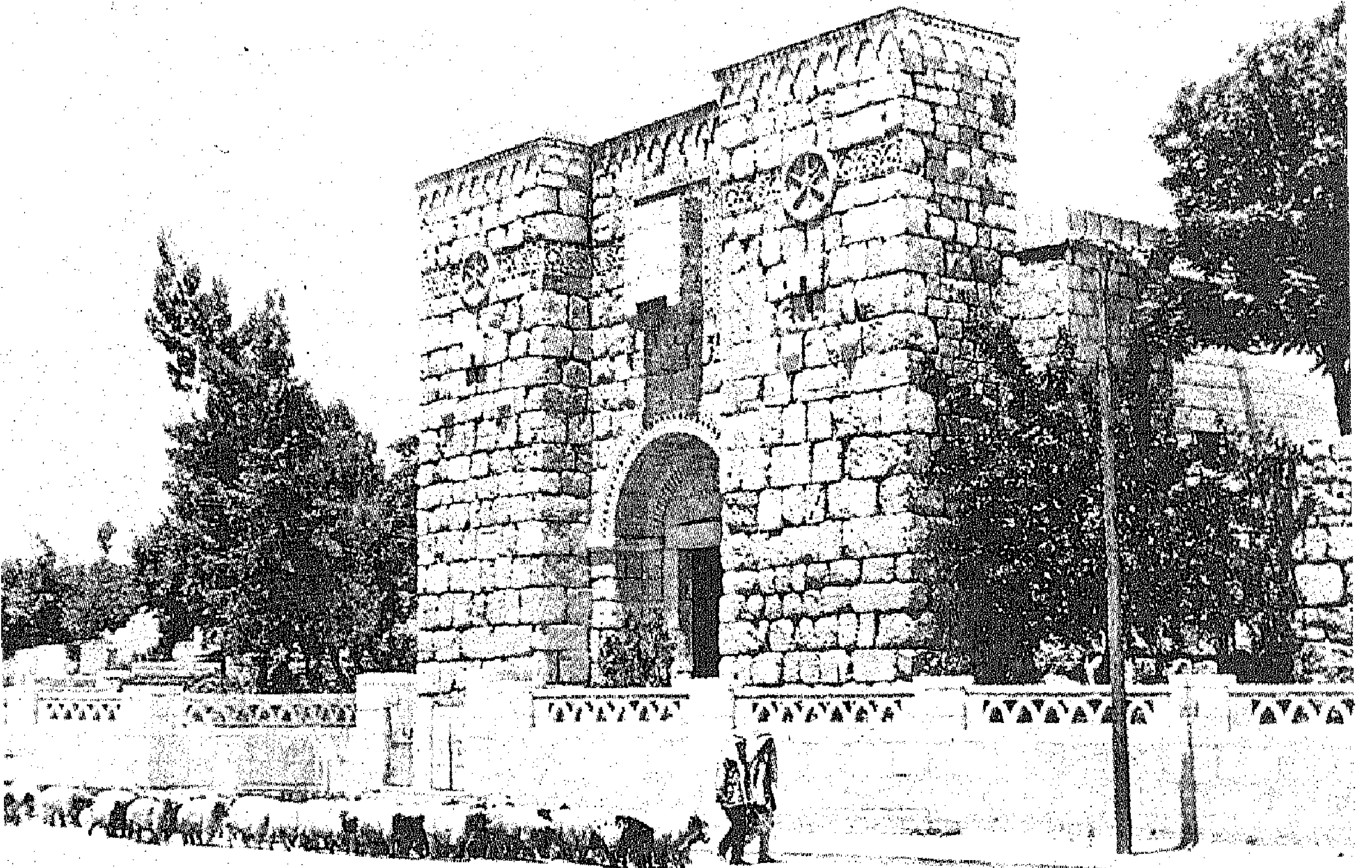


كوكب زحل Saturn

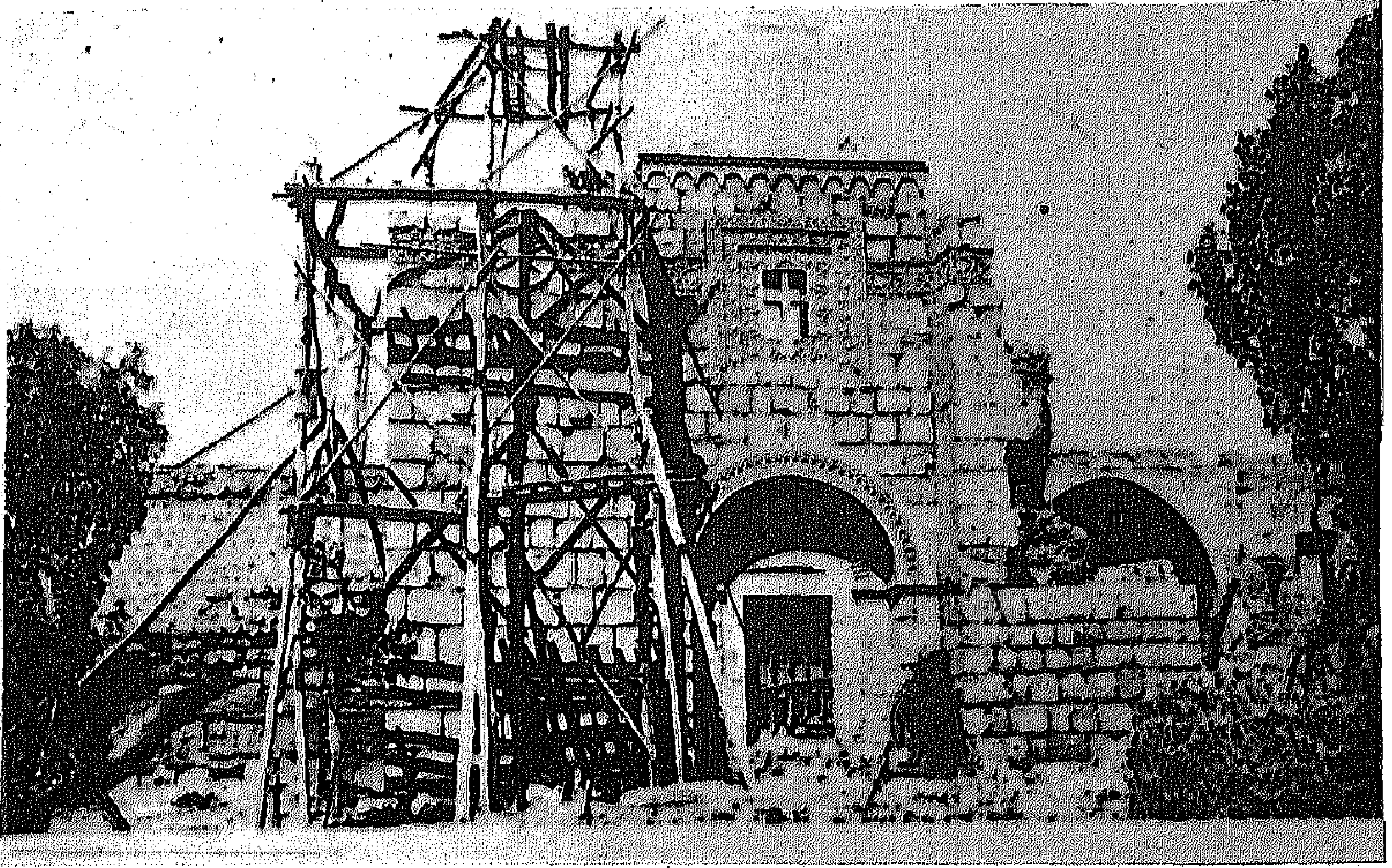
الذي يمثّل إله الزمن ساتورن Saturn عند الرومان

وهو نفسه الإله كرونوس Kronos عند الإغريق

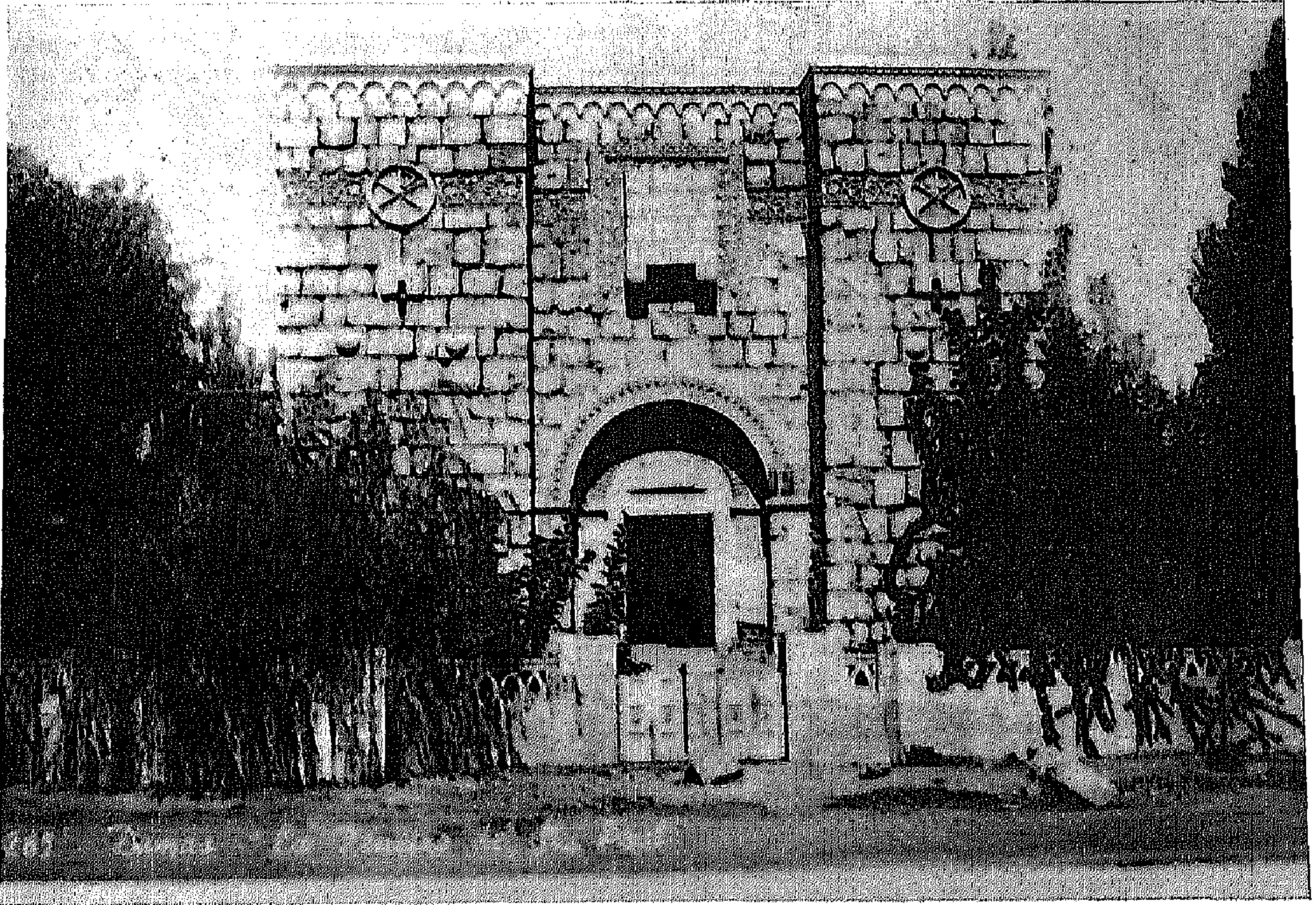
(الصورة عن وكالة الفضاء الأمريكية Nasa)



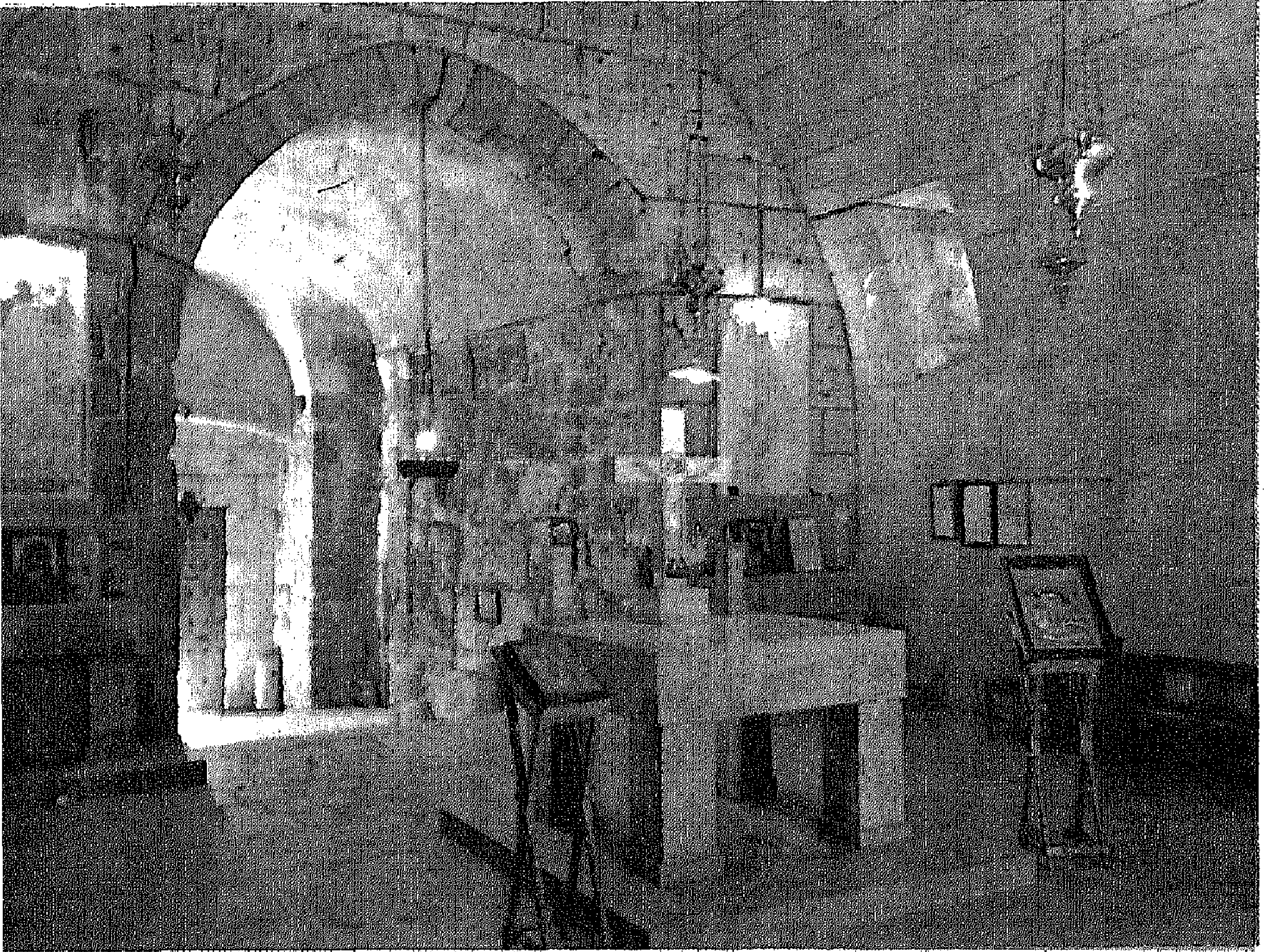
باب كيسان من الشرق إلى الغرب في خمسينات هذا القرن



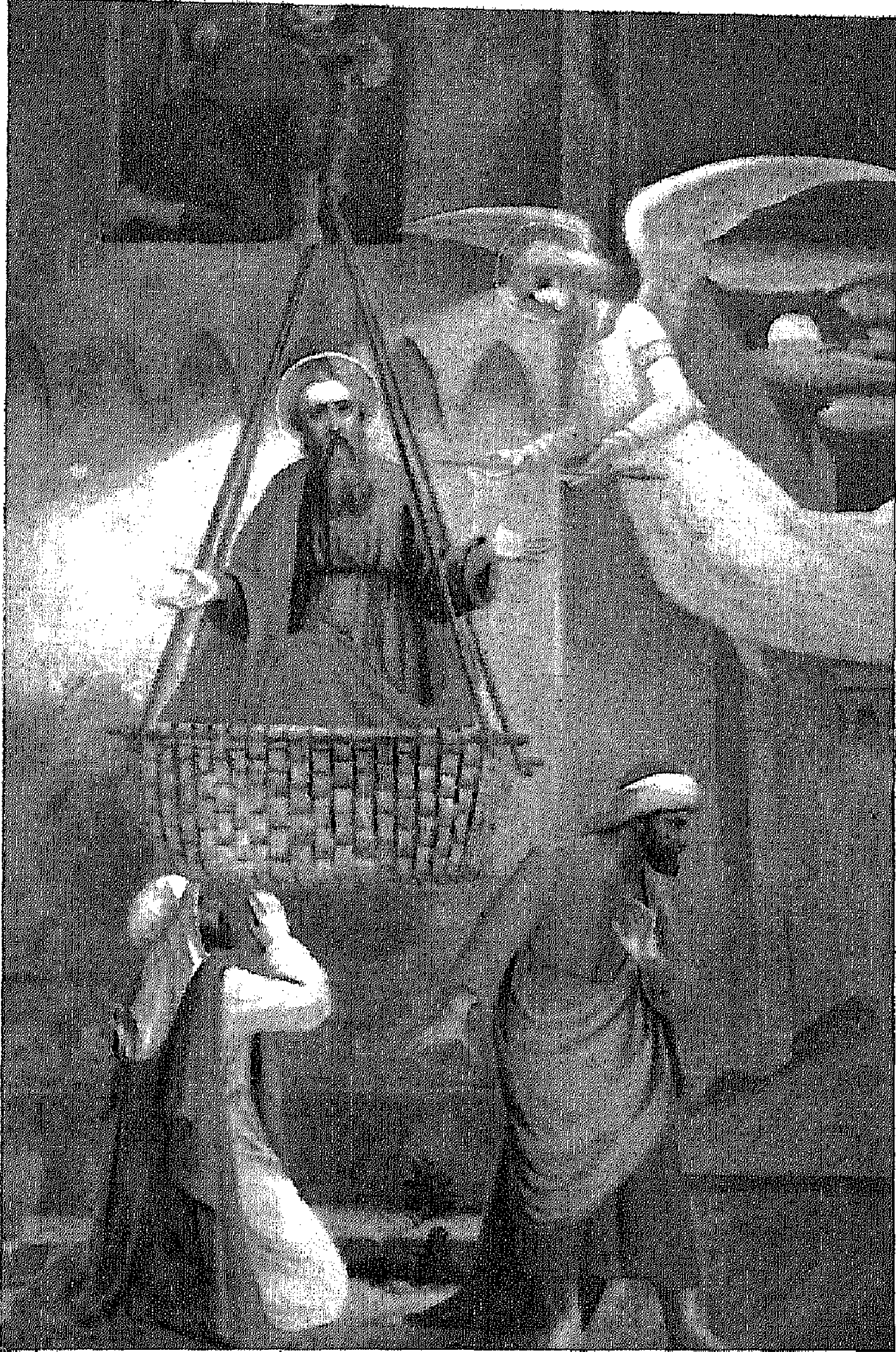
الواجهة الخارجيّة لباب كيسان عام ١٩٣٩م أثناء بناء كنيسة القدّيس بولس
حين كانت في أعلى البوابّة نافذة مفتوحة ومحاطة بإطار حجري مزخرف



واجهة كنيسة القديس بولس أمام باب كيسان في الأربعينات وقد سدّت النافذة في أعلى البوّابة بروشن
(عنصر دفاعي على شكل شرفة بارزة تصبّ الزيوت المغليّة والحجارة على العدو من خلال فتحاتها السفلية)



كنيسة القديس بولص داخل باب كيسان في أيامنا



أيقونة للقديس بولس عند إنزاله (بسلّة) من فوق سور دمشق

أبواب دمشق الإسلاميّة

باب السلامة
باب الفَرَج

باب السلامة

باب إسلامي في الجهة الشمالية للسور بين باب توما وباب الفراديس

من الأبواب المحدثة التي بناها السلطان نور الدين محمود بن زنكي إبّان تولّيه خلال السنوات (٥٤٩ - ٥٦٩ هـ) من العهد الأتابكي، ، ولم يكن قائماً في العهود الأسبق. ذكره ابن عساكر وابن شدّاد وغيرهما فقال: (باب السلامة، من شمالي البلد أيضاً، سمّي بذلك تفاؤلاً لأنه لا يتهيّأ القتال على البلد من ناحيته لما دونه من الأنهار والأشجار).

ويضيف ابن شدّاد المتوفى سنة (٦٨٤ هـ) على ما ذكره ابن عساكر فيقول: (وكان يسمّى: باب الشريف المسدود). ويبدوا أنه كان مسدوداً في أيامه، ولم تسعفني المصادر التاريخية بأيّة معلومات حول هذا الشريف الذي نسب الباب إليه.

قلت: تتضارب مقولات المؤرّخين حول أسماء الأبواب في الجهة الشمالية من السور تحديداً، وتتداخل لتشكل عقدة من خيوط شديدة التشابك:

١- يذكر ابن عساكر باب الفراديس الآخر المسدود قرب باب الفراديس الأصلي، لكنه لا يحدّد مكانه.

٢- ويذكر أيضاً عند الحديث عن باب الفَرَج: وكان بقربه باب يسمّى باب العمارة فُتح عند عمارة القلعة

ثم سُدّ بعد، وأثره باق في السور. ولكن في أي موضع من السور كان هذا الباب؟ ولعلّه يقصد باب الجينيق لأنه كان مسدوداً في زمانه.

٣- ويزيد ابن شدّاد الطين بلّة عندما يقول ان باب السلامة كان يسمى باب الشريف المسدود.

٤ - كما يذكر كل من فاتسنكر وفولتسينكر أن باب السلام هو باب الجنيق.

٤ - ويتخبّط المعاصرون من كتّابنا فمنهم من يتوهّم بأن باب الجينيق هو باب السلامة، ويذهب البعض الآخر إلى أن باب الفراديس الآخر المسدود هو باب السلامة، ويبالغ فريق ثالث منهم بالقول بأن باب العمارة المسدود هو باب السلامة.

وإنني أقسم أنه لا الحاسوب ولا حتى الأجهزة الأكثر تطوّراً ستتمكّن من حلّ هذه الطلاسم التي ما زالت كواهل الباحثين تنوء بثقلها على مرّ العصور، ويجيئني في هذه اللحظة ما قاله المعرّي: (يا ليت شعْري ما الصحيح). سامح الله مؤرّخينا القدامى، أفما كان الأجدر بهم أن يكونوا أكثر دقّة فيما يصفون ؟

يعرف باب السلامة على ألسنة الناس تخفيفاً باسم (باب السلام)، ويعللوا معنى التسمية بقولهم: سمّي بذلك لأنهم يدخلون منه للسلام على الخلفاء الأمويين! وهذا وَهْم واضح، إذ لم يكن الباب قائماً في العهد الأموي.

وتذكر المصادر التاريخية أن باب السلامة تهدّم نتيجة الأحداث المتعاقبة فصار إلى سَدّه، ثم جُدّد في العهد الأيوبي أيام الملك الصالح أيوب سنة (٦٤١ هـ)، غير أننا لانعرف هل جاء هذا التجديد على نفس الطراز الذي كان عليه أيام نور الدين؟ .

وتستقرّ فوق الباب عتبة طويلة اتخذت من عمود روماني نقش فيها النص الكتابي المؤرّخ لهذا التجديد:

(بسملة - جددت عمارة هذا الباب السعيد في أيام مولانا الملك الصالح السيّد الأجلّ العابد المجاهد المؤيّد المظفّر المنصور نجم الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين منصف المظلومين من الظالمين قاتل الكفرة والمشركين ماحي البَغْي والفساد ودامغ المفسدين في البلاد معزّ الإسلام غياث الأنام

ركن الدين مجد الأمّة علاء الملّة سيد الملوك والسلاطين أيوب بن الملك الكامل بن السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب أمير المؤمنين بتولي العبد الفقير يعقوب بن إبراهيم بن موسى سنة إحدى وأربعين و ستمائة).

وعلى عضادة الباب الشمالية التي يجري النهر من تحتها مرسوم مملوكي طمس وذهبت أكثر حروفه.

ويصف فاتسنگر الباب بأنه يشبه نظيره باب توما في طريقة بنائه، وأن حائط الباب يقع خلف القوس الحدوي المدبّب بحوالي ٤٠ سم، ويحمل الساكف الضخم نقشاً مؤلفاً من ثلاثة أسطر منفّذة بالخط النسخي المملوكي (يذكر سوپرنهايم أن النقش يحتوي على تاريخ ٦٤١ هـ).

قلت: قوس الباب الحاليّ مدبّب لكنه غير حدوي، ولعله كان معقوداً في أيام فاتسينگر بالقوس الحدوي الذي ذكره، وعندما رمّمته مديرية الآثار في الأربعينات ألغت حدويّته وأبقت على تدبّبة.

ويتابع فاتسينگر القول: (من أصل السقّاطات التي تعلو الباب هناك ثلاث بحالة جيّدة تتمتّع بفتحات لصب السوائل الحارقة، وما يزال الباب يحتفظ بردفتين مصفّحتين بالحديد، ويتدلّى من سقف الباب في الداخل دبّوس حجري يشير سقوطه إلى مجيء يوم القيامة).

والباب بحالته الراهنة من أجمل أبواب دمشق على الإطلاق، وهو معقود بقوس عربية مدبّبة، وفي الأربعينات من هذا القرن قامت مديرية الآثار بترميمه.

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٢/ ١٨٦

الأعلاق الخطيرة لابن شدّاد ٣٥

نزهة الأنام للبدري ١٨

الشمعة المضيّة لابن طولون ١٠

الروضة الغنّاء في دمشق الفيحاء للقساطلي ١١١

الآثار الإسلامية في مدينة دمشق لفاتسنگر ٣٩١

الآثار التاريخية في دمشق لِسوڤاجيه ٥٨

دمشق في مطلع القرن العشرين للعلاّف ٣٩٠

دمشق القديمة للمنجّد ٤٥

دمشق تاريخ وصور للشهابي ٣٣١

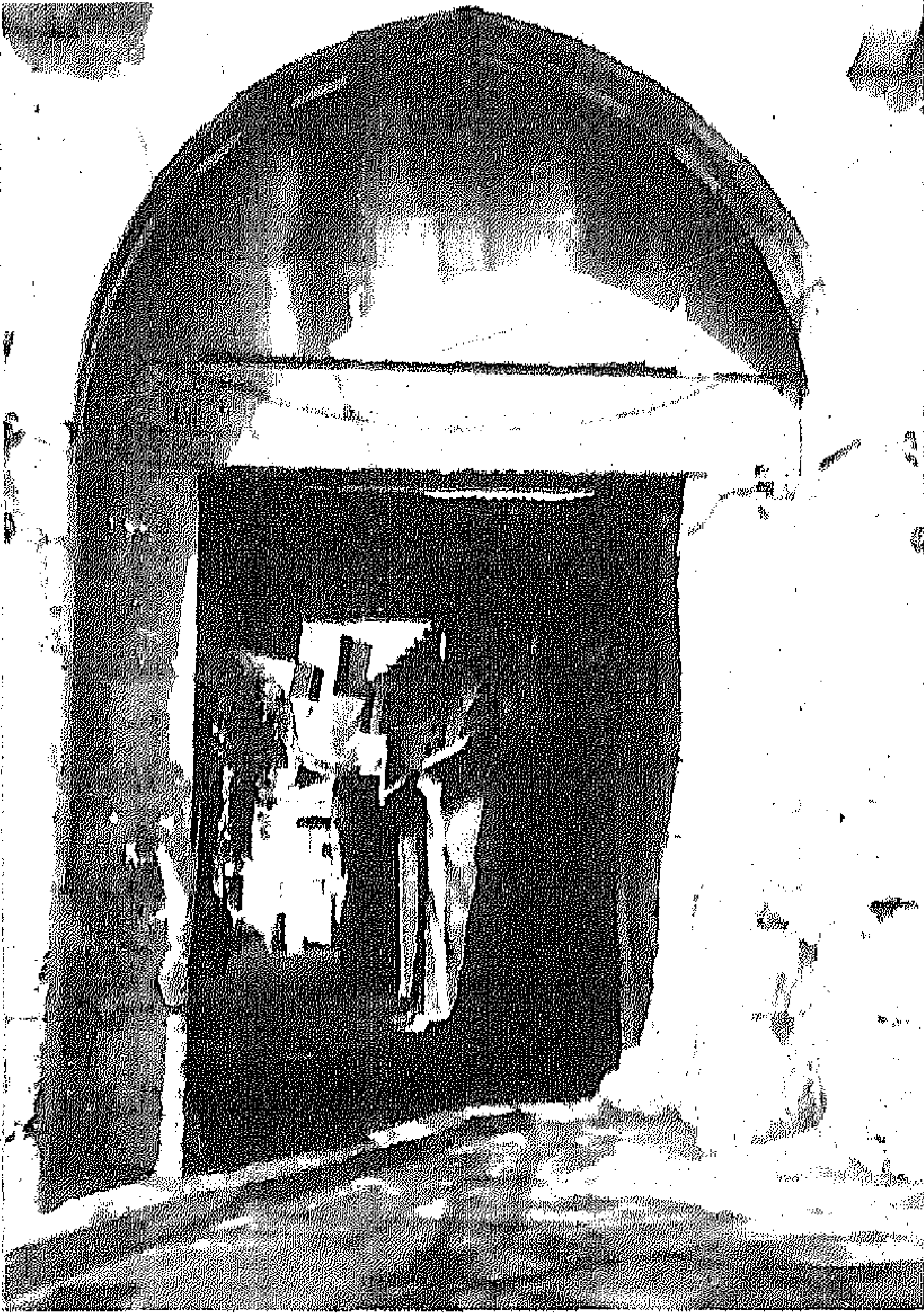
معالم دمشق التاريخية للإيبش والشهابي



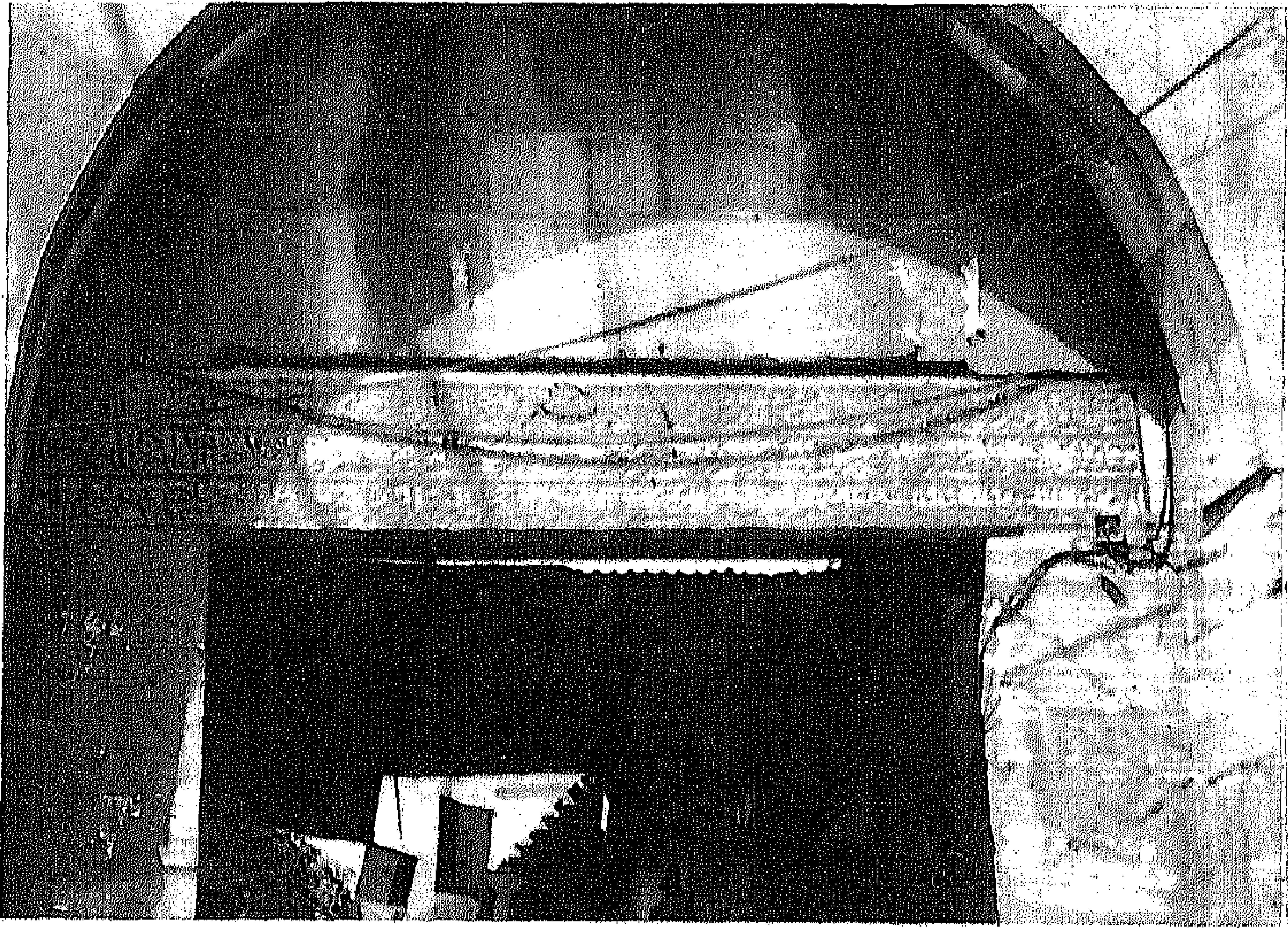
باب السلامة واسمه المتداول: باب السلام
وهو باب إسلامي شيّده السلطان نور الدين محمود بن زنكي الملقّب بالشهيد
وتشاهد في أعلاه الأقسام المرمّمة بالحجارة البيضاء
(بعدسة المؤلّف من الشمال إلى الجنوب صيف عام ١٩٩٦م)



باب السلام (باب السلامة) من الخارج
أيام الإنتداب الفرنسي سنوات ١٩٢٠ - ١٩٤٥م



واجـهـة بباب السـلام تعلوها
قوس مدبّبة كما يعلو الباب
نفسه ساكف حجري كتابي
(بعدسة المؤلف صيف عام
١٩٩٦م)



الساكف الحجري المنقوش بالكتابات المؤرخة من العهد الأيوبي فوق باب السلامة (بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٩٦م)



ما تبقّى من الأشجار والأنهار كبردى والعقرباني التي كانت تنتشر بكثافة كبيرة خارج السور بين باب توما وباب السلام، وتشكّل حاجزاً دفاعياً طبيعياً يعرقل هجوم الأعداء في تلك المنطقة، ولهذا السبب ذكر ابن عساكر أن باب السلامة سمّي بذلك تفاؤلاً لأنه لا يتهيّأ القتال على البلد من ناحيته لما دونه من الأنهار والأشجار.

(بعدسة المؤلّف من الجنوب إلى الشمال صيف عام ١٩٩٦م)

باب الفَرَج

أحد أبواب سور دمشق في الجهة الشمالية مما يلي باب الفراديس نحو الغرب

من الأبواب المحدثة في العصور الإسلامية، ولم يكن قائماً في العهود الأسبق، أمر ببنائه السلطان نور الدين محمود بن زنكي الذي حكم خلال السنوات (٥٤٩ - ٥٦٩ هـ) من العهد الأتابكي، وذكره ابن عساكر وابن شدّاد وغيرهما بقوله: (باب الفرج، محدث أحدثه الملك العادل نور الدين وسمّاه هذا الاسم تفاؤلاً لما وجد من التفريج بفتحه. وكان بقربه باب يسمّى باب العمارة فُتح عند عمارة القلعة ثم سُدّ بعد. وأثره باقٍ في السور). ويضيف البدري من علماء القرن التاسع: (ولما جدّد الملك العادل أبو بكر بن أيوب القلعة أذهب باب العمارة والله أعلم).

ونور الدين: هو نور الدين محمود (الملقّب بالشهيد)، أبو القاسم، بن الملك المنصور زنكي بن قسيم الدولة آق سنقر بن عبد الله، مؤسّس الدولة الأتابكيّة النوريّة في الشام ومصر، امتدّت سلطته من دمشق إلى الموصل وديار بكر والجزيرة وبعض بلاد المغرب وجانب من اليمن. ولد سنة (٥١١ هـ) وملك حلب سنة (٥٤١ هـ) ثم دمشق سنة (٥٤٩ هـ) وتوفي سنة (٥٦٩ هـ) ودفن أولاً بقلعة دمشق ثم نقلت رفاته إلى المدرسة النورية الكبرى التي أنشأها عند باب الخوّاصين (في سوق الخيّاطين اليوم)، وما يزال ضريحه ماثلاً للعيان من نافذة في المدرسة تطلّ على السوق.

وهذا الباب الذي ذكره ابن عساكر باسم (باب العمارة) هو غير الباب الذي يُعرف على ألسنة الناس في أيامنا باسم (باب العمارة) الذي هو باب الفراديس.

ويذكر فاتسنگر نقلاً عن ابن شاكر [الكتبي] قوله: (فتحه نور الدين وسمّاه باب الخلاص «التحرير» وذلك لليسر الناجم عن فتحه)، ثم يضيف: (ويوجد على وجه الجدار المطل على المدينة، وبالتحديد على الدعامة الغربية للباب في مستوى ارتفاع كتف القوس، نقش لم يذكره سوپرنهايم، مؤلّف من أربعة أسطر صغيرة بالخط النسخي المملوكي وفيما يلي نصّها:

١- مولانا السلطان الملك الظاهر

٢- برقوق أعز الله أنصاره

٣- بسعي الآغا أحمد شيخ (الوازعين)

٤- سنة أحد وتسعين وسبعمائة وملعون من (خرّبه)

وتقع بين البابين وفوق بردى جزئياً سلسلة من الأقبية ذات الطابع الدفاعي).

وباب الفرج بحالته الحاضرة مزدوج، الداخلي على حذاء السور قبل أن يدفع إلى ضفّة بردى، وعضادته اليسرى مزيّنة من الداخل بنقوش مخرَّمة. ويقول شِڤْدِن: باب الفرج الداخلي تمّ بناؤه في رمضان [٦٤٩ هـ].

قلت: من المعروف أن باب الفرج تم بناؤه في العهد الأتابكي النوري أيام نور الدين الشهيد خلال السنوات (٥٤٩ - ٥٦٩ هـ)، وأعتقد أن الأستاذ شِڤْدِن كان يقصد بعبارة تمّ بناؤه في رمضان [٦٤٩ هـ] أنه جدّد أو رمّم أو أعيد بناؤه في هذا التاريخ الذي يوافق أواخر العهد الأيوبي. أو أن خطأ في قراءة الرقم أو طباعته قد حدث وكان يعني [٦٣٩ هـ] وهو التاريخ المنقوش على عتبة الباب والذي يشير إلى تجديده في العهد الأيوبي أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب. ويذكر د. المنجّد: أما عضادته الأخرى فقد اختفت في الدكاكين، وفوقه عتبة ضاعت أكثر كتابتها تشير إلى تجديد الباب من قبل الصالح أيوب في سنة (٦٣٩هـ)، ويبلغ ارتفاع هذا الباب

٣٨١ سم وعرضه ٣٠٥ سم. وفي سنة ١٩٤٨ قامت مديرية الآثار بترميم الباب الداخلي منه.

أما الباب الخارجي فملاصق لنهر بردى قبل أن يغطّى وقد أعيد بناؤه في القرن الخامس عشر الميلادي إبّان العهد المملوكي، وهو ضخم ومستطيل، وفوقه عتبة طمست معالم كتاباتها، وأمامه عضادتين يعلوهما قوس سقطت، وعلى كل من العضادتين من الشرق والغرب (رنك) مملوكي نقشت فيه زهرة الزنبق.

قلت: من المعروف أن زهرة الزنبق كانت شعار نور الدين، وهذا دليل مادي أثري يؤكّد على أن بناء الباب يعود إليه، وقد حافظ المماليك على الشعار ولم يستبدلوه برنوكهم الخاصّة، أو لعلّهم أعادوا نقشه بشكل رنك وفق اسلوبهم حفاظاً منهم على رمز نور الدين.

وتذكر مصادر العهد المملوكي أحداث هذا الباب على النحو التالي:

- يقول ابن شاكر الكتبي في حوادث سنة ٦٨٠ هـ: (وفي ربيع الآخر وصلت إلى دمشق أم الملك السعيد زوجة السلطان الملك الظاهر [بيبرس] ومعها ولدها الملك السعيد مصبّراً في تابوت ودخلت البلد وشالوا الملك السعيد بالحبال من فوق سور باب الفرج وجاؤوا به إلى تربة أبيه التي أنشأها فدفنوه عنده بالقبّة).

- وفي يوم الأحد ١٩ رجب من سنة (٦٩٩ هـ) وبعد رحيل (غازان) ملك التتار عن دمشق فُتح باب الفرج وباب النصر ففرح الناس وانفرجوا.

- ويذكر ابن كثير: (وفي ٥ ربيع الأول من سنة (٧٦٥ هـ) احترقت باشورة باب الفرج الذى على الجسر - يقصد الباب الخارجي - ونال حجارة الباب شيء من حريقها فاتّسعت، وقد حضر طفيها [إطفاءها] نائب السلطنة والحاجب الكبير ونائب القلعة وغيرهم).

- كما يذكر ابن قاضي شُهْبة: (وفي شباط من سنة ٧٨٦ هـ جاء بدمشق

سيل عظيم، وارتفع الماء إلى أنصاف الحوانيت عند باب الفرج، ودخل الماء من طاقات البيوت التي عند جسر الزلابية . . . وعلا الماء داخل باب الفرج بالقاعات التي هناك والمدارس من البالوعات، فوصل إلى صدر إيوان الركنيّة والفلكيّة وصيد في تلك الأزقّة السمك وغرق بضعة عشر نفساً).

- و يورد ابن صَصرَى أنه في صفر من سنة (٧٩٨ هـ) احترق باب الفرج وما ردّ النار عن المدينة إلا السور.

- ويفصّل ابن قاضي شهبة في هذا الحريق فيقول: (كان حريق عظيم خارج باب الفرج من عند مسجد النّخلة إلى باب الفرج من الناحيتين القبلية والشمالية، وباشورة الباب والباب وانْفَطَرَت حجارته، وأخذ الحريق شرقاً إلى الطَّواقيين).

- ويعود ابن قاضي شُهْبَة إلى القول: (في سنة تسع وتسعين وسبعمائة جرّوا أُسكُفّة باب الفرج - أي عتبته العليا - على العَجَل من أقميم حمّام سوق على إلى خارج باب الجابية ثم إلى باب الفرج، وهي أسكفّة عظيمة اشتريت بخمسمائة ونُقلت بمثلها، وركّبوا الباب الجديد).

- وذكر ابن طولون: (ثم تولّى دمشق الأمير أقباي الدوادار نقلاً من حلب في أول سنة عشرين وثمانمائة فلم تطل مدّته، ثم مسكه السلطان [المملوكي المؤيّد شيخ] بقلعة دمشق عند عودته من حلب من وقعة قانباي، ثم حبسه بالقلعة وكان ذلك في شهر صفر سنة عشرين وثمانمائة. ثم إنه طلع من الحبس وأخذ القلعة، وحوصر أياماً يسيرة، ثم نزل من القلعة ليلاً ومسك بنهر بردى داخل باب الفرج، ثم أعيد إلى الحبس وحضر بعد ذلك مرسوم السلطان بقتله فقتل في ذي القعدة من من السنة المذكورة).

- وذكر أيضاً: (في يوم السبت ثالث عشر رجب من سنة ٩١٠ هـ - أواخر

العهد المملوكي - دخل من مصر إلى دمشق (خير بك) أخو النائب (قانصوه البرج) واشتهر بدمشق بأنه نائب حلب، ودخل صحبته نائب القدس، ونائب غزّة وعسكرهما، ودخل صحبتهم من مصر قاضي الحنابلة بدمشق النجمي بن مفلح، ويومئذ وصل متسلّم سيباي المنفصل عن نيابة حلب إلى مصطبة السلطان فأصبح يوم الأحد رابع عشر رجب المذكور، ودخل إلى دمشق في أبّهته على عادة أمثاله، فلما استقرّ بالاسطبل ورجع عنه الحاجب الكبير قانصوه الجمل وغيره، وذهبوا إلى قصر السلطان - القصر الأبلق وكان في موضع التكيّة السليمانية الحالية - إلى عند خير بك نائب حلب المذكور بالميدان الأخضر - مكان معرض دمشق الدولي في أيامنا - طاشَ جماعة من عسكره وضربوا في حاشية المتسلّم المذكور ونهبوا ثقلهم، ودخل منهم أيضاً جماعة إلى المتسلّم عقب جلوسه بحضرة القضاة وقبضوه - قبضوا عليه - وخرجوا به راكباً إلى قصر السلطان إلى عند استاذهم خير بك المذكور، كل ذلك والقلعة يومئذ محصنّة بآلات الحرب ونائبها يومئذ (طومان باي الأسمر)، ثم بعد ساعة وقد أتى بالمتسلّم المذكور جماعة من عسكر خير بك وهو راكب على هيئته، فدخلوا به من باب الفرج إلى قلعة دمشق، وقيل بأن ذلك بإشارة نائبها طومان باي المذكور، ثم نودي بالأمان وأي ظلم أو قهر فعليه بملك الأمراء خير بك).

- ويحدّثنا ابن طولون الصالحي قبيل دخول العثمانيين إلى دمشق فيقول: (في أوائل ثلث الليل الأخير من ليلة الأحد الرابع عشر من شعبان سنة ٩٢٢ هـ أخرج من القلعة إلى عند صفّة الخضر قدّام باب الفرج، لأجل الحصار، عربة، وبات الناس في خوف عظيم).

- ويتابع القول: (وفي يوم الخميس الثامن عشريه وصل متسلّم ملك الروم إلى القابون الفوقاني، واسمه مصلح ميزان، ثم وجّه اثنين من الخاصكيّة، ومعهما السمرقندي، ويونس العادلي، وابن عطيّة التاجر، إلى دمشق ليكشفوا هل يسلّمون

أم يقاتلون ؟ وقد كان اجتمع قبل هذا اليوم شيخنا عبد النبي ، والشيخ حسين الجناني ، والشيخ مبارك القابوني ، وخلق ، في المصلّى بميدان الحصى ، واتفقوا هم ومشايخ الحارات على تسليم البلد ، فتلقّت الخلق لهذين الخاصكيين ، ومن معهما ، مع تهليل ومَشَاعِلي ّ ينادي بالأمان ، إلى أن وصلوا إلى باب الفرج ، فوجّهوا الأمير اسماعيل بن الأكرم إلى نائب القلعة ، فامتنع من تسليمها ، فسلّمتهم الناس البلد ، ودخلوا إليها ، وفتحوا أبوابها ، وكان لها من يوم السبت مغلقة) .

والمتسلّم هو : حاكم المنطقة ، أو المتسلّم لمهام أمورها .

وملك الروم : المقصود به السلطان سليم الأول ، والروم هم الأتراك .

والخاصكيّة هم : نوع من المماليك السلطانية يختارهم السلطان من المماليك الأجلاب الذين دخلوا في خدمته صغاراً ويجعلهم في حرسه الخاص ، وهم من يدخل عليه في خلواته وفراغه ، ومن يقوم بخدمة الإصطبل والقصر ، ويتميّزون عن غيرهم بحمل السيوف ولبس المطرّزات من الثياب المزركشة ، ويتأنّقون في مركوبهم وملبسهم .

عرف باب الفرج في العهد العثماني باسم (باب البوابجيّة) لوقوع سوقين بنفس الإسم قربه ، والبوابجي هو من يصنع البوابيج ويبيعها وهي نوع من الأحذية ، وقد ورد ذكره عند القساطلي بقوله : وباب البوابجيّة وهو باب الفرج جُدّد في أيام سيف الدين أبي بكر بن أيوب سنة ٦٠٦ هـ ، وهذا الباب مشهور جداً وكانوا يتفاءلون به الخير ، وقد ذكره الشيخ عبد الغني النابلسي بقوله :

قل ما تشا عن جِلّق ... وانسبْ لها ولا حَرَجْ
فالخيرُ واليُمنُ بها ... وبابُها بابُ الفَرَجْ

ومن طريف ما أورده ابن كثير نقلاً عن سِبْط بن الجوزي عن المبارز إبراهيم

المعروف بالمعتمد والي دمشق سنة (٦٢٣ هـ) قوله: (بينما أنا يوماً خارج من باب الفرج، وإذا برجل يحمل طبلاً وهو سكران، فأمرت به فضرب الحدّ، وأمرتهم فكسروا الطبل، وإذا بكرة كبيرة جداً فشقّوها [فإذا فيها خمر] وكان العادل قد منع أن يُعصر خمر ويُحمل إلى دمشق شيء منه بالكلية، فكان الناس يتحيّلون بأنواع الحيل ولطائف المكر، قال السبط: فسألته من أين علمت أن في الطبل شيئاً؟ قال: رأيته يمشي وترجف سيقانه فعرفت أنه يحمل شيئاً ثقيلاً في الطبل).

أما اليوم فيطلق الناس على باب الفرج اسم (باب المناخلية) لوقوعه في سوق المناخلية التي كانت متخصّصة بصنع وبيع المناخل والغرابيل قبل أن تفقد هذا الإختصاص وتتحوّل إلى (كوكتيل) تجاري غير متجانس لبيع الأدوات العصرونية ولوازم الحدادة والنجارة والدهان وبيع الأحذية وغير ذلك، وقد اختصرت العامّة تسمية باب المناخلية إلى (باب المناخ).

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٢/ ١٨٦

الأعلاق الخطيرة لابن شدّاد ٣٦

تاريخ ابن قاضي شهبة المجلّد الأول الجزء الثالث ١٣٠، ٥٨٩، ٦٠٣

الدرّة المضيّة في الدولة الظاهرية لابن صَصْرَى ١٧٣

البداية والنهاية لابن كثير ١٣/ ١٣٥ - ١٤/ ٣٤٩

عيون التواريخ للكتبي حوادث ٦٨٠

نزهة الأنام للبدري ١٨

مفاكهة الخلاّن لابن طولون ٢/ ٢٨

إعلام الورى لابن طولون ٦٢، ١٨٥

المواكب الإسلامية لابن كنّان ١/ ٢١١

الروضة الغنّاء في دمشق الفيحاء للقساطلي ١١٢

الآثار الإسلامية في مدينة دمشق لفاتسنگر ٣٩٢

الآثار التاريخية في دمشق لسوڤاجيه ٥٧

قاموس الصناعات الشامية للقاسمي ٥٧

منادمة الأطلال لبدران ٣٥

موسوعة حلب المقارنة للأسدي ٢/ ١٨

ولاة دمشق في عهد المماليك لدهمان ١١١، ٢٢٧

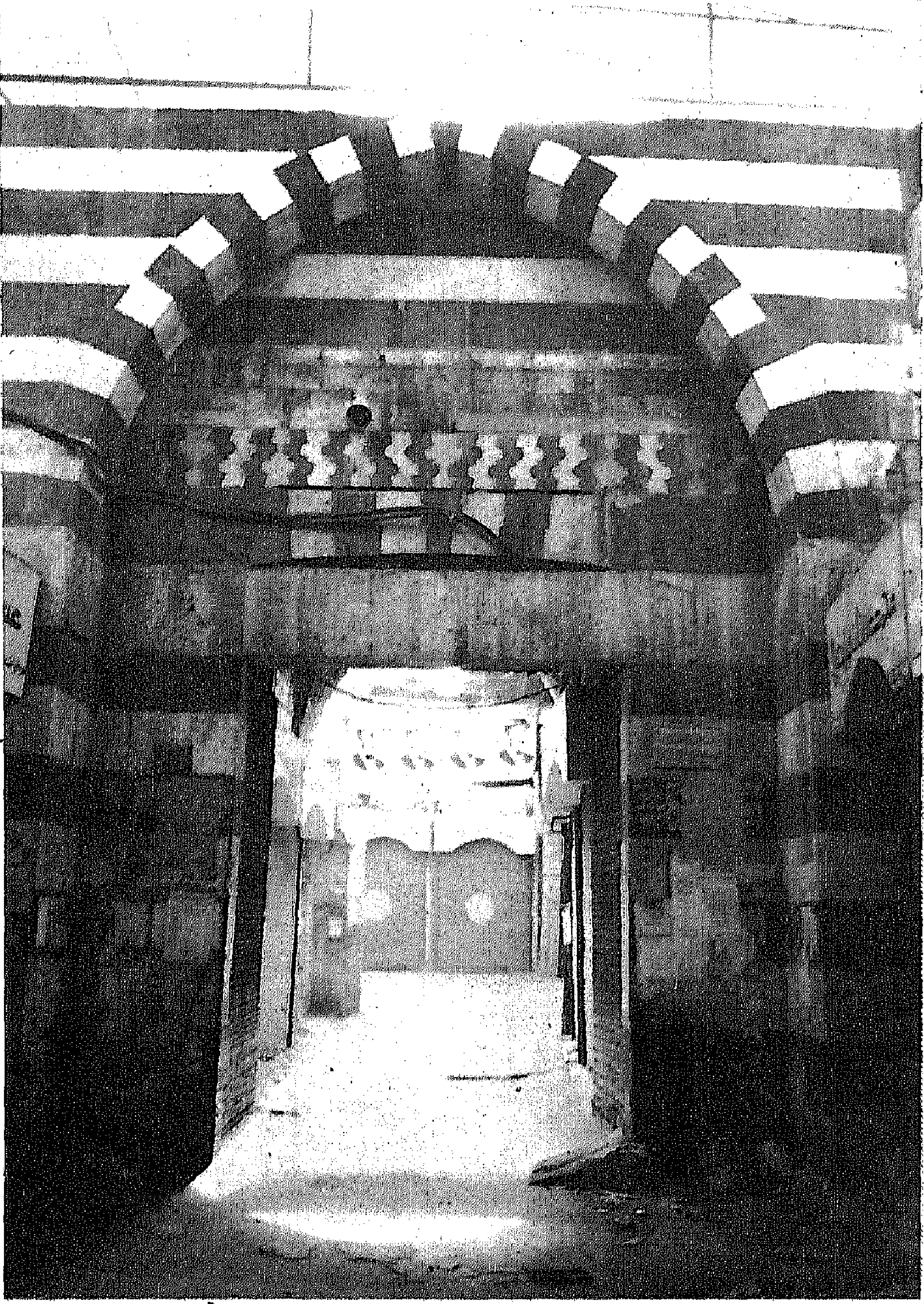
معجم الألفاظ التاريخية في العهد المملوكي لدهمان ٦٦

دمشق القديمة للمنجّد ٥٥

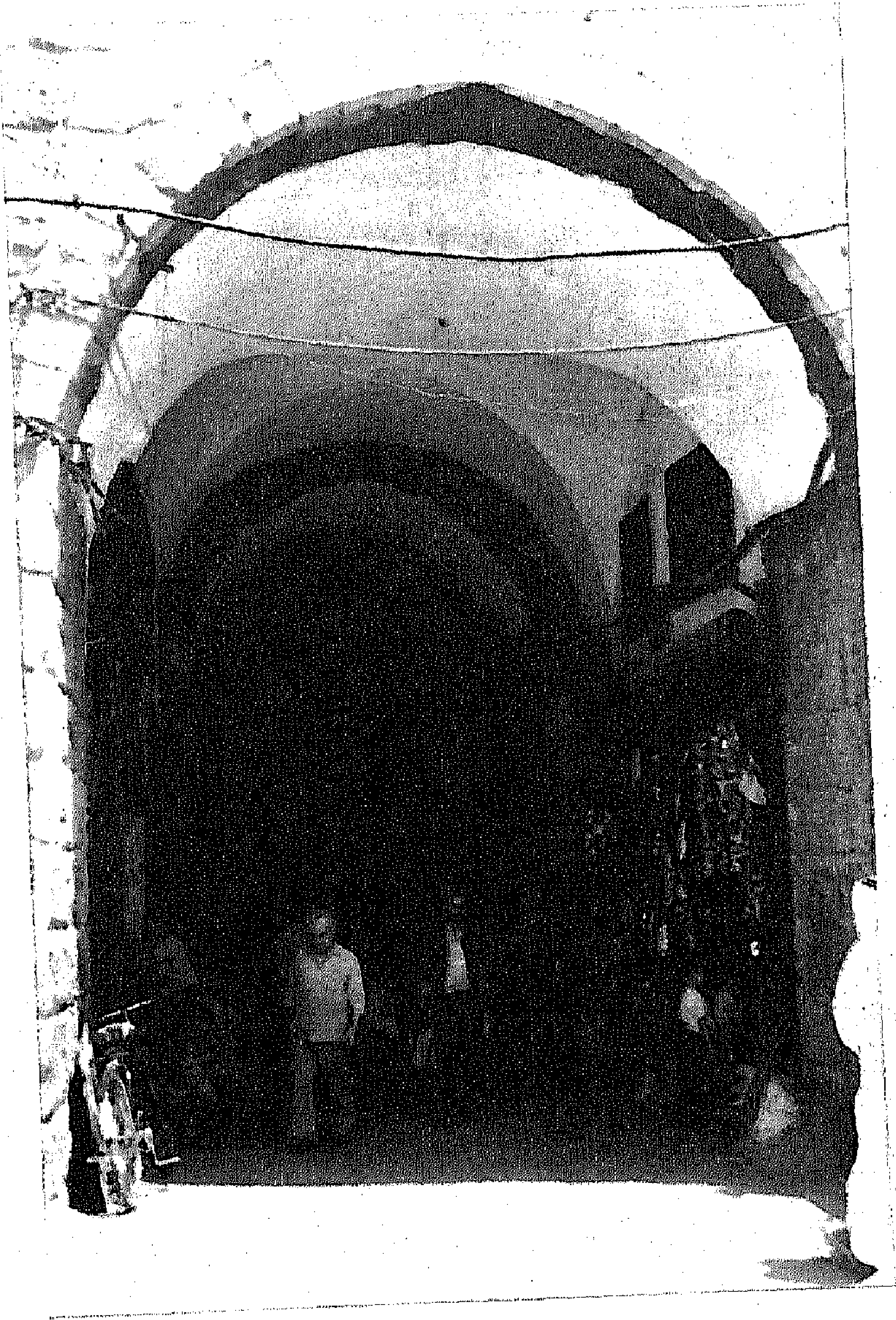
خطط دمشق للمنجّد ٩٢

أسواق دمشق القديمة للشهابي ٥٠٥

معالم دمشق التاريخية للإيبش والشهابي



باب الفَرَج الخارجي بعد ترميمه بعناصر زخرفيّة دخيلة عليه، كمداميك الألوان المتناوبة المعروفة بالأبلق، وكالمدماك المزرّر الذي يعلو القوس العاتقة فوق ساكف الباب.
(بعدسة المؤلّف صيف عام ١٩٩٦م)



باب الفَرَج الداخلي من الجنوب إلى الشمال
(بعدسة المؤلّف عام ١٩٨٩م)

أبواب دمشق الدارسة

باب الجنيق
باب النصر

باب الجينيق

من أبواب سور دمشق القديمة في الجهة الشمالية، بين باب توما وباب السلام

كان هذا الباب واحداً من الأبواب السبعة الأصلية للمدينة القديمة، ولا وجود له اليوم، كما لا وجود لبقاياه التي تدلّ على موضعه في السور. ومن المؤسف أن غيابه جعلنا نفقد كل المعلومات حول تاريخه وبنائه، ولم تسعفنا المصادر التاريخية إلا بالمعلومات الشحيحة عنه. وعبثاً حاولت البحث عنه أو حتى عن مؤشّر صغير يمكن أن يدلّ على موضعه في السور دونما جدوى.

ويعتقد الباحث الأب سميا بأن اليونان الهيلينيين هم الذين اختطّوه. ولكن هل أعاد الرومان تجديد بنائه؟ ومن المعروف كما يرى الأب الباحث سميا أن البيزنطيين أطلقوا عليه اسم (باب الميلاد) تيمّناً بميلاد السيد المسيح. إذاً كان هذا الباب مفتوحاً خلال فترة غير معروفة من العهد البيزنطي ثم سُدّ - ويحتمل في أواخرها - والدليل على ذلك عدم ورود اسمه أو ذكر من نزل عليه عند حصار دمشق سنة (١٤هـ).

نُسب هذا الباب إلى القمر، وتمثّله عند الإغريق إلهة القمر (سيلينه Selené) وتروي الأساطير أنها كانت تخرج من المحيط لتعبر الفضاء على عربتها الفضّية التي تجرّها الثيران أو الخيول البيضاء، ويقابلها عند الرومان إلهة القمر (لونا Luna).

والقمر معبود سامي مشترك كان مركز عبادته في جنوب الجزيرة العربية، وعُرف بأسماء مختلفة عند شعوب المنطقة فهو:

- سن وسين وشين وسوين عند الشعوب السامية خصوصاً بلاد ما بين

النهرين وحضرموت .

- شهر أو سهر عند الآراميين .

- يرخي بول عند التدمريين .

ويذكر بدران عن أحد الحكماء قوله : ويصوّرون القمر بصورة رجل في يمينه حربة ، وقد عقد في يساره ثلاثين كأنه يحسب ثلاثمائة ، وفي رأسه تاج ، وهو راكب على وردون يحمله أربعة أفراس .

ويؤكد نسبة أبواب السور إلى الكواكب مؤرّخ دمشق الكبير ابن عساكر وينقل عنه ابن شدّاد والقلقشندي وغيرهما ، لكنه يقول : (باب الفراديس الآخر المسدود للقمر) .

قلت : لعل ابن عساكر كان يعني في قوله باب الفراديس الآخر المسدود باب الجينيق ، وهو الباب الوحيد الذي لم يذكره في تعداده لأبواب دمشق ، ويبدو أنه كان قد سُدّ في عصر سابق للإسلام بدليل عدم وروده بين الأبواب التي نزل عليها المسلمون عند فتح دمشق .

وأول ذكر لاسم باب الجينيق جاءنا من ابن شدّاد المتوفى سنة (٦٨٤ هـ) في سياق تعداده لأبواب دمشق ، فقال : (باب الجينيق من الشآم أيضاً ، منسوب إلى محلة الجنيق ، وهي محلّة كبيرة كانت بها كنيسة فجُعلت بعدُ مسجداً ، وهو الآن مسدود) . هذا وقد استحال المسجد دوراً كما يذكر المنجّد .

والجينيق محلّة كبيرة كانت ظاهر الباب قبالته ، وهي اليوم المحلّة المعروفة (بالفرّايين) بين باب توما وباب السلام . ولقد توهّم بعض المؤرّخين العرب أن التسمية منسوبة إلى رجل رومي اسمه (جنيق أو جينيق)! كما توهّم بعض الكتّاب المعاصرين أن اسم الباب مأخوذ من كلمة (جينيق Jinic) اليونانية وتعني : الإمرأة أو العذراء .

وللباحث الأب سميا رأي يختلف عما ذُكر، فعنده أن باب الجينيق تسمية معرّبة عن كلمة (غنيسGainis) اليونانية والتي تعني: الميلاد.

قلت: ومما يدعم فرضية إقامة هذا الباب في عصر اليونان السلوقيين، ثم فرضية تسميته اليونانية، ان الحي اليوناني الذي أقيم داخل دمشق الآرامية كان في محلّة (الجورة) الحالية بجوار الباب.

يبقى لدي سؤال لم أجد له جواباً وهو: إذا صحّت مقولة سميا بأن اسم الجينيق يعني الميلاد باليونانية، فميلاد من ذا الذي نُسب الباب إليه؟ علماً بأن العهد اليوناني امتد في دمشق بين السنوات (٣٣٣ ق م وحتى ٨٥ ق م عندما احتلّها الأنباط)، وكانت الوثنية هي المعتقد الشائع في تلك الفترة.

واليوم، لا وجود للباب أو لأي أثر يدلّ عليه كما أسلفت.

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ١/ ١٥، ٢/ ١٨٦
الأعلاق الخطيرة لابن شدّاد ٣٥
نزهة الأنام للبدري ٢٥
ثمار المقاصد لابن عبد الهادي ٨٢ - ٨٤
دمشق القديمة للمنجّد ٦١
منادمة الأطلال لبدران ٤١
حقائق تاريخية عن دمشق وحضارتها للمعلوف
الشارع المستقيم - ٤ لسميا مجلة النعمة العدد ٨ (١٩٦١)
باب توما - ٢ لسميا مجلة الإيمان العدد ٤ (١٩٥٨).
معالم وأعلام لقدامة ٢٥٤
معجم الأساطير اليونانية والرومانية لعثمان والأصفر ٣٠٤
معجم الحضارات السامية لعبّودي ٦٩٢
معالم دمشق التاريخية للإيبش والشهابي ١٩٩٦



سيلينه Selené ربّة القمر عند الإغريق

وهي نفسها لونا Luna عند الرومان

ويمثّلهما كوكب القمر الذي نُسب إليه

باب الجنيق المسدود في العهدين

اليوناني والروماني



كوكب القمر Moon

الذي يمثّل إلهة القمر لونا Luna عند الرومان

و إلهة القمر سيلينه Selené عند الإغريق

باب النصر

من أبواب سور دمشق القديمة في الجهة الغربية

كان هذا الباب واحداً من الأبواب المحدثة في العصور الإسلامية، ولا وجود له اليوم، وكان موقعه عند مدخل سوق الحميدية، وتحديداً في الطرف الغربي لسوق الأروام الحالي الكائن في محلّة الحريقة، ويُظن بإقامته في العهد السلجوقي أواخر القرن الخامس الهجري حين كان يسمى (باب الجِنان)، والجِنان هي: البساتين. سمي بذلك لأن الجهة الغربية من المدينة كانت مؤلفة من امتداد واسع من المروج والبساتين والوديان الوارفة بالخضرة والماء كحكر السمّاق ووادي البنفسج الذي ذكره ابن الوردي المتوفى (٨٦١ هـ) بقوله: (ومن باب دمشق الغربي وادي البنفسج، طوله اثنا عشر ميلاً في عرض ثلاثة أميال، مفروش بأجناس الثمار البديعة المنظر والمخبر، ويشقّه خمسة أنهار). والمرج الأخضر والشرفان والشقراء والبهنسيّة والنيربين والخلخال والمنيبع والجبهة والربوة وغيرها ذلك كثير.

ذكر ابن عساكر باب الجنان فقال: (من غربي البلد سُمي بذلك لما يليه من الجِنان، وهي البساتين. وقد كان مسدوداً ثم فُتح)، كما نقل عنه ابن شدّاد نفس العبارة. وكان باب الجنان أول باب إسلامي يستحدث في السور بعد الأبواب الأصلية الرومانية (أو اليونانية إن صحّت الفرضية)، وبعده استحدث بابان أيام نور الدين هما: باب الفرج وباب السلامة.

قلت: يُستدلّ من قول ابن عساكر المتوفى (٥٧١ هـ) أن هذا الباب كان مفتوحاً في أيامه، وكان قبل ذلك مسدوداً، ولم تسعفني المصادر التاريخية عن الزمن الذي سُدّ فيه أو فُتح. ولكن بتطبيق قانون الإحتمالات والإستقراء المنطقي

للأزمنة والأحداث يمكن التوصّل إلى النتائج كالتالي :

أولاً : الإحتمال الأكبر أنه سُدّ أيام نور الدين - كما سُدّ باب كيسان - وذلك للتقليل من عدد الأبواب التي قد يخترقها العدو في حالة حصاره للمدينة سيما وأن الحملات الصليبية كانت تتهددها في كل وقت . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، لست أرى مع القائل بأنه فُتح لتخديم الزاوية الشمالية الغربية من المدينة والقلعة ، فهذه لها باب يفتح إلى خارج المدينة هو (باب الحديد) وباب آخر لداخلها ، كما أن باب الجابية كان قريباً ويفي بالغرض .

ثانياً : مما لا شك فيه أن إعادة فتحه قد تمّت في بدايات العهد الأيوبي ، باعتبار أن :

آ - بدأ هذا العهد في دمشق بعد استيلاء صلاح الدين الأيوبي عليها سنة (٥٧٠ هـ) .

ب - كانت وفاة ابن عساكر في سنة (٥٧١ هـ) .

جـ - أطلق على الباب اسم (باب النصر) تيمّناً بلقب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب .

د - ذكر هذا الباب باسم (باب النصر) الرحّالة الأندلسي الشهير ابن جبير المتوفى سنة (٦١٤ هـ) أثناء تعداده لأبواب دمشق عندما زارها سنة (٥٧٩ هـ) مما يؤكّد على أن الأسم كان متداولاً في تلك الفترة .

وتتلخّص أحداث هذا الباب في العهد المملوكي على النحو التالي :

وفي يوم الأحد ١٩ رجب من سنة (٦٩٩ هـ) وبعد رحيل (غازان) ملك التتار عن دمشق فُتح باب الفرج وباب النصر ففرح الناس وانفرجوا .

يقول ابن قاضي شهبة في أحداث سنة ٧٩٢ هـ : (فُرغ من تركيب الباب الحديد المستجدّ خارج باب النصر وعمل فوقه رَوْشَن مسقوف) .

قلت : منعاً للإلتباس فإن تسمية باب الحديد كانت تطلق أيضاً على الباب الشمالي لقلعة دمشق المؤدي إلى محلّة (تحت القلعة) والذي سمّي بذلك لأنه كان مصنوعاً من الحديد، كما تطلق أيضاً على الباب الصغير في محلّة الشاغور.

والرَوْشَن : هو العنصر المعماري المستخدم في المنشآت الدفاعية كالقلاع والأسوار والأبواب لحمايتها، وهو عبارة عن شرفة بارزة مسقوفة مزوّدة (بسقّاطات) أي بفتحات تُصَبّ منها الزيوت المغليّة أو تلقى منها الحجارة أو غيرها على العدو المحاصِر لعرقلة مهمّته في دكّ أو اختراق تلك المنطقة.

ثم يقول في ترجمته لنائب دمشق جردمر [انظر الاسم في باب الجابية] : (وعمّر الباب البرّاني خارج باب النصر).

- ويوقعنا المؤرّخ ابن طولون في إشكال معقّد حين يذكر أحداث سنة ٩٠٣ هـ : (وفي يوم الخميس رابع عشره - يقصد ربيع الأول - بني باب النصر من تربة بهادر آص، إلى تربة فرج بن منجك بحجارة مكينة، ومرامٍ، فاشتدّ خوف الناس، وتقطّعت الأسباب، وفصل بين الحارات بتداريب مسدودة، وبعضها بخوخة يُدخل منها بمشقّة شديدة).

قلت : تربة بهادر آص قائمة في التربة المردمية بمحلّة السنانية اليوم، وتربة فرج بن منجك كانت في سوق الغنم بنفس المحلّة، والغريب أن يُطلق اسم باب النصر أيضاً على هذا الباب المُحْدَث. أما التداريب فهي التحصينات، والخوخة : الباب الصغير المنخفض الذي يُفتح في الباب الأكبر.

- ويعود ابن طولون إلى القول في أحداث سنة ٩٢٢ هـ : (ولما مرّ السلطان على باب النصر الذي في رأس القبيبات..).

قلت : من المعروف أن القبيبات كانت قرية صارت حي الميدان الفوقاني اليوم، فهل كان ثمّة باب للنصر ثالث هناك؟ ثم لم يحدّد ابن طولون الموقع بدقّة،

واكتفى بالقول: في رأس القبيبات. فهل كان يعني الطرف الجنوبي أم الشمالي من هذه المحلّة ؟

وأطلق الناس على الباب في العهد المملوكي اسم (باب دار السعادة) و(باب السعادة) نسبة إلى دار الحكم التي أنشأها المماليك لصيقته من داخل المدينة، وفي العهد العثماني تحوّل الاسم إلى (باب السرايا) عند إنشاء سرايا الحكم في موضع القصر العدلي اليوم.

وفي سنة (١٨٦٣م) قام والي الشام العثماني (محمد رشدي باشا) بإزالة باب النصر لتوسيع مدخل سوق الحميدية، لكن التسمية بقيت شائعة وأطلقت في عهد الحكومة العربية على الشارع الممتد بين سوق الحميدية ومحطّة الحجاز تخلّصاً من اسم شارع جمال باشا (السفّاح) الذي كان يطلق عليه.

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٢/ ١٨٦
الأعلاق الخطيرة لابن شدّاد ٣٦
تاريخ ابن قاضي شهبة المجلد الأول الجزء الثالث ٣١٨، ٦٨٢
خريدة العجائب وفريدة الغرائب لابن الوردي ٤٩
القلائد الجوهرية لابن طولون ١/ ٥٦
مفاكهة الخلاّن لابن طولون ١/ ١٩١، ٢/ ١٧
الشمعة المضيّة لابن طولون ١٠-١١
دمشق القديمة للمنجّد ٦١
ولاة دمشق في عهد المماليك لدهمان ١١١
دمشق بين عصري المماليك والعثمانيين للعلبي ٥٥
دمشق دراسات تاريخية وأثرية ١٠٠
دمشق تاريخ وصور للشهابي ط٢، ١٤١
معجم ألقاب أرباب السلطان للشهابي ١٧٠
معالم دمشق التاريخية للإيبش والشهابي

أبواب معبد جوپيتر

باب البريد
باب جيرون

باب البريد

الباب الغربي لمعبد جوپيتر بين سوق الحميدية والمسكيّة

يتناقل المؤرّخون العرب اسطورة مفادها أنه كان لسعد بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح ولدان، أحدهما يدعى: (جيرون)، وهو الذي بنى الباب المعروف باسمه بين حي النوفرة والقيمريّة (أنظر التسمية)، والآخر يدعى (بريد)، فبنى سعد لولديه قصرين على أعمدة وفتح لكل قصر منهما باباً إلى المعبد فسمّي كل باب منهما باسم صاحبه.

والصحيح أن باب البريد هو المدخل الغربي لمعبد جوپيتر الدمشقي، وكان له رواق معومد لا زالت بقاياه ماثلة إلى اليوم بين النهاية الشرقية لسوق الحميدية والمسكيّة، وقد أطلقت تسميته أيضاً على الباب الغربي للجامع الأموي، وشاعت على كامل المحلّة قبالته.

ومن المعروف أن بناء باب البريد الأصلي لمعبد جوپيتر بقي قائماً حتى العهد الأيوبي، حينما قام الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بنقل حجارته وعمده إلى قلعة دمشق لإعادة بنائها. ذكره ابن فضل الله العمري في كتابه (مسالك الأبصار).

- كما ذكر ياقوت الحموي في القرن السابع للهجرة باب البريد وقال: (اسم لأحد أبواب دمشق، وهو من أنزه المواضع، وقد أكثرت الشعراء من ذكره ووصفه والتشوّق إليه، فمن ذلك قول علي بن رضوان الساعاتي، شاعر عصري:

أَلَمَّت سليمى والنسيم عليلُ فخيِّل لي أن الشمال شَمْولُ
كأن الخزامى صفقّت منه قَرْقَفاً فللسكْرِ أعناق المطيّ تميلُ
تلاقت جفونٌ ما تلاقى قصيرةٌ وليلُ مشوقٍ بالغرام طويلُ
شديدٌ إلى باب البريدِ حنينُه وليس إلى باب البريد سبيلُ
ديارٌ فأما ماؤها فمصفقٌ زلالٌ وأما ظلُّها فعليلُ
نَحِلْتُ وما قولي نحِلْتُ تعجباً هل الحُبُّ إلى لوعةٌ ونحولُ

- ويورد ابن كثير، وينقل عنه ابن طولون، في أحداث سنة ٦٤٧ هـ أواخر العهد الأيوبي قوله: (في عاشر صفر دخل إلى دمشق نائبها الأمير جمال الدين بن يغمور من جهة الصالح أيوب فنزل في درب الشعّارين داخل باب الجابية، وفي جمادي الآخرة أمر النائب بتخريب الدكاكين المحدثة وسط باب البريد، وأمر أن لا يبقى فيها دكان سوى ما في جانبيه إلى جانب [سوق] الخيّاطين القبلي والشامي [الشمالي]، وما في الوسط يُهْدَم).

- ويذكر أيضاً في أحداث سنة (٧٢٩ هـ) من العهد المملوكي أن نائب الشام الأمير تنكز أمر بتوسيع الطرقات والأسواق داخل دمشق وخارجها مثل باب البريد وغيره.

- ويقول ابن قاضي شُهبة من نفس العهد: (في أوائل ربيع الأول [سنة ٧٤٩ هـ] ولّي القاضي شمس الدين البهنسي ناظر ديوان مَلَك الأمراء والمرستان وغير ذلك نَظَرِ الجامع [الأموي]. . . ونظّف باب البريد، وبيّض الجانب الشامي [الشمالي] وصبغ أعمدته بألوان). كما ذكر في موضع آخر وجود قناة للماء عند أسفل درج باب البريد عن يمين النازل. ويتّضح أن هذا الدرج كان في موضع المنحدر القائم اليوم بين سوق الحميدية والمسكيّة بجانب الرواق الروماني المعومد.

- ثم يقول ابن طولون الصالحي أيضاً في حوادث سنة (٩٠٦ هـ) أواخر العهد المملوكي أنه: (في يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى خرج السلطان [طومان باي] من قلعة دمشق لصلاة الجمعة بالأموي وقد أخليت له المقصورة على عادة السلاطين، ونزل عند درج سوق باب البريد وقد فُرِش لأجله، وأشعلت له الشموع وغيرها).

وطومان باي: هو سلطان مصر والشام المملوكي، تولى السلطنة في ١٨ جمادى الآخرة سنة (٩٠٦ هـ) وتلقّب بالملك المؤيّد ثم بدلّه إلى الملك العادل، وقُتل في ١٧ رمضان من نفس السنة.

- وفي العهد العثماني ترجم الغزّي لأحمد المغربي المالكي، ونقل عنه المحبّي فقالا: شيخ المالكية بدمشق، ولّي نظارة الجامع الأموي، فحمدت سيرته، ورضي الناس منه، وكان له كلمة عند الحكّام واستقامة، ولا يتكلّم في أحد بسوء، فوسّع سوق باب البريد بتأخير تخوته [مقاعده] إلى الخلف.

- وقال المحبّي في ترجمة مراد باشا الوالي العثماني: (في أواخر سنة اثنتين بعد الألف [للهجرة] . . وبنى على مربّعة باب البريد قبّة عظيمة عالية ملاصقة للعمودين العظيمين الباقيين عن يمين باب البريد وشماله فجاءت قبّة حسنة).

- وذكر هذه القبّة أيضاً القساطلي بقوله: (سوق باب البريد وهي أجمل أسواق المدينة . . وفي وسطها قبّة شاهقة قائمة على أعمدة عظيمة عليها كتابات كثيرة بالعربية والكوفيّة).

- ومما شاع في ذلك العهد رواية تناقلها الناس واعتقدوا بصحّتها كما يذكر الغزّي، ومفادها أن جماعة من الصماديّة [من الطرق الصوفيّة] كانوا يضربون الطبول قديماً بين يدي الشيخ في حلقتهم يوم الجمعة بعد الصلاة، فأمر بعض الحكّام بمنعهم من ذلك في بعض الأيام وإخراج الطبل إلى خارج الجامع، فدخل الطبل

محمولاً يُضرب عليه ولا يرون له حاملاً ولا عليه ضارباً، واستمرّ الطبل في هواء الجامع من باب البريد حتى انصدم ببعض عواميد الجامع مما يلي باب جيرون.

– ويروي البديري الحلاّق من نفس العهد بعضاً من أحداث باب البريد سنة (١١٧٢ هـ) فيقول: (وفي ليلة الإثنين سادس ربيع الثاني في الساعة الخامسة صارت زلزلة عظيمة أعظم من الأولى بدرجات، وقد صار معها رجّة مهولة أسقطت غالب بقيّة المآذن، وأرمت قبّة الجامع الأموي الكبيرة [يقصد قبّة النسر] والرواق الشمالي جميعه مع مدرسة الكلاّسة وباب البريد وأبراج القلعة وغالب دور دمشق).

– وفي كتابه (عَرف البَشام) يروي المرادي شعراً قاله أحمد زين العابدين بن عبد الرحمن الجامي المدني من هذا العهد المذكور، منه:

هل إلى سفحِ بقَسْيونَ سَبيلْ ... وإلى جنّةِ مأواهُ دليلْ
وإلى بابِ بريدٍ ينتهي ... ويُنيخُ العِيْسَ في ذاك المَقيلْ
ويحيّي أهلَ ذاك الحيّ لا ... زال مأهولاً لإكرام النَزيلْ

والعِيْس: الناقة البيضاء يخالطها شيء من السواد.

أما بخصوص الإشتقاق اللغوي لتسمية باب البريد فإن لفظ (بريدا) بالسريانية يفيد معنى: الرسل والرسائل وخيل البريد، وكذلك الخيل شديدة الركض، ولم استطع التوصّل إلى إيجاد العلاقة بين هذه المعاني واسم باب البريد.

وعندي أن الأقرب إلى الصواب والترجيح كون مصدر الاسم من السريانية (بريتا)، وتعني: الساحة والعَرَصَة والشارع، وتعني أيضاً الخليقة، وبالآرامية (بريت – بريتا) بمعنى: التحالف والعهد، وعليه يكون المعنى: الساحة والشارع والعَرَصَة، وإن ما ذكره ياقوت الحموي عن اتساع المنطقة وكونها

من أنزه المواضع قد يرجّح هذا الرأي. والاحتمال الثاني وهو الأقرب أن يكون بمعني الخليقة، وعليه يصبح المعنى العام: باب الخليقة. والجدير بالذكر أن الناس ما زالوا حتى الساعة يلفظون اسم (البْرِيْد) بتسكين الباء لا بفتحها كما هو الحال في السريانية التي لا تبدأ بمتحرك، بينما العرب لا تبدأ بساكن.

معجم البلدان لياقوت الحموي ١/ ٣٠٦

البداية والنهاية لابن كثير، حوادث سنة ٦٤٧ وسنة ٧٢٩ هـ

تاريخ ابن قاضي شُهبة المجلّد ١ الجزء ٣ ص ٢١٧ و المجلّد ٢ الجزء ١ ص ٥٤٣

مسالك الأبصار للعمري ١/ ١٨٩

القلائد الجوهرية لابن طولون ١/ ٢١٣

إعلام الورى لابن طولون ١٤٥

لطف السمر وقطف الثمر للغزّي ١/ ٣٢٧

الكواكب السائرة للغزّي ٢/ ٣٢

خلاصة الأثر للمحبّي ٤/ ٣٥٦

حوادث دمشق اليومية للبديري الحلاّق ٢٢٤

عرف البشام للمرادي ١٨١

الروضة الغنّاء في دمشق الفيحاء للقساطلي ٦٨

الآثار الإسلامية في مدينة دمشق لڤاتسنگر ١١٨

موسوعة حلب المقارنة للأسدي ٢/ ١٠٤

معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية لفريحة ١٩

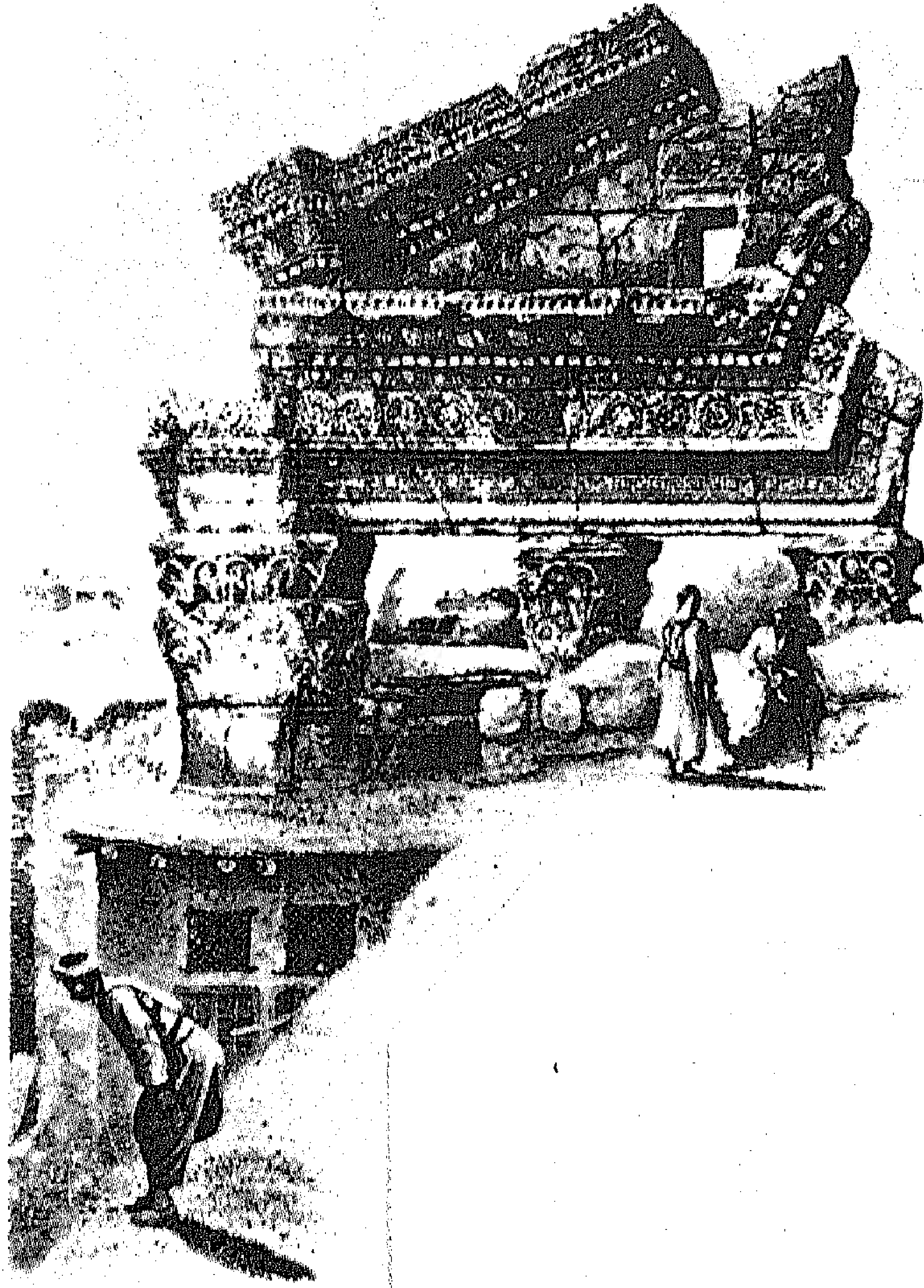
معالم دمشق التاريخية للإيبش والشهابي



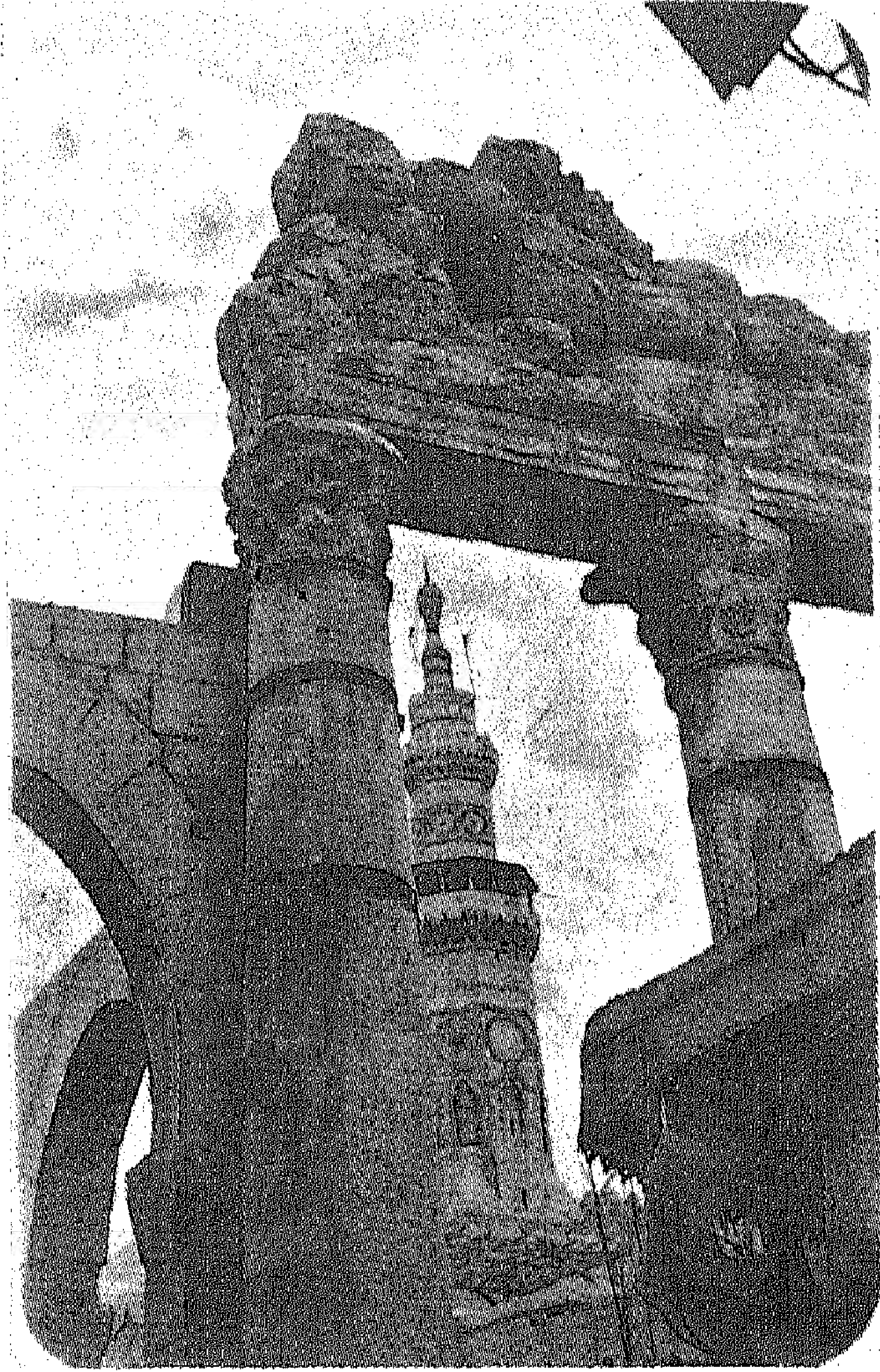
باب البريد من الغرب إلى الشرق في ثلاثينات القرن العشرين



أعمدة رواق الباب الغربي لمعبد جوپيتر الدمشقي المعروف بباب البريد من الشرق إلى الغرب في العشرينات أو الثلاثينات من قرننا



لوحة حفر لقوس النصر تعلو أعمدة باب البريد لمعبد جوبيتر الدمشقي بريشة فنّان أوروبي من القرن التاسع عشر



أعمدة باب البريد في الجهة الغربية للجامع الأموي
بين المسكيّة وسوق الحميدية في منتصف هذا القرن



أعمدة باب البريد (الباب الغربي) لمعبد جوپيتر الدمشقي وقوس النصر
من العصر الروماني
(بعدسة المؤلّف من الشرق إلى الغرب في الثمانينات من هذا القرن)

باب جيرون

الباب الشرقي لسور معبد جوپيتر الدمشقي بين حي النوفرة والقيمريّة

كان لمعبد جوپيتر الدمشقي، وقبله معبد (حدد الآرامي)، مدخلان رئيسيّان يتألفان من رواقين معومدين وأبواب مزدوجة، داخلي وخارجي، وعرف المدخل الغربي منهما باسم (باب البريد)، والشرقي (باب جيرون)، ونظراً للضخامة التي كان عليها هذا المعبد، فقد أطلق المؤرّخون العرب عليه اسم (حصن جيرون)، وشاعت هذه التسمية على كامل حي النوفرة الحالي.

– وصف المسعودي (المتوفى ٣٤٦ هـ) هذا الباب، وهو أقدم وصف جاءنا، فقال: (. . وهذا الموضع بدمشق في هذا الوقت – وهو سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة – سوق من أسواقها عند باب المسجد الجامع، ويعرف بجيرون، وجيرون: هو بنيان عظيم، كان قصر هذا الملك، وعليه أبواب من نحاس عجيبة، بعضها على ما كانت عليه، والبعض من مسجد الجامع).

– كما أورد ذكره المقدسي المتوفى سنة (٣٨٠ هـ).

– وقال مؤرّخ دمشق الكبير ابن عساكر عند حديثه عن القائد العبّاسي عبد الله بن على الذي هدم سور دمشق: (قدم عبد الله دمشق وحاصر أهلها ، فلما دخلها هدم سورها، فوقع منها حجر كان عليه مكتوب باليونانية . فأرسلوا خلف راهب، فقالوا له تقرأ ما عليه؟ فقال جيئوني بقير فطبعه على الحجر فإذا عليه مكتوب: ويك ارمَ الجبابرة – ويقصد إرم ذات العماد إحدى تسميات دمشق على ما يظن – ، من رامك بسوء قصمه الله. إذا وهى منك جيرون الغربي من باب البريد، ويلك من الخمسة أعين، نقض سورك على يديه بعد أربعة آلاف سنة

تعيشين رغداً، فإذا وهي منك جيرون الشرقي أُديل لك ممن تعرّض لك. قال: فوجدنا الخمسة أعين: عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب. عين بن عين بن عين بن عين بن عين).

- وقد زال الباب سنة (٧٥٣ هـ) كما يذكر ابن كثير في البداية والنهاية فيقول: (باب جيرون الذي كان هلاكه وذهابه وكسره في هذه السنة، وهو شرقي جامع دمشق لم يُر باب أوسع ولا أعلى منه فيما يعرف من الأبنية في الدنيا، وله علمان من نحاس أصفر بمسامير أصفر أيضاً بارزة، من عجائب الدنيا ومحاسن دمشق ومعالمها...).

قلت: جاءت عبارة ابن كثير مليئة بالغموض، فهل قصد بقوله باب جيرون: الباب الخارجي لسور معبد جوّبيتر أم باب الجامع الأموي؟

- ويصف ابن طولون الصالحي هذا الزوال في رسالته (قرّة العيون في أخبار باب جيرون) نقلاً عن ابن شاكر الكتبي المتوفى سنة (٧٦٤ هـ) فيقول: (في سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة: وفي سادس عشر صفر منها وقع حريق عند باب جيرون، فاحترقت دكّان الفقاعي الكبيرة وما حولها، واتسع اتساعاً فظيعاً، وكانت ليلة كثيرة الهواء، وارتفع ارتفاعاً عظيماً، واستمر إلى أثناء النهار. فحضر جماعة من الأمراء والحجّاب ومتولّي البلدة، وجاء الرجال من كل مكان فأطفأوه. واستمرّ الحريق [واتصل] بالباب الأصفر النحاس، فبادر ديوان الجامع إليه، فكشفوا ما كان عليه من النحاس، ونقلوه من يومه إلى خزانة الحاصل، ثم غدوا عليه يكسرون خشبه بالفؤوس وكان من خشب الصنوبر، وهو في غاية القوّة والثبات، وتأسّف الناس عليه لكونه كان من محاسن البلد ومعالمه، وله في الوجود ما ينيف عن أربعة آلاف سنة. ولم يُر باب أوسع منه ولا أعلى فيما يعرف من الأبنية في الزمان منه. وله غَلَقَان من النحاس الأصفر بمسامير كبار من النحاس بارزة. وهو من عجائب

الدنيا ومحاسن دمشق ومعالمهاوقديم بنائها، وقد ذكرته الشعراء في أشعارها، والعرب في أمثالها).

- ثم يورد في موضع آخر من رسالته أنه عُمِّر بعيد المئة السابعة عند هذا الباب مسجد احترق في فتنة تيمور [٨٠٣ هـ]. ثم أحدث نائب الشام جان برد الغزالي لما أراد الخروج عن طاعة السلطان العثماني سليم خان الأول داخل الباب الكبير الذي عليه هذا الباب المنقوش بوّابة بقنطرة حجر، لكنه أُخِذَ [قُتل] قبل أن يركّب لها باباً [وكان ذلك خلال السنوات ٩٢٢ - ٩٢٧ هـ].

وجان برد الغزالي: هو جان بردي بن عبد الله الملقّب بالغزالي، مملوك جركسي، كان والياً على دمشق من قبل السلطان المملوكي قانصوه الغوري قبل أن يهزمه السلطان العثماني سليم خان الأول في معركة «مرج دابق» سنة ٩٢٢ هـ، ثم أقامه السلطان سليم المذكور نائباً لدمشق في أول الفتح العثماني، ثم ادّعى السلطنة ولقّب نفسه بالأشرف، فقتله العثمانيون بين بلدتي دوما والقصير سنة ٩٢٧هـ.

وما زالت بقايا باب جيرون ماثلة للعيان عند النهاية الشرقية من حي النوفرة، بينه وبين بداية سوق القيمرية، ويتألّف من بوّابتين واطئتين كانت بينهما بوابة الدخول الكبرى الرئيسية ولا وجود لها اليوم.

ويتناظر هذا الباب مع بقايا القوس الرومانية الماثلة إلى اليوم في محلّة باب البريد بين النهاية الشرقية لسوق الحميدية والمسكيّة، فيؤلّفان حدود معبد جوپيتر الدمشقي من الجهتين الشرقية والغربية.

والجدير بالذكر أن تسمية (باب جيرون) شاعت على الباب الشرقي للجامع الأموي في القرن الرابع للهجرة، منتقلة من الباب الشرقي لسور معبد جوپيتر الخارجي إلى الباب الشرقي للجامع نفسه.

وحول اسم جيرون Jiron ومنشأه ومعناه هناك عدة طروحات مختلفة:

- يرجع المؤرّخون العرب الاسم إلى الاسطورة فيقولوا: ينسب إلى بانيه جيرون بن سعد بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، وهو أحد ملوك اليمن، وكان بناه قبل ابراهيم الخليل، بل قبل ثمود وهود عليهم السلام.

كما قالوا: ان جيرون وبَرِيد كانا أخوين، وهما ابنا سعد بن لقمان بن عاد، وهما اللذان يُعرف جيرون وباب البريد بدمشق بهما.

وذكر بعضهم أن جيرون عند باب مدينة دمشق من بناء النبي سليمان، بنته له الشياطين، وكان الشيطان الذي بناه يقال له جيرون فسمي به، وقيل بل كان مارداً اسمه جيرون، وهي سقيفة مستطيلة على عُمُدٍ وسقائف على عمد، وحوله مدينة تطيف بجيرون.

ويروي ابن شدّاد عن الحسن بن أحمد الهمداني: نزل جيرون بن سعد بن عاد دمشق، وبنى مدينتها، فسمّيت باسمه جيرون، وهي «إرَم ذات العماد».

- ويقول ابن فارس في «كتاب اشتقاق البلدان»: جيرون: من قولك جَرَنَ الشيء إذا املاسّ، والجارن: الأملس من كل شيء.

قلت: وهذا كلّه وهم واضح لا يتعدّى الأسطورة والخيال.

- من المحتمل أن يكون الاسم تصغيراً من الكنعانية بمعنى: الغريب والدخيل، أو من السريانية Giyura بمعنى الغريب والدخيل أيضاً، وهي مشتقّة من جذر سامي مشترك ثنائي التركيب (ج ر) يفيد معنى الغريب والنزيل، ومنه بالعربية: الجار. أو قد يكون هذا الاسم مصحّفاً عن عن الكلمة السريانية: جورنا بمعنى الجرن أو الحوض.

- أما (دوسّو) فيرى أن اسم جيرون مشتقّ من الجذر الآرامي GYR أو GWR بمعنى الحرم أو الملجأ الذي يكون من دخله آمناً، وفي هذه الحالة يصبح معنى باب جيرون: باب الحرَم.

- ويرى (المعلوف) أن الاسم يوناني Jiron بمعنى: فناء الدار أو الهيكل، ومنه اسم فناء الكنيسة أو سورها عند الفرنجة اليوم.

- وقال بعضهم أن أصل اسم جيرون فارسي تعريب (جروند) بمعنى السراج، وهو تفسير بعيد عن الواقع.

- وتغنّى الشعراء في (باب جيرون) في أحقاب مختلفة، فقد ذكر عديّ بن زيد هذا الباب في شعره لما زار دمشق في العصر الجاهلي وقال:

رُبَّ دارٍ بأسفلِ الجِزْعِ من دَوْ مَـةَ أشـهى إلـيَّ من جيـرون

وندامـى لا يفرحــون بما نا لوا، ولا يرهبون صرف المنون

- وفي القرن الأول للهجرة صنع (معبد) لحناً له في شعر فيه ذكر جيرون، وهو:

القصر فالنخل فالجمّاء بينهما أشهي إلى القلب من باب جيرون

- كما تغنّى ابن منير الشاعر بظباء جيرون فقال:

ولي في بابِ جَيْرُون ظِباءٌ أعاطيها الهوى كأساً فكاسا

مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي ٢/ ١٣٣

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي ١٣٩

تاريخ دمشق لابن عساكر ١/ ١٠ - ١٣، ١٥، ٢٠ ٢/ ٤٧

الأعلاق الخطيرة لابن شدّاد ١٩

عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٢/ ١٨٤

معجم البلدان لياقوت الحموي ٢/ ٤٦٣

الأغاني للأصفهاني (دار الكتب) ١/ ٨، ٢/ ١٠٢

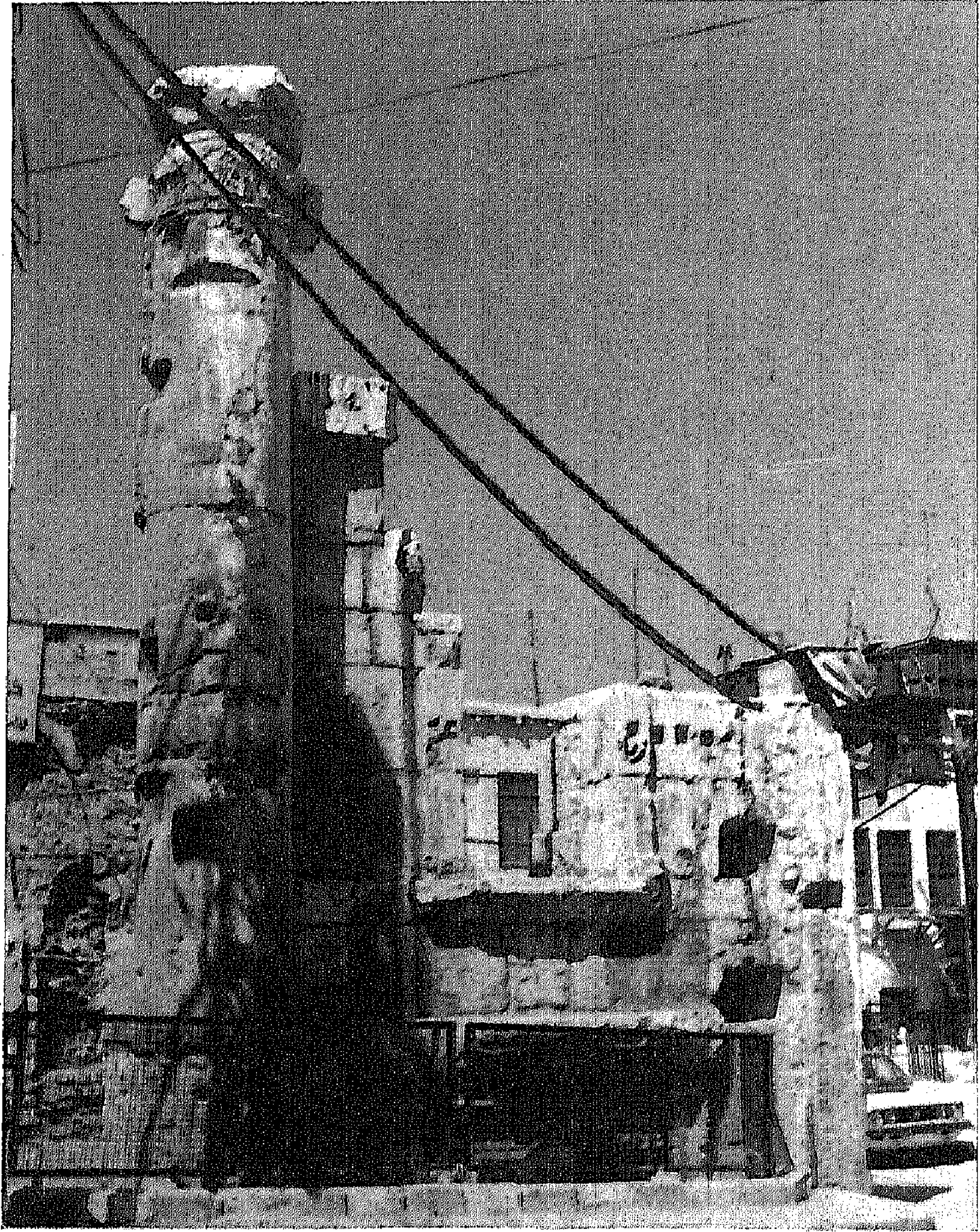
الآثار الإسلامية في مدينة دمشق لڤاتسنگر ٣٣٣

خطط دمشق للمنجّد ١٢٣

معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية لفريحة ٥١

مكتشفات مثيرة لسبانو ٢٦٢

معالم دمشق التاريخية للإيبش والشهابي



أحد العمودين المتبقّيين من أعمدة البوّابة الشرقية (البروبيلون) لرواق سوق معبد جوبيتر الدمشقي، والتي عرفت باسم (باب جيرون) بين حي النوفرة وسوق القيمريّة الحاليين.
(بعدسة المؤلّف من الشرق إلى الغرب صيف عام ١٩٩٦م)

أبواب الجامع الأموي

الباب الشرقي
الباب الشمالي
الباب الغربي
الباب القبلي
أبواب داخلية

الجامع الأموي

الجامع الأموي غني عن التعريف، وهو قائم في قلب المدينة القديمة دمشق، شيّده الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، وبدأ البناء سنة (٨٦ هـ) واستمر عشر سنوات. وكان في موضع الجامع قديماً معبد آرامي للإله (حَدَد)، وتحوّل في العصر الروماني إلى معبد (جوپيتر)، ثم صار في العهد البيزنطي كنيسة على اسم (القدّيس يوحنا المعمدان).

- وحول هذا الجامع يقول المسعودي: (وقد كان مسجد دمشق قبل ظهور النصرانية هيكلاً عظيماً فيه التماثيل والأصنام على رأس منارته تماثيل منصوبة، وقد كان بني على اسم المشتري وطالع سعد [يقصد كوكب المشتري الذي ينسب إليه أيضاً الباب الصغير]، ثم ظهرت النصرانيةفجعلته كنيسة، وظهر الإسلام [فجُعل مسجداً] وأحكم بناءه الوليد بن عبد الملك، والصوامع منه لم تغيّر، وهي منائر الآذان إلى هذا الوقت).

- ويذكر هورست كلينكل: (لعل أفخم الآثار التي تعود إلى زمن الرومان موجودة في محيط جامع بني أميّة، هذا المسجد الجامع الذي يعتبر آبدة بالغة الأهميّة في تاريخ الفن والآثار يتربّع في وسط المدينة القديمة وله مكانة مقدّسة في قلوب الناس، وكان للمكان الذي يقوم فوقه صفة قدسيّة منذ قديم الزمان، إذ نتستفيد من الكتابات الآرامية المكتشفة أن معبد الإله (حَدَد) الذي كان يهب المطر للناس كان ينتصب في نفس المكان. ولما احتلّ الرومان بلاد الشام قدّروا ما لهذه البقعة من بقاع دمشق من هيبة وإجلال في نفوس الناس فجدّدوا أسلوب العمارة وتوسّعوا في البناء. وبالرغم من تبديلهم اسم حدد باسم جوپيتر إلا أن الإله

الروماني الطارف تجسّد كل صفات حدَدَ التليدة. ومن هذا المعبد الكبير لم يبق إلا جبهة مهيبة تستند على ستة أعمدة بالغة الإرتفاع (١٦م) تفصل بين حوانيت المسكيّة وسوق الحميدية. كانت هذه البقايا المعمارية الرائعة في الجمال جزءاً من الرواق الغربي للحرم الذي كان يطوّق المعبد. ومن المعتقد أن الجدران الخارجيّة لجامع بني أميّة هي نفسها التي كانت تطوّق حرم الهيكل الوثني. وتبلغ أبعاد ذلك الحرم حوالي ١٥٥ X ١٠٠م، وكان المدخل الرئيسي يقع في الضلع الشرقي (حيث حي النوفرة الآن) وكان يتقدّم ذلك المدخل بوّابة فخمة ترتفع على درج مهيب وتتخلّلها أعمدة سامقة. لم يبق من الهيكل الوثني الذي كان يتوسّط الحرم الكبير أي أثر ملموس فقد قام القيصر ثيودوسيوس [من العهد البيزنطي] في نهاية القرن الرابع [الميلادي] بهدم أجزائه وحوّل بنيانه إلى كنيسة شامخة تكريماً منه ليوحنّا المعمدان بعد أن أصبحت المسيحية دين الدولة وعامّة الناس. وعندما أصبحت بلاد الشام تستظلّ بظلال الإسلام لم يفقد المكان القدسيّة والجلال فجعل الوليد بن عبد الملك منه أعظم مسجد في تاريخ الإسلام. فهو الذي قال: أريد مسجداً لم يبن أحد مثله من قبل ولن يبني أحد مثله من بعد).

- تتعدّد أسماء الأبواب في الجامع الأموي أكثر بكثير من تعدّدها في بقية أبواب المدينة وهي:

الباب الشرقي

ويعرف بـ:

١ - باب جيرون: نسبة إلى باب معبد جوپيتر الدمشقي الشرقي الذي كان يعرف بباب جيرون، وشاع اسمه على الحيّ الكائن داخله وقد تحدّثت عنه في البحث (أنظر أبواب معبد جوپيتر).

٢ - باب الساعات: أطلقت التسمية في القرن الرابع الهجري، ووصفه مؤرّخ دمشق الكبير ابن عساكر بقوله: (لأنه كان عمل هناك ساعات يعلم بها كل ساعة تمضي من النهار). وقد شاع هذا الاسم عليه في القرن السادس الهجري أيام نور الدين الملقّب بالشهيد بعدما وضعت أمامه الساعة المشهورة التي وصفها ابن جبير في رحلته الشهيرة لدمشق في العهد الأيوبي سنة (٥٨٠ هـ)، وكان صانع هذه الساعة (فخر الدين ابن الساعاتي) قد ترجم له ابن أبي أصيبعة، وبقيت هذه الساعة والتسمية تطلق على الباب حتى عهد المماليك، ووصفها أيضاً بعد تجديدها الرحّالة المشهور ابن بطّوطة الذي زار دمشق في العهد المملوكي سنة (٧٢٦هـ)، والجدير بالذكر أن اسم (باب الساعات) كان يطلق قبل ذلك على باب الزيادة للجامع الأموي وهو الباب الجنوبي الذي يفتح إلى الصاغة القديمة، وانتقل الاسم بعد حريق الجامع سنة (٤٦١ هـ).

- وصف ابن جبير هذه الساعات فقال: (وعن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي أمامه غرفة ولها هيئة طاق كبير مستدير فيه طيقان صفر [قوس فيه أقواس من النحاس]، قد فتحت أبواب صغار على عدد ساعات النهار، ودبّرت تدبيراً هندسيّاً، فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر [كرتان

مجوّفتان من النحاس] من فمّي بازين [نوع من الطيور] مصوّرين من صفر، قائمين على طاستين من صفر تحت كل واحد منهما.

- كما وصف ابن بطّوطة الساعات الجديدة سنة (٧٢٦ هـ)، وكانت الساعات الأقدم التي وصفها ابن جبير قد احترقت سنة (٦٨١ هـ) فقال: (وعن يمين الخارج من باب جيرون وهو باب الساعات غرفة لها هيئة طاق كبير فيه طيقان صغار مفتّحة لها أبواب على عدد ساعات النهار، والأبواب مصبوغ باطنها بالخضرة وظاهرها بالصفرة، فإذا ذهبت ساعة من النهار انقلب الباطن الأخضر ظاهراً والظاهر الأصفر باطناً).

٣ - باب النوفرة: سمّي بذلك لأنه يفتح في حي النوفرة الحالي، وأطلقت تسميته نسبة إلى نافورة ماء (نوفرة) مشهورة كانت هناك وذكرتها المصادر التايخية المتعدّدة.

٤ - باب القيمريّة: لأنه يؤدي إلى حيّ القيمرية شرقاً.

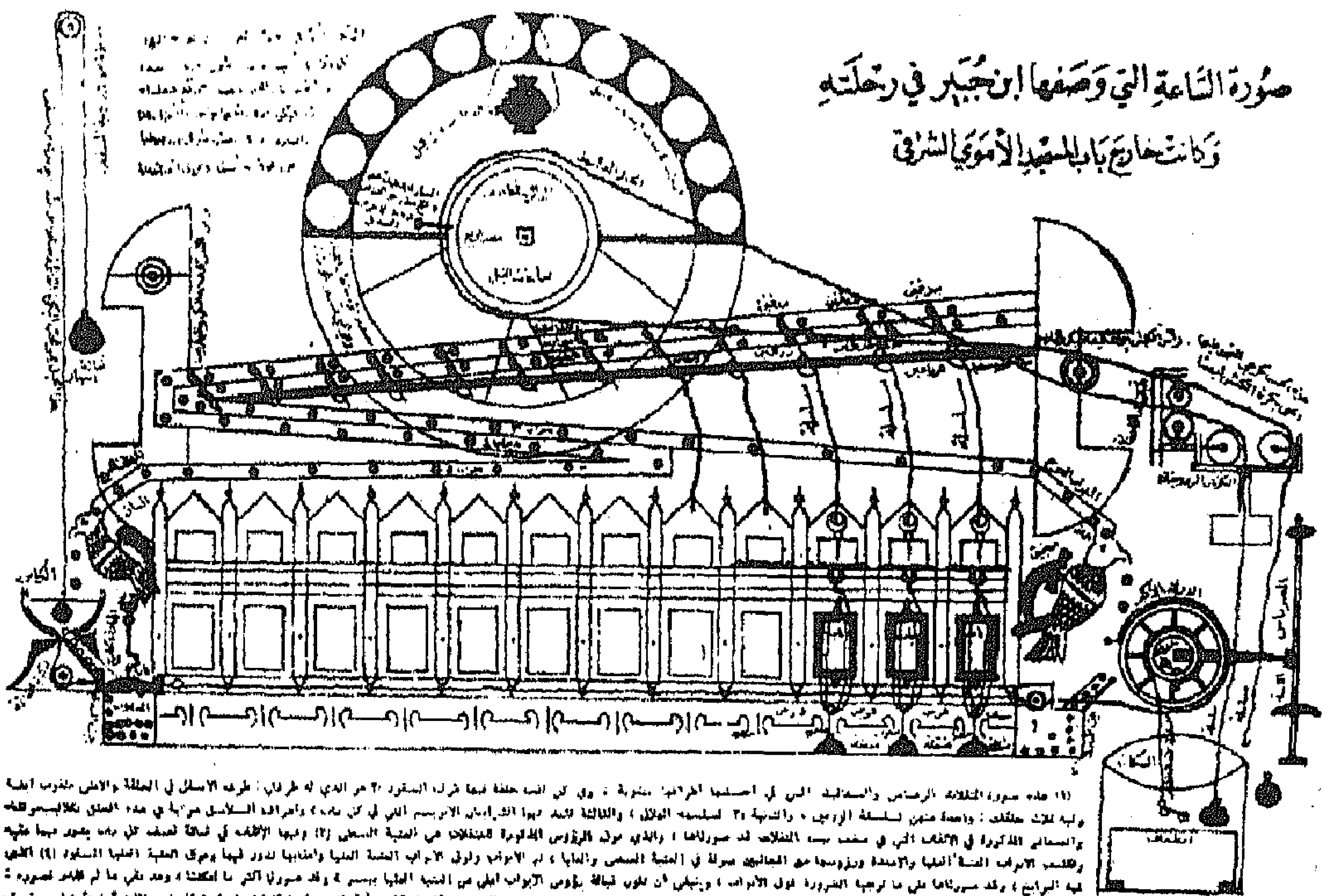
٥ - باب اللبّادين: تسمية قديمة منسوبة سوق اللبّادين الذي كان عنده، واللبّاد قماش مصنوع من الصوف المندوف.



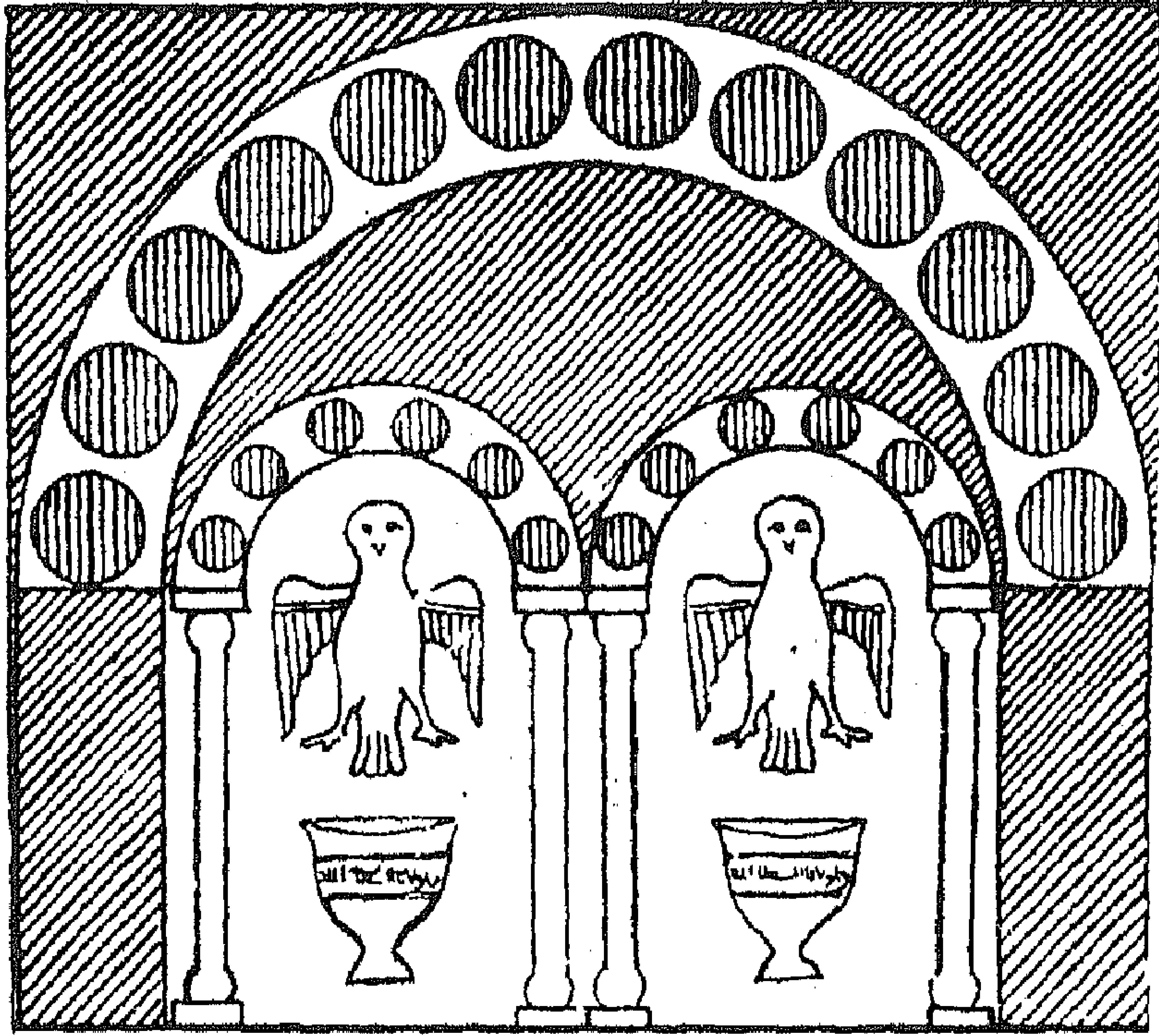
الباب الشرقي السامق المهيب للجامع الأموي والمشرف على حي النوفرة، وكان **هذا الباب هو** المدخل الرئيسي لمعبد (حَدَد) في العهد الآرامي، ومعبد (جوپيتر) في العهد **الروماني**
(بعدسة المؤلّف عام ١٩٩٦م)



باب صغير في الجدار الشرقي للجامع الأموي
بجوار الباب الكبير
(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٩٦م)



رسم الساعة التي وصفها ابن جبير كما رسمها ابن صانعها « رضوان »



رسم الساعة التي وصفها ابن جبير كما تخيلها الدكتور : ج سوفاجيه

(الصورة منقولة عن كتاب مقدّمة علم الساعات والعمل بها لرضوان بن محمد الساعاتي تحقيق محمد أحمد دهمان - منشورات المكتب الإسلامي)

الباب الشمالي

وله من الأسماء:

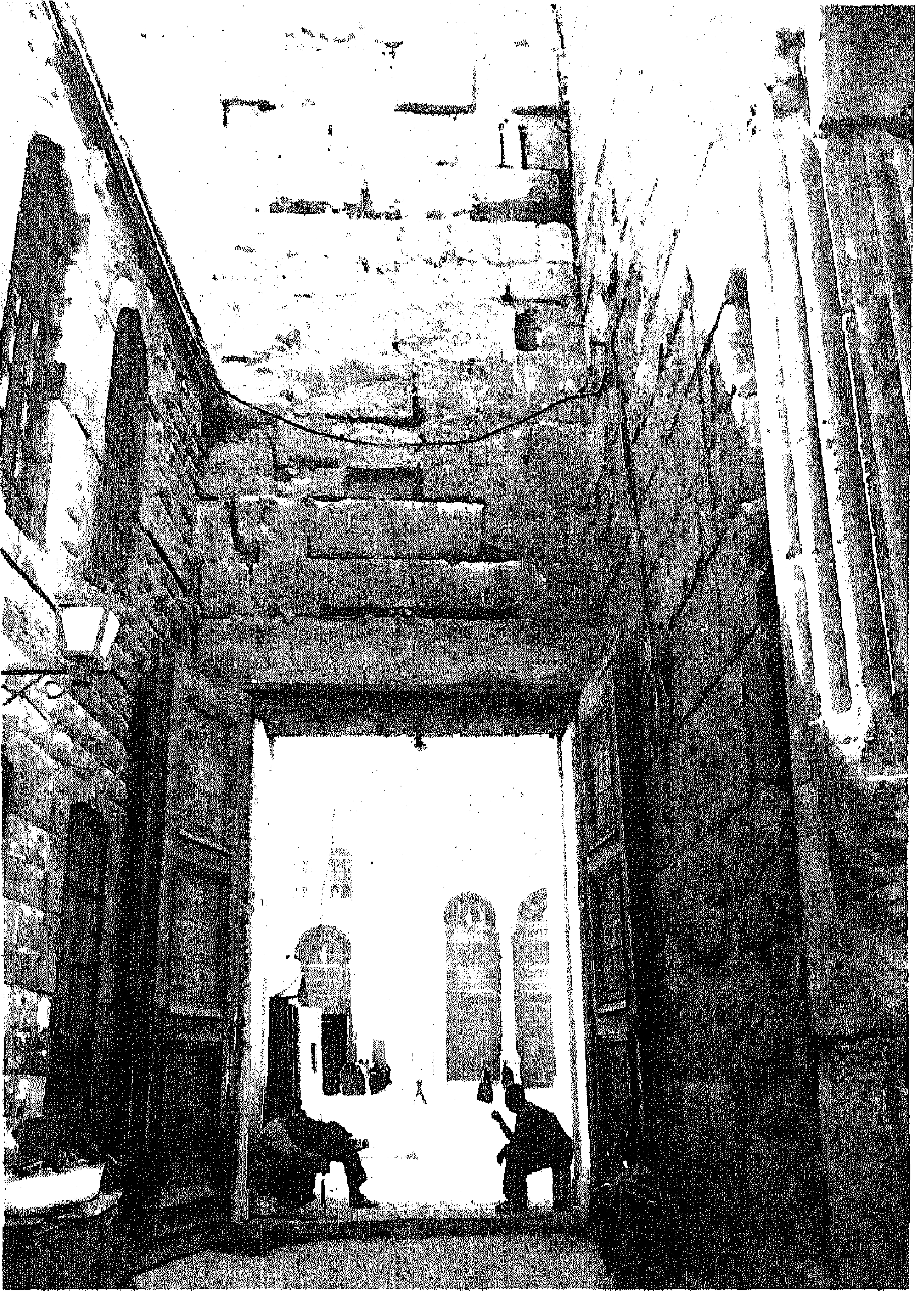
١ - باب العمارة: سمّي بذلك لأنه يؤدّي إلى حي العمارة الجوّانية قربه.

٢ - باب الكلاّسة: لأنه يُفتح في حي الكلاّسة.

٣ - باب الفراديس: لأنه يؤدّي إلى باب الفراديس أو محلّة الفراديس.

٤ - باب السلسلة: لوقوع درب السلسلة قربه وقد ذكر ابن شدّاد هذا الدرب في القرن السابع للهجرة.

٥ - باب الناطفانيين أو الناطفيين: ربما لوجود صنّاع أو باعة الناطف أو الماء عنده، والناطفُ ضرب من الحلوى البيضاء الهشّة، والنِطاف جمع نُطْفَة وهو الماء الصافي. لكنني لم استطع تحديد المعنى المقصود بدقّة.



الباب الشمالي للجامع الأموي الذي يفتح في حي الكلاّسة

(بعدسة المؤلّف صيف عام ١٩٩٦م)



من زخارف الباب الشمالي للجامع الأموي

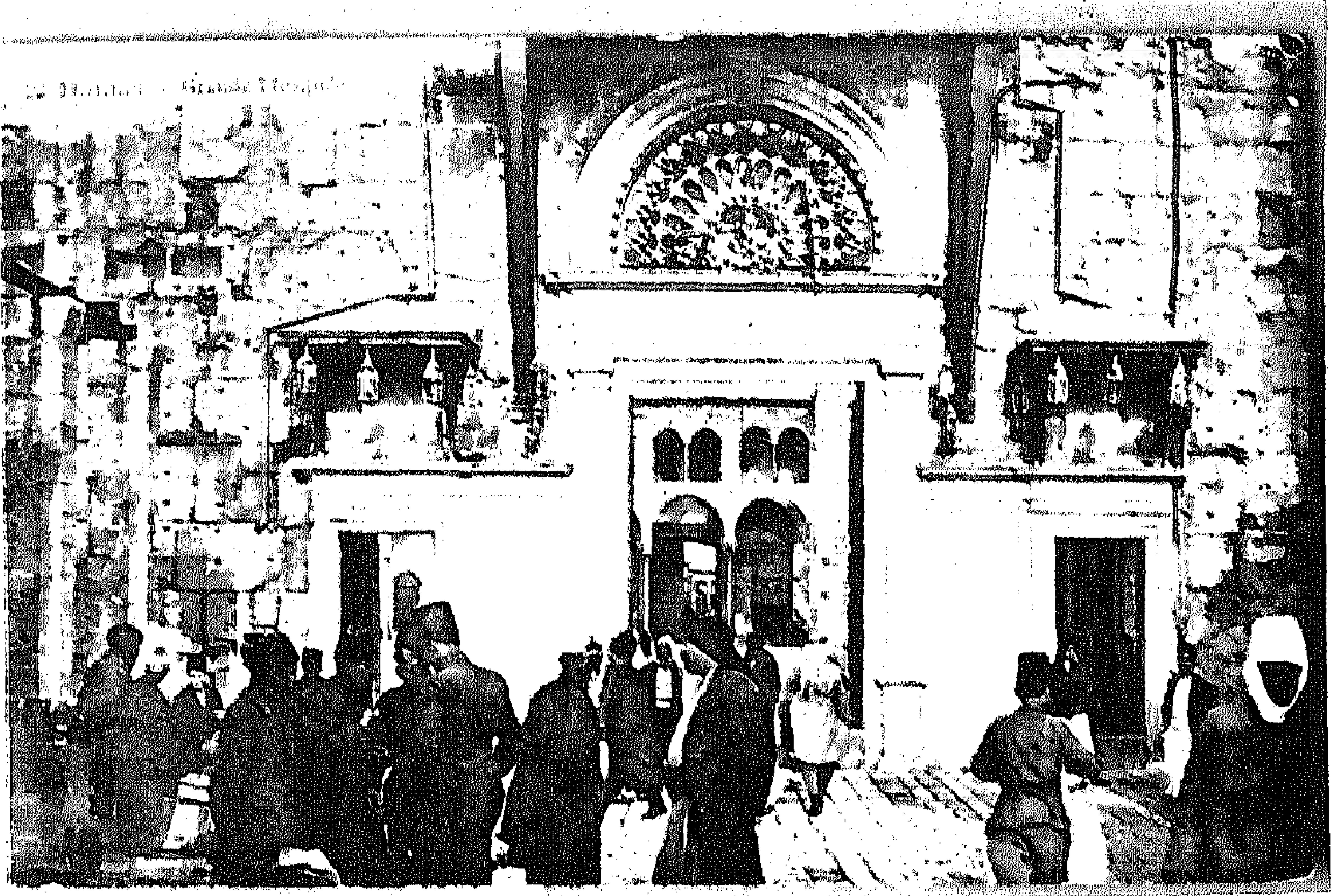
(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٩٦م)

الباب الغربي

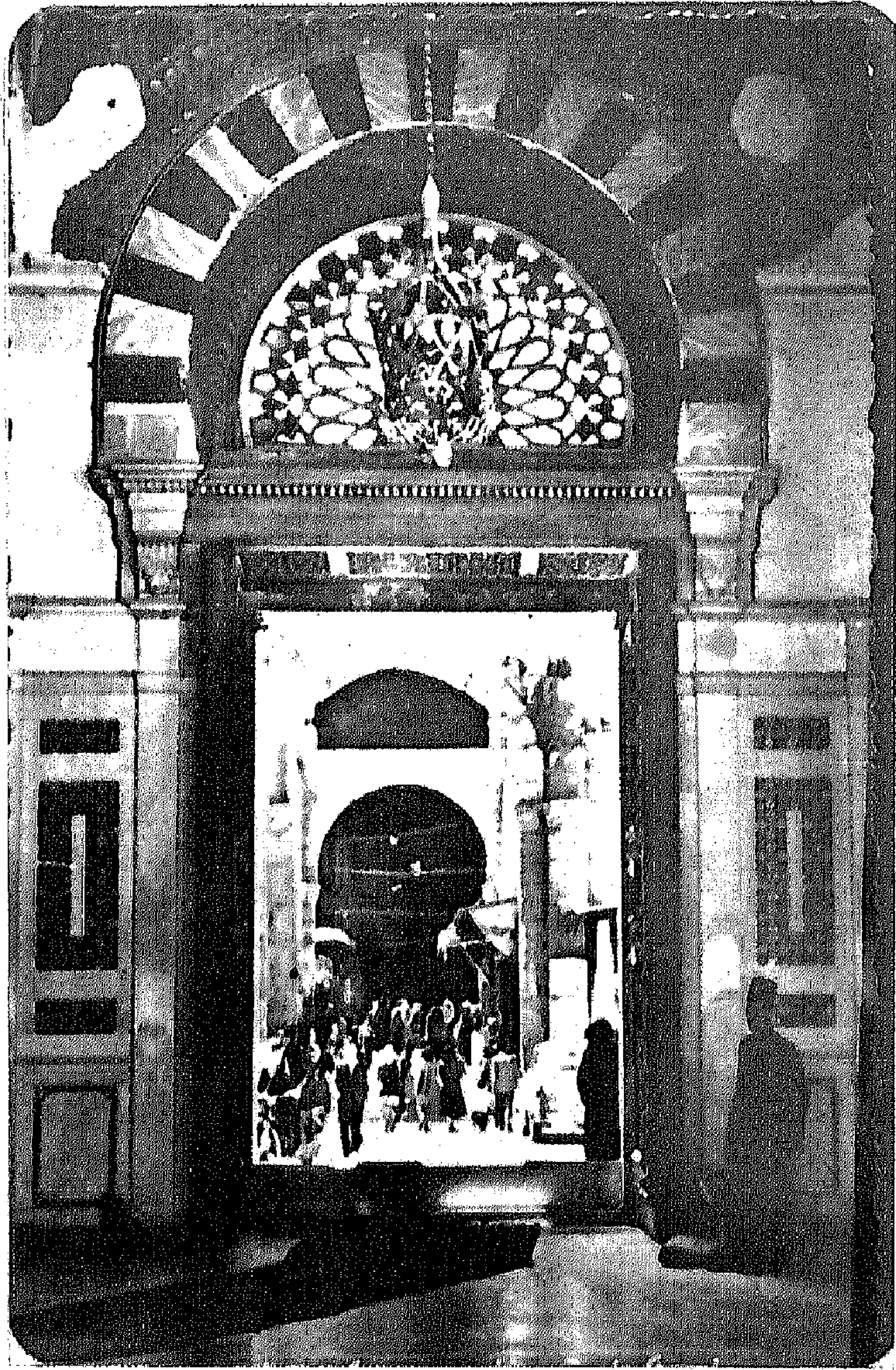
وله من الأسماء:

١ - باب البريد: نسبة إلى باب معبد جوپيتر الدمشقي الغربي الذي كان يعرف بباب البريد، وشاعت تسميته على كامل الحيّ عنده وقد تحدّثت عنه في البحث (أنظر أبواب معبد جوپيتر).

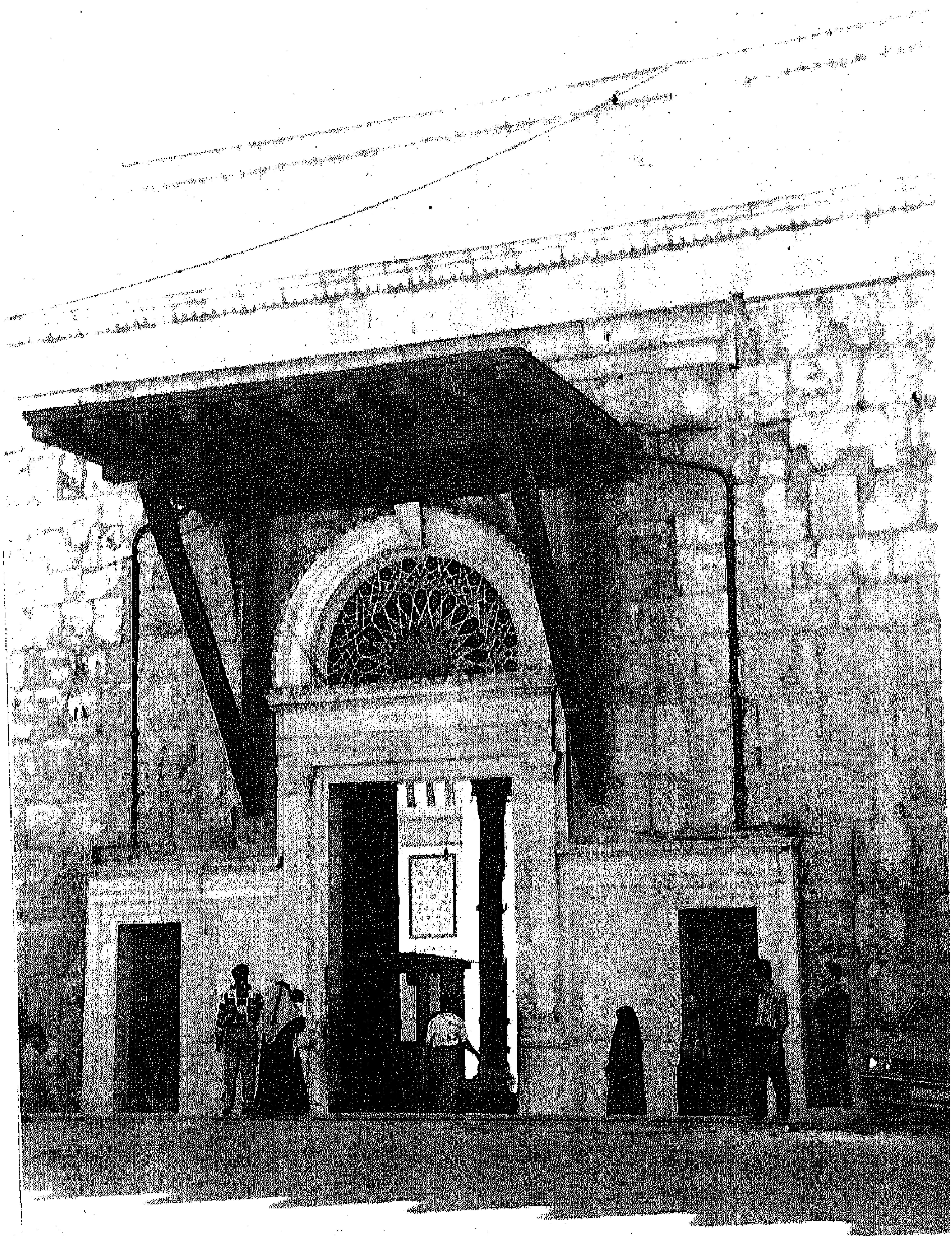
٢ - باب المِسكيّة: سمّي بذلك لأنه يفتح في سوق المسكيّة، والمسكيّة هم باعة المِسْك وهو نوع من الطيب كالعنبر وما شابه.



الواجهة الغربية للجامع الأموي في بدايات هذا القرن



الباب الغربي للجامع الأموي من الداخل باتجاه المسكيّة
في النصف الأول من قرننا الحالي



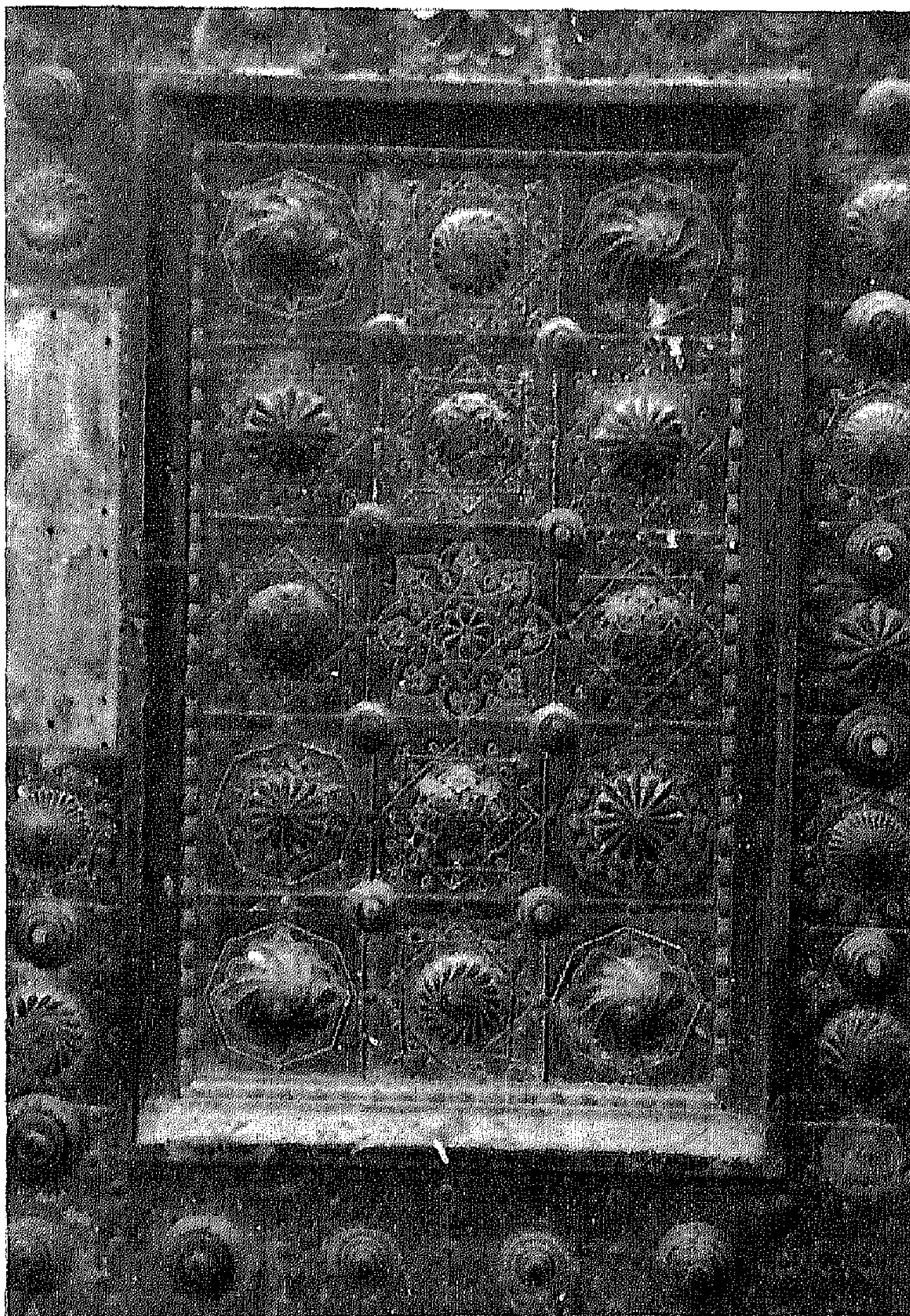
الواجهة الخارجية لباب الجامع الأموي الغربي في سوق المسكيّة

(بعدسة المؤلّف صيف عام ١٩٩٦م)



الباب الغربي للجامع الأموي من الداخل، باتجاه سوق المسكيّة

(بعدسة المؤلّف صيف عام ١٩٩٦م)



من زخارف الباب الغربي للجامع الأموي
(بعدسة المؤلّف صيف عام ١٩٩٦م)

الباب القبلي

وأسماؤه :

١ - باب الساعات : تسمية قديمة انتقلت إلى الباب الشرقي للجامع فانظره

٢ - باب الزيادة : سـمّي بذلك لأنه باب محدث لـم يكن قائمـا عندما كان الجامع كنيسة .

٣ - باب القوّافين : نسبة لسوق القوّافين عنده ، والقوّاف هو صانع النعال وبائعها .

٤ - باب العنبرانيّة : نسبة لسوق العنبرانيين قبالته ، والعنبر نوع من الطيب كالمسْك وما شابه .



الباب القبلي (الجنوبي) للجامع الأموي الذي يفتح في الصاغة القديمة

(بعدسة المؤلّف صيف عام ١٩٩٦م)

أبواب داخلية

١ - باب البرادة، أو باب السنجق أو الصنجق : باب البرادة هي التسمية القديمة للبوابة الرئيسية المنفذة من صحن الجامع إلى حرمه، ولم أتوصّل إلى معرفة معناها، أما السنجق أو الصنجق فهي الأحدث وتنسب إلى الراية التي تُحمل مع المحمل عند أداء فريضة الحجّ وتعرف (بالسنجق).

٢ - باب مقصورة الخطابة : الباب المؤدّي إلى مقصورة الخطابة داخل الحرم.

٣ - باب الخطابة : أنظر باب مقصورة الخطابة.

٤ - باب السرّ (باب الخضراء) : ذكره ابن قاضي شهبة ولم يحدّد موقعه، ويعتقد بأنه الباب المفضي إلى قصر الخضراء والذي يدخل منه الخلفاء الأمويّون من وإلى الجامع دون أن يراهم أحد.

٥ - باب الخضراء : أنظر باب السرّ.

٦ - واكتشف في الجدار الجنوبي للجامع الأموي باب من العهد البيزنطي كان مختفياً خلف النسق الشمالي لسوق القباقبية وتعلوه كتابات كنسيّة يونانيّة تعود إلى أيام كنيسة يوحنّا المعمدان، وقد أزيل هذا النسق في بداية الثمانينات من قرننا حماية للجامع من الحريق الذي قد يشبّ في السوق من جهة، ولكشف جداره الأثري الهام من جهة أخرى.

مروج الذهب للمسعودي ٢/ ٢٦٠

تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٤٧

رحلة ابن جبير ١٨٨

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي ١٣٩

رحلة ابن بطّوطة ٦٥

الدرّة المضيّة لابن صَصْرى ٢٣٢

تاريخ ابن قاضي شهبة مجلّد ٢ جزء ١ ص ٥٤٩

علم الساعات لرضوان بن محمد الساعاتي ٢٢ – ٢٨ –٣٢

رحلة ابن بطّوطة ٦٥

البداية والنهاية لابن كثير، حوادث ٧٥٣ هـ

رسالة (قرّة العيون في أخبار باب جيرون) لابن طولون ٧، ١٨، ٢٤

لطف السمر للغُزّي ٢/ ٥٠٥

المواكب الإسلامية لابن كنّان (الفهارس)

قاموس الصناعات الشاميّة للقاسمي ٣٩٩

الآثار الإسلامية في دمشق لڤاتسنگر ٣٣٢

الجامع الأموي للطنطاوي ١٨

خطط دمشق للمنجّد ١٢٤

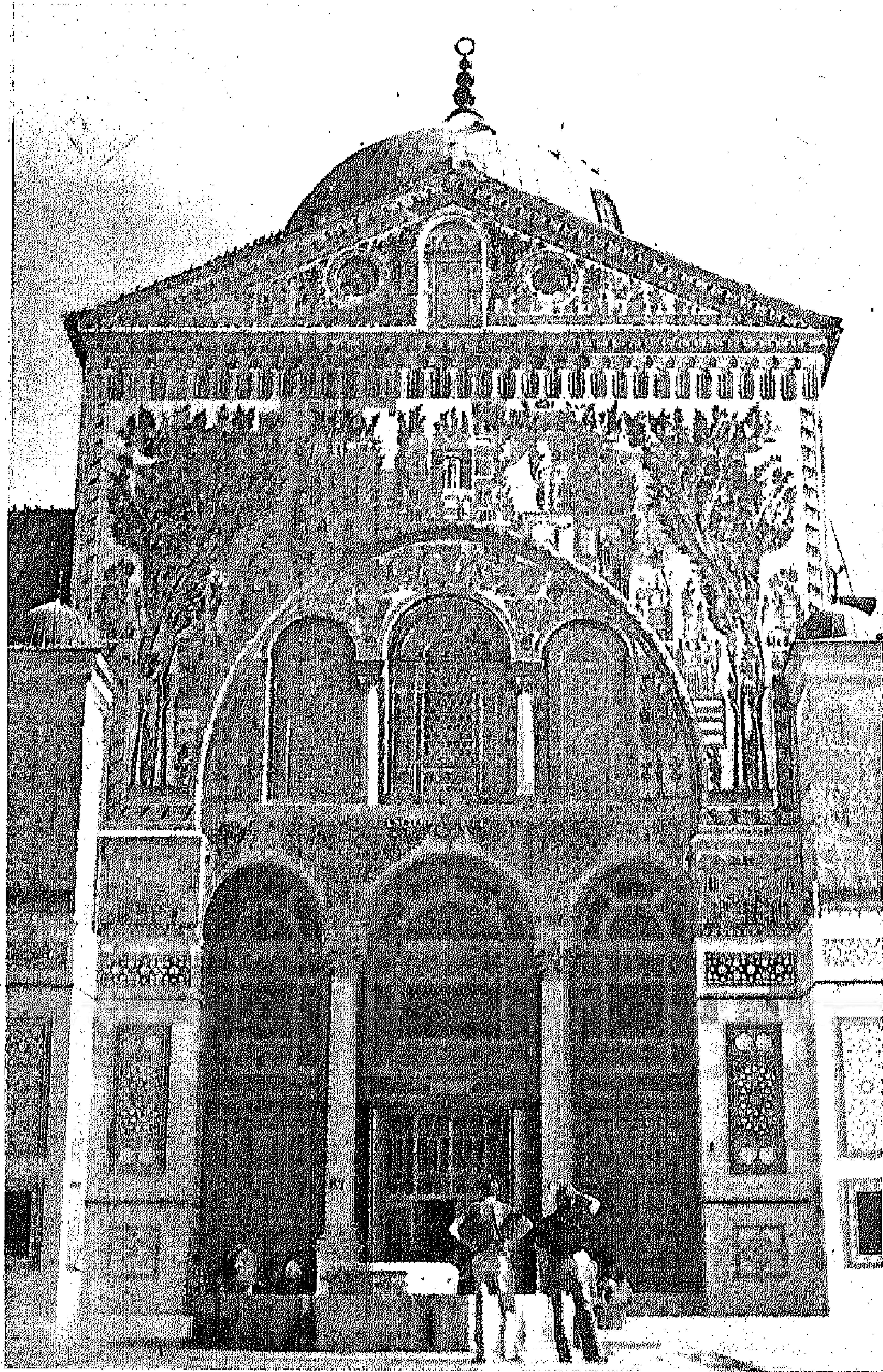
الجامع الأموي للبهنسي ١١٠

رحلة پورتر إلى دمشق عام ١٨٥٠، ١/ ٦٤

آثار سورية القديمة لكلينكل ٩١

أسواق دمشق القديمة للشهابي ٢٠٢

معالم دمشق التاريخية للإيبش والشهابي



باب الزيادة أو باب السنجق .

المؤدّي من صحن الجامع الأموي إلى حرمه



الباب البيزنطي المكتشف في الجدار الجنوبي للجامع الأموي بسوق القباقبية
(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٩٦م)

أبواب قلعة دمشق

باب الحديد
باب السرّ
باب المدينة

قلعة دمشق

شيّدت قلعة دمشق في الزاوية الشمالية الغربية من المدينة القديمة داخل السور، ويحيطها خندق عرضه حوالي (٢٠) متراً، ولها ثلاثة أبواب أشهرها (باب الحديد) في سورها الشمالي، ثم (باب المدينة) وهو الباب الشرقي الرئيسي ويُفتح داخل المدينة في سوق العصرونية الحالي، والباب الغربي المعروف (بباب السرِ) عند جادة السنجقدار، ويذكر البعض باباً آخراً يسمى (باب السرّ الجنوبي) كان قبالة (دار السعادة) لكنه مغطّى بمباني سوق الحميديّة.

بدأ بناء القلعة بعد عام واحد من دخول الأمير (أتسزّ بن أوق) إلى دمشق بعد أن انتزعها من أيدي الفاطميين سنة (٤٦٩ هـ) وأعلن فيها سلطة السلاجقة، وفي سنة (٤٧١ هـ) استنجد بالأمير (تتش بن ألب أرسلان) لإعانته على صدّ الفاطميين الذين حاولوا استعادة السيطرة على المدينة، فما أن دخل الأمير (تتش) المذكور دمشق حتى قتل أتسزّ واستولى على السلطة، وأكمل بناء القلعة وكان أول من أقام فيها. وتعتبر هذه المرحلة (مرحلة القلعة السلجوقية).

وأتسز: هو أقسيس أو أتسز بن أوق الخوارزمي التركماني، المتوفى سنة (٤٧١ هـ)، قدم و جماعته من التركمان إلى الشام مع جيوش السلطان السلجوقي ألب أرسلان لاستخلاصها من أيدي الفاطميين وإعادتها للخلافة العبّاسية سنة (٤٦٣ هـ)، فطرد أتسز الفاطميين من جنوب الشام واستولى على فلسطين، ثم حاصر دمشق أكثر من مرّة حتى استولى عليها سنة (٤٦٩ هـ)، وقتله الأمير تتش سنة (٤٧١ هـ) كما أسلفت. وكلمة أتسز تركية تعني: بلا لحم للدلالة على شدّة النحول.

وتتش: هو تاج الدولة تتش، أبو سعيد› بن محمد ألب أرسلان بن داوود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، آستولى على حكم دمشق سنة (٤٧١ هـ) بعد أن قتل الأمير اتسز كما ذكرت قبل قليل، و قُتل سنة (٤٨٨ هـ). ولا غرابة أن يصف بعض المؤرّخين العصر السلجوقي بأنه صراع الذئاب.

أما القلعة الحاليّة فهي من العهد الأيوبي، وفيه قام الملك العادل بهدم القلعة السلجوقية سنة (٥٩٩ هـ) وأقام في موضعها قلعة أكثر تطوّراً، واستمرّ البناء حتى وفاته.

والملك العادل: هو سيف الدين أبي بكر محمد بن الملك الأفضل نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان، ثاني ملوك الأيوبيين في دمشق، وفيها توفى سنة (٦١٥ هـ) ودفن في المدرسة العادلية.

تعرّضت القلعة إلى كثير من الكوارث في العهود اللاحقة، وتهدّمت بعض أجزائها نتيجة الزلازل والثورات والحروب، خصوصاً في غزوات المغول والتتار، ثم في الصراعات المملوكيّة، والأحداث العثمانية، وقصفتها القوات الفرنسية إبّان عدوانها على دمشق سنة (١٩٤٥م) فتهدّم جزء منها. وفي كل مرّة كانت ترمّم ويبنى ما هُدم منها.

- يقول ابن شدّاد المتوفى سنة ٦٨٤ هـ: (ولهذه القلعة في زماننا أربعة أبواب: باب الحديد. وباب من جهة المدينة [الباب الشرقي]. وباب يخرج منه إلى باب النصر وإلى دار السعادة. وبابٌ من جهة الغرب يخرج منه إلى حكر السمّاق [شارع النصر الحالي] ومنه يركب السلطان، ولها ثلاثة أبواب سرٍّ في الخنادق. وسأشرح كل باب في موضعه.

الأعلاق الخطيرة لابن شدّاد ٣٧ - ٤٠

المواكب الإسلامية لابن كنّان ١/ ٢١٢

الآثار الإسلامية في مدينة دمشق لڤاتسنگر ٣٥٩

دمشق الشام لسوڤاجيه ٣٣، ٤٠ - ٤١

الآثار التاريخية في دمشق لسوڤاجيه ٥٩

ولاة دمشق في العهد السلجوقي للمنجّد ١٧، ١٨

قلعة دمشق للريحاوي

العمارة العربية الإسلامية للريحاوي ١٢١

دمشق تاريخ وصور للشهابي ط٢ ص ٢٣٦

معجم ألقاب أرباب السلطان للشهابي ٣٠، ١٣٩

باب الحديد

الباب الشمالي للقلعة

واحد من أبواب قلعة دمشق الثلاثة في الجهة الشمالية منها، يطلّ على المحلّة التي كانت تعرف باسم (تحت القلعة) وهي اليوم منطقة سوق الهال ومجاوراتها حتى سوق صاروجا.

- ذكر ابن القلانسي (المتوفى ٥٥٥ هـ) باب الحديد في سياق حديثه عن أبواب القلعة في العهد السلجوقي فقال: (ومن اقتراحات شمس الملوك الدالّة على قوّة عزيمته ومضاء همّته ومستحسن ابتدائه ما أحدثه من البابين المستجدّين خارج باب الحديد من القلعة بدمشق الأوسط منها وباب جسر الخندق الشرقي منها وهو الثالث لها أنشأهم في سنة ٥٢٧ هـ).

قلت: إن مقولة ابن القلانسي على غموضها وتشابك معانيها تشير بوضوح إلى أن تسمية باب الحديد كانت شائعة في العهد السلجوقي. لا في عهود متأخّرة كما ذكر البعض.

و شمس الملوك: هو أبو الفتح اسماعيل بن تاج الملوك بوري بن ظهير الدين أتابك، من أتابكة السلاجقة وسلالة البوريين، وصاحب دمشق في العهد السلجوقي سنة (٤٨٨ هـ)، قتل سنة (٥٢٩ هـ).

- وقال ابن عساكر في تعداده لأبواب دمشق: (باب الحديد، من شآمه أيضاً [يقصد على يسار باب الفرج]، وهو الآن خاص بالقلعة التي أحدثت غربي البلد في دولة الأتراك [يعني السلاجقة]، سمّي بذلك لأنه كلّه حديد فقيل الباب، ثم تركت الألف واللام تخفيفاً).

قلت : تشير مقولة ابن عساكر إلى أن هذا الباب كان من أبواب سور دمشق، ومما يؤكّد هذا الطرح عبارتان هما :

١ - ذِكْره للباب في سياق تعداده لأبواب المدينة .

٢ - قوله : وهو الآن خاصّ بالقلعة .

- لكن ابن عساكر خلق لنا مشكلة أشدّ وعورة من غموض مقولة ابن القلانسي عندما قال : (باب الحديد من شآم باب الفرج)، فهل كان يعني إلى يسار الخارج منه أم الداخل ؟ فإذا كان إلى يسار الخارج يكون موقعه إلى الغرب من باب الفوج، وإذا كان إلى يسار الداخل يصبح الموقع بين بابي الفرج والفراديس .

- ويعارض ابن شدّاد مقولة ابن القلانسي فيذكر : (فلما ملك شمس الملوك اسماعيل في سنة سبع وعشرين وخمسمائة جدّد باب الحديد الأوسط، بقلعة دمشق، الذي يُفتح شمالاً) .

- ويورد البدري من علماء القرن التاسع للهجرة في كتابه (نزهة الأنام في محاسن الشام) أن اسم هذا الباب هو : (الباب الجديد) وهو خاص بالقلعة، والذي أحدثه الأتراك في دولتهم [يقصد الدولة السلجوقية] ثم صحّفته العوام بالحديد [أي حرّفت العامّة اسمه إلى باب الحديد] .

قلت : إن مقولة البدري غلط لأن تسمية باب الحديد كانت معروفة منذ بناء القلعة في العصر السلجوقي .

- وفي القرن العاشر للهجرة ذكر ابن طولون الصالحي باب الحديد وقال انه كان مصنوعاً بكامله من الحديد .

- ويحدّد د . الريحاوي موقع هذا الباب فيقول : (وهو ثاني أبواب القلعة الرئيسية، يصلها بخارج المدينة، وللوصول منه إلى داخل القلعة يجب المرور داخل البرج ثم إلى قاعة مستطيلة خلفه حيث يوجد حالياً مسجد أبي الدرداء، كما يذكر

أن سوفاجيه يرى أن باب مسجد أبي الدرداء كان في الأصل الباب الشمالي للقلعة القديمة المسمّى في النصوص التاريخية باسم (باب الحديد)، ثم أصبح بالعهد الأيوبي محجوباً بالقاعة التي أقيمت أمامه).

– ويذكر أيضاً أن هذا الباب تجدّد والقلعة في العهد المملوكي أيام حكم (نوروز الحافظي) سنة ٨٠٩ هـ استناداً للكتابة المنقوشة عنده وهي :

(بسملة – أدخلوها بسلام آمنين، عمّر هذه القلعة
المنصورة مولانا ملك الأمراء نوروز الحافظي أعزّ
الله أنصاره في شهور تسع وثمان مائة).

ونوروز : هو الأمير الكبير سيف الدين نوروز الحافظي، تولى نيابة دمشق في ثاني عشر من شهر صفر سنة (٨٠٨ هـ) ثم عزل، وعاد إليها أكثر من مرّة، وقتل في ربيع الآخر سنة (٨١٧ هـ) ودفن في مقبرة القلندريّة ضمن مقبرة الباب الصغير.

والجدير بالذكر أن تسمية (باب الحديد) تطلق أيضاً على الباب الصغير في منطقة الشاغور.

ولم أتمكّن من مشاهدة هذا الباب خلال بحثي الميداني في القلعة لوقوعه خلف مسجد أبي الدرداء.

ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي، حوادث سنة ٥٢٧

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٢/ ١٨٦

الأعلاق الخطيرة لابن شدّاد ٣٨

الشمعة المضيّة لابن طولون ١١

مفاكهة الخلاّن لابن طولون (الفهارس)

إعلام الورى لابن طولون ٥٨، ٦٠

قلعة دمشق للريحاوي ٢٠، ٢٢٤، ٢٨٤

معجم ألقاب أرباب السلطان للشهابي ٥٦

معالم دمشق التاريخية للإيبش والشهابي

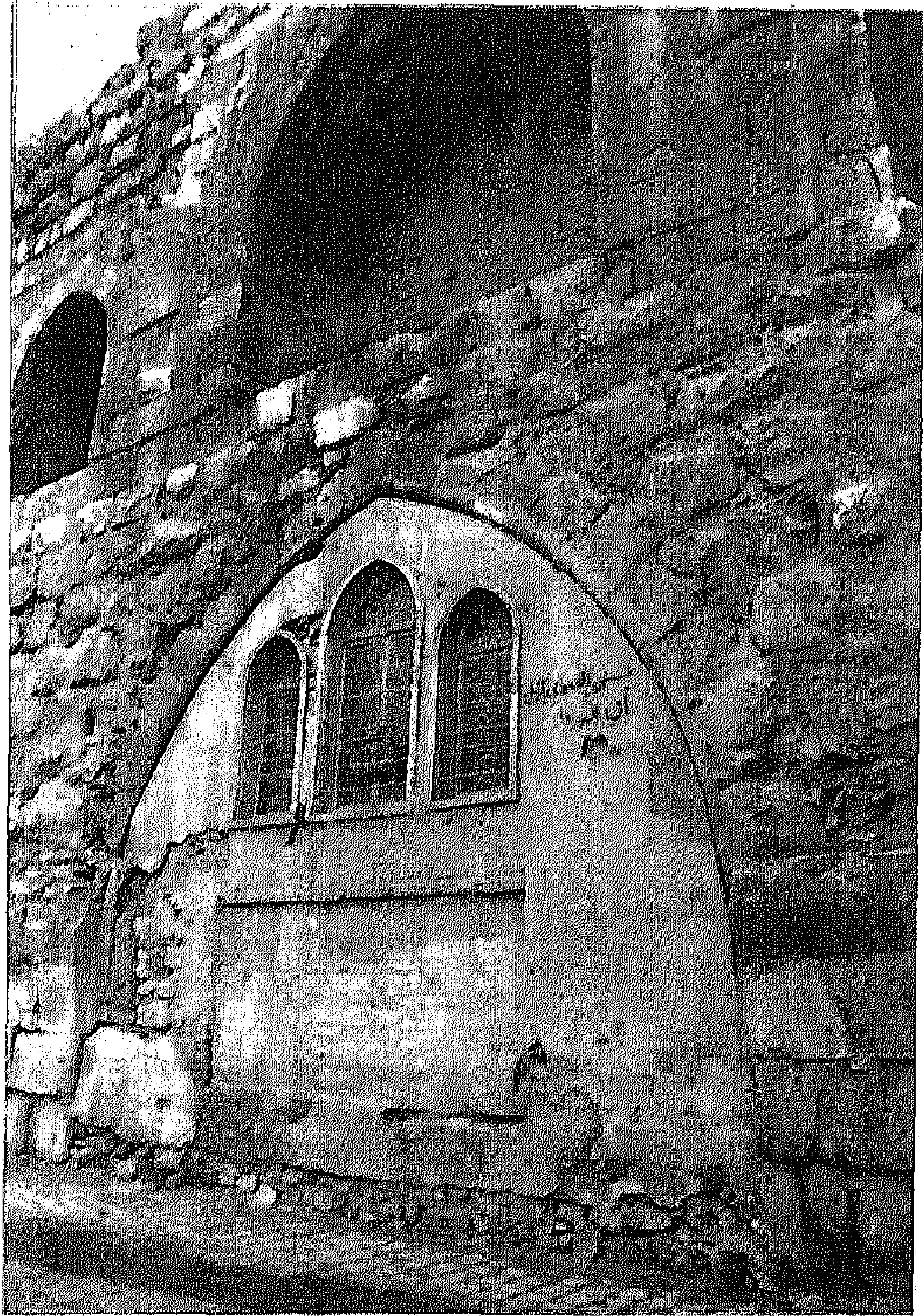


البرج الشمالي لقلعة دمشق المفضي إلى باب الحديد داخل مسجد أبي الدرداء

(بعدسة المؤلّف صيف عام ١٩٩٦م)



باب مسجد أبي الدرداء في الجدار الشمالي لقلعة دمشق والذي
يعتقد (سوفاجيه) بأنه باب الحديد الأصلي للقلعة بينما يعتقد
د. الريحاوي أن المسجد قائم بينه وبين البرج المجاور له.
(بعدسة المؤلّف صيف عام ١٩٩٦م)



جدار مسجد أبي الدرداء في الجبهة الشمالية للقلعة
(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٩٦م)

باب السرّ

الباب الغربي للقلعة

واحد من أبواب قلعة دمشق الثلاثة في الجهة الغربية منها، يفتح إلى منطقة السنجقدار.

- وحول باب السرّ يقول البدري من علماء القرن التاسع للهجرة: (سمّي بذلك لكونه يفتح إلى القلعة أيضاً، وكان الأتراك [يقصد المماليك البحريّة] ينزلون منه سراً، ويطلعون منه، ويجوز الخارج منه على جسر من خشب، من تحته الخندق الدائر بالقلعة، ينيف عمقه على مائة ذراع بالعملة به يتخزّن الماء وينبت البوص وغير ذلك وهو غير خندق المدينة).

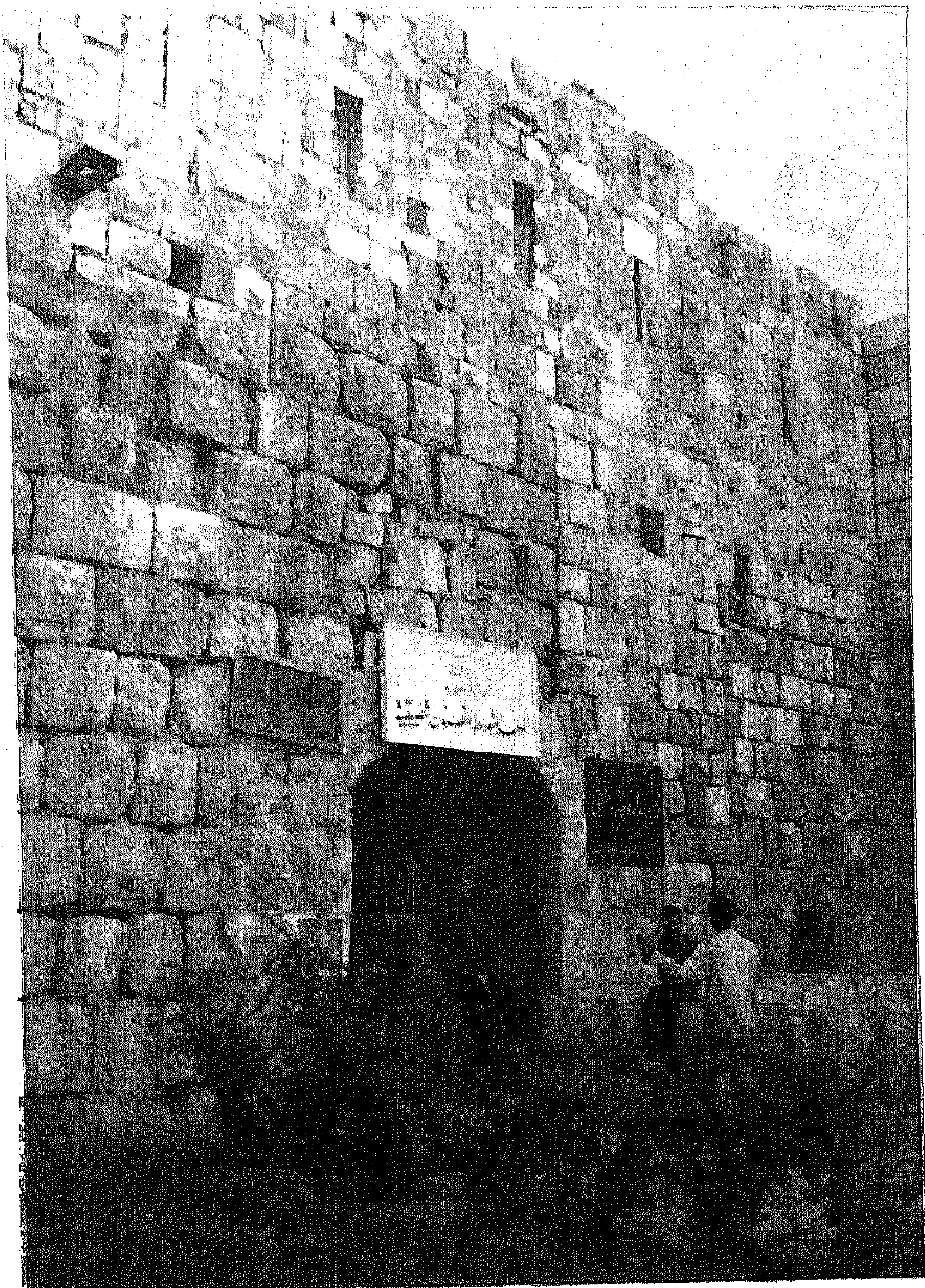
- ويتابع البدري القول: (واصطلح في آخر دولة ابن قلاوون أن من يولّى نيابة دمشق أن يصلّي عند هذا الباب ركعتين مستقبل القبلة، بحيث يبقى الباب على يساره، ويقف أجناد القلعة وأرباب الوظائف والأتراك في منازلهم على حسب العادة متحمّلين السلاح إلى أن يفرغ من صلاته ودعائه، فإن أريد به شرّ قبض عليه ودخلوا به من ذلك الباب، ويقفلون الجسر بينهم وبين أعوانه، فإن الجسر بلوالب يحيل بينهم، وإن أريد به خير، ركب في عزّه، ووجوه الدولة في خدمته إلى أن ينزل بدار العدل التي أنشأها المرحوم نور الدين الشهيد، وهي التي تسمّى اليوم بدار السعادة وهي تلي باب السرور - لم يرد اسم باب السرور في أي مصدر آخر ؟).

وابن قلاوون: هو الملك الناصر ناصر الدين أبي الفتح محمد بن الملك المنصور قلاوون. تاسع سلاطين المماليك البحرية الأتراك، ولد سنة (٦٨٤ هـ) وتولّى سنة (٦٩٣ هـ) وخلع سنة (٦٩٤ هـ) وأرسل إلى الكرك، ثم أعيد للسلطنة

سنة (٦٩٨ هـ)، وفي سنة (٧٠٨ هـ) لجأ إلى الكرك ثانية حتى سنة (٧٠٩ هـ) حين عاد إلى السلطنة ثالث مرّة، وتوفي سنة (٧٤١ هـ).

- ويذكر دهمان في ترجمة نائب الشام الأمير يلبغا اليحياوي: (قدم يوم السبت ٥ جمادى الأولى سنة ٧٤٦ هـ فتسلّم دار السعادة. وفي يوم السبت ١٢ جمادى الأولى خرج الجيش جميعه لتلقّيه، فدخل بأبّهة عظيمة، وجاء إلى باب سرّ القلعة، فقبّل العتبة [الأسكفّة] على العادة، ثم مشى إلى دار السعادة).

مفاكهة الخلاّن لابن طولون (الفهارس)
نزهة الأنام في محاسن الشام للبدري ١٨
المواكب الإسلامية لابن كنّان ١/ ٢١٣
ولاة دمشق في عهد المماليك لدهمان ١٨٨
معجم ألقاب أرباب السلطان للشهابي ١٧٠
معالم دمشق التاريخية للإيبش والشهابي



باب القلعة الغربي الذي كان يعرف بباب السر

(بعدسة المؤلّف صيف عام ١٩٩٦م)

باب المدينة

الباب الشرقي للقلعة

واحد من أبواب قلعة دمشق الثلاثة في الجهة الشرقية منها، وهو الباب الرئيسي الذي يفتح إلى داخل المدينة القديمة في سوق العصرونية الحالي، لذلك عُرف باسم (باب المدينة)، كما لُقِّب أيام السلطان المملوكي الظاهر برقوق بباب النصر الظاهري [وهو غير باب النصر الذي كان في الجهة الغربية من سور دمشق].

- ويذكر ابن شدّاد هذا الباب في سياق حديثه عن تتش بن دقاق في العهد السلجوقي فيقول: (فلما مات، وملك بعده ولده شمس الملوك اسماعيل في سنة سبع وعشرين وخمسمائة جدّد باب الحديد الأوسط، بقلعة دمشق، الذي يُفتح شمالاً، وعمل جسر الباب الشرقي، وعمل جسر خشب في وسطه باب يُفتح، ويُغلق، ويُشال الجسر متى أحب ذلك).

وهو الباب المستعمل للدخول والخروج إلى دار الإمارة مقرّ السلطان أو نائبه، ولقد بني على شاكلة أبواب القصور، لكنه أقلّ حصانة من البابين الآخرين لأنه أقلّ تعرّضاً للهجوم عند الحصار. ويتّجه السير بعد اجتيازه في خطّ منكسر إلى داخل القلعة.

- وعن هذا الباب يقول ڤاتسينگر: (يتألّف المدخل الشرقي للقلعة من باب يبلغ عرضه (٥, ٢٦٦سم) ويقع ضمن إيوان عرضه (٢١, ٤م) وعمقه (٢٠, ٢م) وذلك في الجدار الجنوبي للبرج.

- ويقول د. الريحاوي: (وهو باب القلعة الرئيسي من جهة المدينة [من جهة الشرق]، يقع بين برجين متقاربين بينهما مسافة عشرة أمتار والباب مفتوح في

الجدار الجنوبي للبرج، وتحميه الدفاعات المقامة بالبرجين معاً والبدنة التي تصل بينهما وتتألف هذه الدفاعات من مرامٍ ورواشن عديدة).

- ويتابع الريحاوي وصف هذا الباب فيقول: (باب فخم تزيّنه المقرنصات والحليّات الزخرفية. وهذا الباب مفتوح في إيوان سعته ٤,٢٥ متراً وعمقه ٢,٢٠ متراً، يعلوه قوسان فوق بعضهما من النوع المركّب «المدبّب، المؤلّف من قوسين متلاقيين»، وحجارتها صقيلة النحت على خلاف حجارة جدار البرج البارزة النحت. وفتحة الباب مستطيلة محاطة بإطار من القولبات وله ساكف [عتبة عليا] من قطعة واحدة من الحجر عليها شريط نافر النحت يؤلّف خطوطاً منكسرة، ويعلو الساكف قوس عاتق قليل الإرتفاع، مؤلّف من حجارة متداخلة ومفصّصة. وفوق ساكف الباب كتابة نقشت في العهد المملوكي، وهي مؤلفة من سبعة أسطر وتتضمّن مرسوماً سلطانياً بشأن خزائن السلاح، صدر في سنة ٧٨١ هـ. كما نقش على جانبي إيوان الباب نصّ آخر يتضمّن تاريخ فتح القلعة سنة ٧٩٤ هـ من قبل السلطان الظاهر أبوسعيد برقوق، ويسمّى هذا الباب في هذا النص بباب النصر).

وفيما يلي نصّ النقشين:

١ - النقش فوق ساكف الباب:

(بسملة - لمّا كان بتاريخ مستهلّ شهر شعبان المكرّم سنة إحدى وثمانين
وسبعمائة ورد مرسوم شريف شرّفه الله تعالى وسبحانه على المقر
الأشرف المخدومي السيفي كمشبغا المنصوري كافل المملكة الشريفة
الشاميّة المحروسة أعزّ الله أنصارها تاريخه حادي عشرين جمادى
الأخرة سنة تاريخه ومضمونه المرسوم بالأمر الشريف العالي السلطاني
الملكي المنصوري العلائي أعلاه الله تعالى وشرفه أن يبطل كلما استجدّ

على مال خزائن السلاح المنصورة المقرّر على الجامع بدمشق المحروسة من مرتّب وغيره وأن تحمل الأمر على حكم المراسيم المكرّمة قبل تاريخه بذلك، وأن لا ينصرف لأحد من خلق الله تعالى الدرهم الفرد سوى الجزء بابتياع من السلاح والأصناف والآلات برسم خزائن السلاح المنصورة وجامكية مباشريها وأن يستعاد ما حدث خلاف ذلك لاستيفاء سنة إحدى وثمانين وسبعمائة ممن قبضه ويحمل إلى خزائن السلاح ليصرف في ثمن ابتياعاتها يكون ملعون ابن ملعون من يتعرّض ذلك بشيء حسب المرسوم الشريف بالإشارة العالية الأتابكيّة السيفيّة برقوق المنصوري عزّ نصره وذلك في أيام المقرّ الشريف المخدومي الزيتي زبالة الفارقاني عزّ نصره).

والجامكيّة: لفظ فارسي مشتقّ من جامة بمعنى اللباس، أي نفقات أوتعويضات اللباس الحكومي، وقد ترد أحياناً بمعنى الأجر أو الراتب أو المنحة، وجمعها: جامكيّات، جوامك، جماكي.

٢ - النقش على طرفي الباب:

آ - في الجهة اليمنى:

(بسملة - فُتحت هذه القلعة المنصورة وملكت لمولانا وسيدنا المعظّم الملك الظاهر أبي سعيد برقوق حفظه الله الإسلام والمسلمين ببقائهوبقاء دولته الشريفة نهار الإثنين السادس والعشرين من صفر المبارك سنة أربع وتسعين وسبعمائة على يد المعزّ الأشرف السيفي تمر بغا المنجكي).

ب - بقية النص في الجهة اليسرى :

(حاجب الحجّاب بالشـام المحروس أعزّ الله تعالى أنصاره
والمقرات العالية السـادة الأمراء شيّد الله عضد هذه الدولة
الشـريفة بهم لقّب هذا الباب بباب النصر الظاهري وكتب
في التاسع والعشرين من صفر سنة أربع وتسعين وسبعمائة
أحسن الله تعالى عافيته والحمد لله وحده).

والظاهر برقوق: هو الملك الظاهر سيف الدين أبي سعيد برقوق بن أنص أو أنس العثماني، أول من تسلطن في مصر والشام من المماليك البرجية الشراكسة، ولد سنة (٧٣٨ هـ) وتولّى سنة (٧٨٤ هـ) وخلع سنة (٧٩٠ هـ) ثم تولّى ثانية سنة (٧٩٢ هـ) وتوفي سنة (٨٠١ هـ).

- وذكر الرحّالة البرتغالي سيباستيان مانريكة هذا الباب سنة (١٦٤٠م) في أوائل العهد العثماني وقال: (ولقلعة دمشق عدّة أبواب، المستخدم منها واحد فقط هو الشرقي، يُعبر إليه على جسر خشبي يمكن رفعه عند الضرورة بسلاسل حديدية ضخمة).

ولم أشاهد الباب خلال بحثي الميداني لاختفاء واجهته خلف حوانيت سوق العصرونية.

الأعلاق الخطيرة لابن شدّاد ٣٨

الشمعة المضيّة لابن طولون ٣

رحلة مانريكة ٢/ ٣٧٨

الآثار الإسلامية في مدينة دمشق لڤاتسنكر ٣٧٠

قلعة دمشق للريحاوي ٢٠٠، ٢٨٣

معجم ألقاب أرباب السلطان للشهابي ١٣٤



البرج المتوسّط الشرقي لقلعة دمشق وفي واجهته الجنوبية كان باب المدينة لكنه اليوم مغلق ولا وجود له.

(بعدسة المؤلّف من الشمال إلى الجنوب صيف عام ١٩٩٦م)

أبواب وبوّابات داخل السور وخارجه

باب الآغا

باب الخوّاصين

باب السريجة

باب المصلّى

باب الهوى

بوّابة الآس

بوّابة زقاق البرغل

بوّابة الشويكة

بوّابة الصالحية

بوّابة عين الكرش

بوّابة الله

أبواب الأحياء والحارات وبوّاباتها

كانت أحياء دمشق في عصورها السابقة المختلفة مقسّمة إلى وحدات ومجموعات سكنية موزّعة على أساس النسب أو الدين أو المهنة، كأحياء الآراميين حول معبد (حدد) وفي منطقة الشاغور، والحي اليوناني في منطقة الجورة، وحي الأنباط داخل الباب الشرقي الذي كان يعرف بالنيبطون، ثم الأسواق التخصّصية بصنع أو بيع سلع معيّنة كسوق المناخليين والبزوريين والعلبيين والأقباعيين وعشرات غيرها إلى جانب الأسواق الرئيسية الكبيرة. وكانت الحارات والأزقّة والدخلات ضمن كل حي تشكّل وحدة متكاملة لها حمّاماتها وسويقاتها وأماكن العبادة فيها، ومن الطبيعي أن يكون لكل من هذه الأماكن نظام أمني يحميها من غارات اللصوص والأشقياء والمعتدين، فكان أن جُعل لكل منها (بوّابة) تفتح أثناء النهار وتغلق في المساء أو عند توقّع الخطر. وهكذا تصبح المدينة بكاملها أشبه بمدن صغيرة ضمن المدينة الأكبر.

- ويذكر ابن طولون ضمن أحداث سنة (٩٢٦ هـ) في بدايات العهد العثماني مواضع بعض الأبواب دون أن يسمّيها فيقول: (وفيها - يقصد سنة ٩٢٦ هـ هم النائب [جان بردى الغزالي] في عمل بوّابات خارج دمشق، وكان قد فرغ من عمل بوّابة شرقي جامع تنكز وحمّامه، الذي خرّبه في هذه الأيام، وجعله بستاناً مع البيوت دائرة، وجعل عليها جلد جاموس، منها بوّابة غربي الجامع المذكور، متّصلة بجداره القبلي، ومنها بوّابة قبلي حمّام الناصري بالقرب من بابه، وجعل لها مرامي، ومنها بوّابة شمالي جامع يلبغا وبيت الجلالة، ومنها بوّابة قبلي جامع الحاجب بسوق صاروجا، ومنها بوّابة شمالي جامع جرّاح، متّصلة بتربة يزيد،

وغير ذلك. وزعم النائب أن السبب في بناء هذه البوّابات التضييق على الحراميّة، التي كثرت في هذه الأيام، وقال: أنا ضيّقت عليهم البرّية، وقصدي أن أفعل ذلك بدمشق، وقيل غير ذلك).

- غير أن مشكلة تحديد مواقع هذه البوّابات أو الأبواب الآن تبقى من المشاكل الكبرى التي تواجه الباحث في ظل غياب الوثائق الطبوغرافية التي تحدّد مواقعها، كما أن المصادر التاريخية لا تسعفنا بمعلومات دقيقة حول أماكنها، وفي عتمة هذا الخضمّ من المجاهيل المعلوماتية لا بدّ من الاعتماد على أمور ثلاثة:

أولهما: التخمين، إنطلاقاً من معلومة صغيرة مدفونة في بطون الكتب يمكن أن تشير ولو بهمسة إلى موقع أو موضع أو مكان.

ثانيهما: قانون الإحتمالات، ويعتمد على تقاطع المعلومات الواردة في المصادر التاريخية المختلفة، ثم الإنتقاء الأمثل للمقولة الأقرب إلى المنطق والعقل.

ثالثهما: روايات المسنّين الذين شاهدوا الموقع أو سمعوا عنه من أسلافهم.

- وهناك معضلة أخرى تواجهنا وتتلخّص في احتمال عدم وجود تلك البوّابات أصلاً، وفي هذه الحالة تكون التسميات قد أطلقت من باب المجاز، (فبوّابة الله) في آخر حي الميدان جنوباً تسمية مجازيّة أطلقت على هذا الموضع لأن موكب الحج والمحمل يغادران المدينة عنده باتجاه بيت الله الحرام، وكذلك تسمية (بوّابة أو باب مصر) وهي نفسها بوّابة الله، سمّيت بذلك لأن الخارج منها يتوجّه إلى مصر، ثم (بوابة الصالحيّة) لأنها تؤدي إلى قرية الصالحية في سفوح قاسيون الجبل. ولا وجود لهذه البوّابات أو لما يشير إلى مواضعها اليوم. ويشذّ عن هذه القاعدة (باب الجابية) فهو الوحيد القائم إلى اليوم والذي قيل بأن الخارج إلى قرية الجابية يخرج منه، وهو تفسير غلط (أنظر باب الجابية).

- كما أن تسميات بعض البوّابات تُستقى من أسماء المواقع القائمة عندها،

(كبوابة عين الكرش) في الطرف الشمالي لحي عين الكرش، و (بوّابة العمارة) عند الطرف الجنوبي لحي العمار البرّانية، و (بوّابة زقاق البرغل) في زقاق البرغل داخل باب الجابية والتي ما زالت قائمة حتي الساعة، و(باب الدحداح) عند مقبرة الدحداح وغيرها.

- وتختلط التسميات ببعضها بين النسبة للموقع والمجاز عند معظم المؤرّخين، فعلى سبيل المثال لا الحصر يرد ذكر(باب الميدان) وقد يعني: بوّابة الله في الحدّ الجنوبي، أوقد يعني مدخل الميدان من جهة السويقة في الحدّ الشمالي.

- وهناك أبواب وهمية تنسب إلى مَعْلَم قائم في ذلك الموضع، (كباب المصلّى) المنسوب إلى جامع مصلّى العيدين في حي الميدان التحتاني، و(باب مسجد الأقصاب) نسبة لجامع مسجد الأقصاب القائم في تلك المحلّة والتي يطلق عليها اسم (مزّ القصب).

- وثمّة أسماء غامضة المعنى محيِّرة (كباب السريجة) قبالة باب الجابية من جهة الغرب، و(باب الهوا) قرب السرايا في محلّة الدرويشية اليوم، و(باب جبّ الهريشة) في الجامع الأموي الذي ذكره ابن طولون في المفاكهة.

- وقد تُسمّى بعض الأبواب بأسماء حُرْفة أو صنعة أو مهنة، (كباب الكلاّسة) في الجامع الأموي نسبة لصناعة الكلس التي كانت قائمة خارجه، و(باب المسكيّة) في نفس الجامع نسبة إلى صنّاع المسك وباعته عنده، و(باب سوق البصل) بمحلّة قبر عاتكة وهكذا.

- ومن التسميات ما كانت تنسب للجهة، (كالباب الشرقي)، و(الباب الغربي) وغيرهما.

- وتحمل بعض الأبواب أحياناً أكثر من اسم، كالباب الصغير ويعرف أيضاً باسم (باب الجابية الصغير) و (باب الحديد) و(باب الشاغور). وكذلك

أبواب الجامع الأموي وغيرها، وسأذكرها بالتفصيل في مواضعها.

- وفي خارطة مطبوعة في باريزأيام الإنتداب الفرنسي على سـورية، عيّن E. G. Rey مواقع بعض الأبواب خارج السور بشكل دقيق، وسأورد ذكرها في مواضعها أيضاً.

مفاكهة الخلاّن لابن طولون ١/ ١٠١، ١٠٧ - ٢/ ١٠٠

حركات العامّة الدمشقيّة لحنا ٢٠٧

باب الآغا

موضع غربي سوق الهال، بين سوق ساروجة وشارع الملك فيصل

ورد ذكر (باب الآغا) في مصادر العهد العثماني المتأخّر، فقد أشار إليه عبد العزيز العظمة في كتابه (مرآة الشام) ضمن حديثه عن الينابيع بدمشق فقال: (عين الباشا في باب الآغا)، وفي موضع آخر ذكر أن باب الآغا وسوق الآغا في محلّة تحت القلعة من ثُمْن سوق ساروجة.

كما ورد الاسم في خريطة شرطة دمشق الصادرة خلال السنوات ١٩٢٢ - ١٩٢٤م، وموضعه إلى الغرب المجاور لخان البطّيخ، وورد فيها أيضاً اسم (زقاق باب الآغا) ويمتد بين سوق ساروجة قبالة زقاق داود آغا [أو داور آغا] وخان البطّيخ.

والآغا: لقب تركي بمعنى السيّد أو الآمر أو الأخ الكبير، وأطلق على ضبّاط الإنكشارية ورؤساء الخدم والأتباع، كما أطلق على رؤساء القبائل والعشائر والمتنفذين من الأكراد، ولا زال شائعاً إلى اليوم.

قلت: لا أستطيع الجزم فيما إذا كانت هناك علاقة بين اسم باب الآغا واسم زقاق داود آغا [أو داور آغا] الواقع على امتداده نحو الشمال، لأن كلمة الآغا تشكل بينهما قاسماً مشتركاً، غير أنني لم أتوصل إلى ترجمة لهذا الآغا، ولا بد أن يكون أحد المتنفّذين من سكّان الزقاق حتى عرف به.

وقد زالت المحلة إثر تنظيم المنطقة وفتح شارع الثورة في بداية الثمانينات.

مرآة الشام للعظمة ٣٢، ٤٦، ٦٣

خارطة شرطة دمشق ١٩٢٢ - ١٩٢٤

معجم ألقاب أرباب السلطان للشهابي ٢٠

باب الخوّاصين

عُرِف القسم الجنوبي لسوق الخيّاطين الحالي في العهد المملوكي باسم (الخَوَّاصين) وكان يمتدّ بين القبّانين (بجوار مدخل زقاق المحكمة اليوم) والطوّاقين وهم في الحدّ الجنوبي للخيّاطين قبل أن يُفتح في سوق مدحت باشا. كما عُرِف أيضاً باسم (خطّ الخوّاصين).

والخوّاص هو من يصنع من الخوص وهو ورق النخيل قفصاً أو حصيراً، وهو أيضاً من يزيّن الأشياء بصفائح الذهب.

ولا نعرف اليوم موقع هذا الباب على وجه الدقّة، غير أن ابن قاضي شُهْبَة يعطينا بعضاً من الضوء في سياق حديثه عن نائب السلطنة المملوكية تاأمير تنكز فيقول: (عمّر تربة زوجته عند باب الخوّاصين وإلى جانبها رباطاً للنساء).

قلت: يستدلّ من قول ابن قاضي شُهْبَة أن الباب كان بين الخوّاصين والتربة الكوكبائية في زقاق المحكمة الآخذ من سوق الخيّاطين إلى الغرب، أنشأها الأمير تنكز لزوجته (الخَوَنْدَة ستيتة) المتوفاة سنة ٧٣٠ هـ والدفونة فيها، وهي ابنة الأمير سيف الدين كوكباي المنصوري، ومن اسمه جاءت تسمية هذه التربة بالكوكبائيّة.

ولا وجود للباب اليوم.

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٢/ ٢٢١

تاريخ ابن قاضي شهبة مجلّد ٢ جزء ١ ص ٢٦، ١٤٩

أسواق دمشق القديمة للشهابي ١٧٨

باب السريجة

حي إلى الغرب من ساحة باب الجابية، بين القنوات وقصر حجّاج

ورد أول ذكر لحي (باب السريجة) في مؤلّفات العهد المملوكي عند البصروي وابن عبد الهادي وابن طولون، مما يؤكّد على نشوئه في ذلك العهد خصوصاً وأن الضاحية الجنوبية لدمشق خارج السور نشأت في تلك الفترة.

ولم يفسّر أحد من المؤرّخين معنى اسم (السريجة)، كما لم يرد في المعاجم العربية أي ذكر له، بل وردت كلمة (شريجة) بمعنى: الجوالق والغرارات، وتجمع بالعامية على (سرايج) وهي ضرب من القفف الكبيرة تصنع من سعف النخل أو من بعض الحشائش العريضة كالخوص، وتستعمل لنقل الحجارة والتراب وكل ما ثقل وزنه.

وفي تفسير الإسم احتمالان:

١ - أن تكون اللفظة من العاميّة الدمشقية بعد أن أقلبت فيها الشين سيناً للتخفيف: شريجة = سريجة، ومثل هذا التخفيف كثير الورود في دمشق، كقولهم: سوق ساروجة بدلاً من سوق صاروجا، وتيِّب بدلاً من طيِّب، تَوِّل بالك عوضاً عن طَوِّل بالك، ونِتْلَع بدلاً من نطلع، وهكذا.

٢ - أن تكون محرّفة عن السريانية (سريگتا) وبالعربية: شريجة كما أسلفت، أو من (سْرِيگا) بمعنى: شائك، ومنها (أُرْحَا سْرِيگا): الطريق الشائك.

أما إطلاق اسم باب على هذه المحلّة فيحتمل تأويلين:

أولهما: بمعنى نهاية أو طرف أو آخر المحلّة، وليس من الضروري وجود باب حقيقي في هذا الموضع، تماماً كما هو الحال في باب الله أو باب مصر في آخر

حي الميدان الفوقاني والذي يطلق عليه الاسم مجازاً.

ثانيهما: وجود بوّابة فعليّة في ذلك الموضع، خصوصاً وأن الأحياء والحارات الدمشقية كانت تُزوّد بالأبواب أو البوّابات التي تفتح وتغلق في أوقات محدّدة لحماية تلك المناطق من اللصوص وغيرهم.

قلت: ومما يؤكّد هذا الاحتمال (بتحفّظ) وجود خارطة فرنسية مطبوعة في باريز أيام الإنتداب، وضعها E. G. Rey وعيّن فيها موقع باب السريجة إلى الغرب من جامع زيد بن ثابت الأنصاري الحالي الكائن قبالة الطرف الجنوبي الغربي لسوق باب السريجة.

ومن المستحيل التأكد من وجود مثل هذا الباب أو عدم وجوده اليوم، وتبقى القضيّة معلّقة لحين العثور على مصدر أو مخطوط يوضّح هذا الغموض.

ولا وجود للباب في هذا الموضع اليوم.

تاريخ البصروي ٢٣١

رسالتا الأسواق والخانات لابن عبد الهادي

القلائد الجوهريه لابن طولون ١/ ٩٢

مفاكهة الخلاّن لابن طولون (الفهارس)

إعلام الورى لابن طولون (فهارس)

موسوعة حلب المقارنة للأسدي ٤/ ٣٤٤

قاموس اللباب (سرياني عربي) للقرداحي ٨٣٦

معالم دمشق التاريخية للإيبش والشهابي

باب المصلّى

محلّة في حي الميدان التحتاني

الاحتمال الأكبر في إطلاق اسم (باب المصلّى) أن يكون من قبيل المجاز - كما هو الحال في باب الله أو باب مصر - نسبة لجامع مصلّى العيدين القائم في تلك المحلّة، والذي يعتقد بإنشائه في العهد السلجوقي بدلالة حاجز خشبي ثمين عثر عليه فيه وهو مؤرّخ سنة (٤٩٧ هـ)، ولكنه قد يكون منقولاً إليه من مكان آخر. كذلك من المحتمل أن أطلاق الإسم كان نتيجة وجود باب أو بوّابة حارة كانت معبراً للقوافل في هذا الموضع، ولا أستطيع الجزم بذلك.

- والاحتمال الآخر كون التسمية نقطة علاّم، كقول أحدهم: سألاقيك عند باب المصلّى، والأصل فيها عند باب جامع المصلّى، ومع الأيام أهملت كلمة جامع وصارت باب المصلّى، ثم شاعت على كامل المحلّة وما تزال.

أما تسمية (جامع مصلّى العيدين) فأطلقت نسبة إلى كونه مسجداً يؤدّي فيه الحكّام والعلماء والأعيان صلاة عيدي الفطر والأضحى.

جدد هذا الجامع في العهد الأيوبي سنة (٦٠٦ هـ) أيام الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب، ثم في العهد المملوكي سنة (٧٤٠ هـ)، كذلك جُدِّد في العهد العثماني سنة (١٢١٧ هـ).

وتلفظ العامّة من الناس الاسم: (باب مْصَلّى). ولا وجود لأي باب بتلك المحلّة في أيامنا.

الإعانات على معرفة الخانات لابن عبد الهادي ٥٣

دمشق تاريخ وصور للشهابي ط٢ ص ٣٠٧

أسواق دمشق القديمة ٤٣٠

معالم دمشق التاريخيّة للإيبش والشهابي

باب الهوى

في محلّة الدرويشيّة قبالة سرايا الحكم التي كانت تعرف بـ (دار السعادة)

أشارت مصادر العهد المملوكي إلى سوق في محلّة الدرويشية الحاليّة كان يعرف باسم (سوق الهوى أو الهوا).

وقد حدد ابن عبد الهادي (المتوفى ٩٠٩ هـ) موقعه بقوله: (سوق الهوى عند باب دار السعادة، يباع فيه آلة الخبل). ثم تلاه في ذكر تسميته ابن طولون (المتوفى ٩٥٣ هـ) دون الإشارة إلى موضعه.

وفي حوادث سنة (١١١٨ هـ) من العهد العثماني ورد ذكر هذا الباب عند ابن كنّان الصالحي (المتوفى ١١٥٣ هـ) بقوله: (خرجوا من باب الهوى من السرايا)

قلت: توحي مقولة ابن كنان ذات السبك اللغوي الضعيف إلى أن هذا الباب من أبواب سرايا الحكم (دار السعادة) التي كانت في سوق الأروام إلى الجنوب القريب من قلعة دمشق - كما قد يفهم البعض، وهو خطأ واضح لأن تسمية باب الهوى تعود على السوق لا على أحد أبواب السرايا.

ولا وجود للسرايا اليوم، ولا للباب أو السوق.

رسالة نزهة الرفاق لابن عبد الهادي (السوق رقم ٦٠)

مفاكهة الخلاّن لابن طولون ١/ ١٥٠

الحوادث اليوميّة لابن كنّان ص ١١٨

بوّابة الآس

موضع في العمارة البرّانيّة عند (الخانقاه النحاسيّة) المعروفة بجامع النحّاسين قرب الطرف الجنوبي لمقبرة الدحداح.

أطلقت التسمية على هذا الموضع نسبة إلى نبات الآس Myrtle، وهو جنس شجيرات حراجيّة دائمة الخضرة تعرف بالعاميّة الدمشقية باسم (حَبْلاس) وثمرها يؤكل كنوع من النقول، وتستعمل لتزيين شواهد القبور عند زيارتها صباح عيدي الفطر والأضحى (العيد الصغير والعيد الكبير).

قلت: لعل تسمية (بوابة الآس) نشأت نتيجة زراعة أو بيع هذا النبات في ذلك الموضع. أو لعلها تورية لطيفة بديلة عن تسمية بوابة مقبرة الدحداح.

ذيل ثمار المقصد لطلس ٢٥٧

موسوعة حلب المقارنة للأسدي ١/ ١٥

معالم دمشق التاريخيّة للإيبش والشهابي

بوّابة زقاق البُرغل

في سوق النسوان داخل باب الجابية، بين سوق القطن وجادّة البدوي

تعتبر بوّابة زقاق البرغل نموذجاً لبوّابات الحارات والأزقة في دمشق في العهد العثماني، وتتألّف من باب كبير من الخشب المصفّح بصفائح ومسامير معدنيّة، وبضمنه باب صغير واطىء ومنخفض يعرف باسم (باب خُوخَه) وهو الذي يُفتح لمرور الراجلة من الناس عند إغلاق الباب الأكبر في الليل أو في حالات اضطراب الأمن في المدينة، وعلى المارّ منه أن يحني هامته كي يستطيع المرور من خلاله، كما أنه لا يتّسع لمرور أكثر من شخص واحد لضيقه وانخفاضه.

البُرْغُل اسم شائع بدمشق وبلاد الشام عموماً (والكلمة ذات أصل تركي Bulgur)، يُطلق على جَرِيش القمح المحمّص إما خشناً أو ناعماً، ويُطبخ كالأرزّ إلى جانب الخضار، ويعتبر غذاء رئيسياً للأسر الريفية وبديلاً عن الأرزّ (الرزّ بالعامية) الذي كان رمزاً للرفاهية قديماً لغلاء ثمنه لكونه مادة مستوردة لا تُزرع في بلاد الشام. حتى أن مقولة شعبية اطلقت بهذه المناسبة: «العزّ للرز والبرغل شنق حاله». ومن المآكل الشهيرة الأخرى التي يدخل البرغل في تركيبها: الكبّة والتبّولة.

وأما سبب تسمية الزقاق بهذا الاسم فلم نقف عليه بشكل جازم، إلا أنه من الواضح أن الزقاق المذكور كان ذا صلة بتجارة البرغل، فإما أن سوقاً لبيعه كانت هناك، أو أن مطحنة لجرشه (طاحونة برغل) كانت في المحلّة المذكورة؟ ومما قيل لنا بالفعل أن بعض سكّان هذا الحي كانوا يأتون بالبرغل من طاحونة السجن القريبة

ويبيعونه في الزقاق المذكور، حتى غلب عليه الاسم.

والتسمية ترد على الزقاق المذكور منذ أوائل القرن، كما في خريطة شرطة دمشق (١٩٢٢- ١٩٢٤)، ونظن أن الإسم أقدم من ذلك بعدّة عقود أو ربما قرون، من أواخر العهد العثماني غالباً. هذا لأن التسمية لم نجدها في المصادر القديمة حتى العهد العثماني.

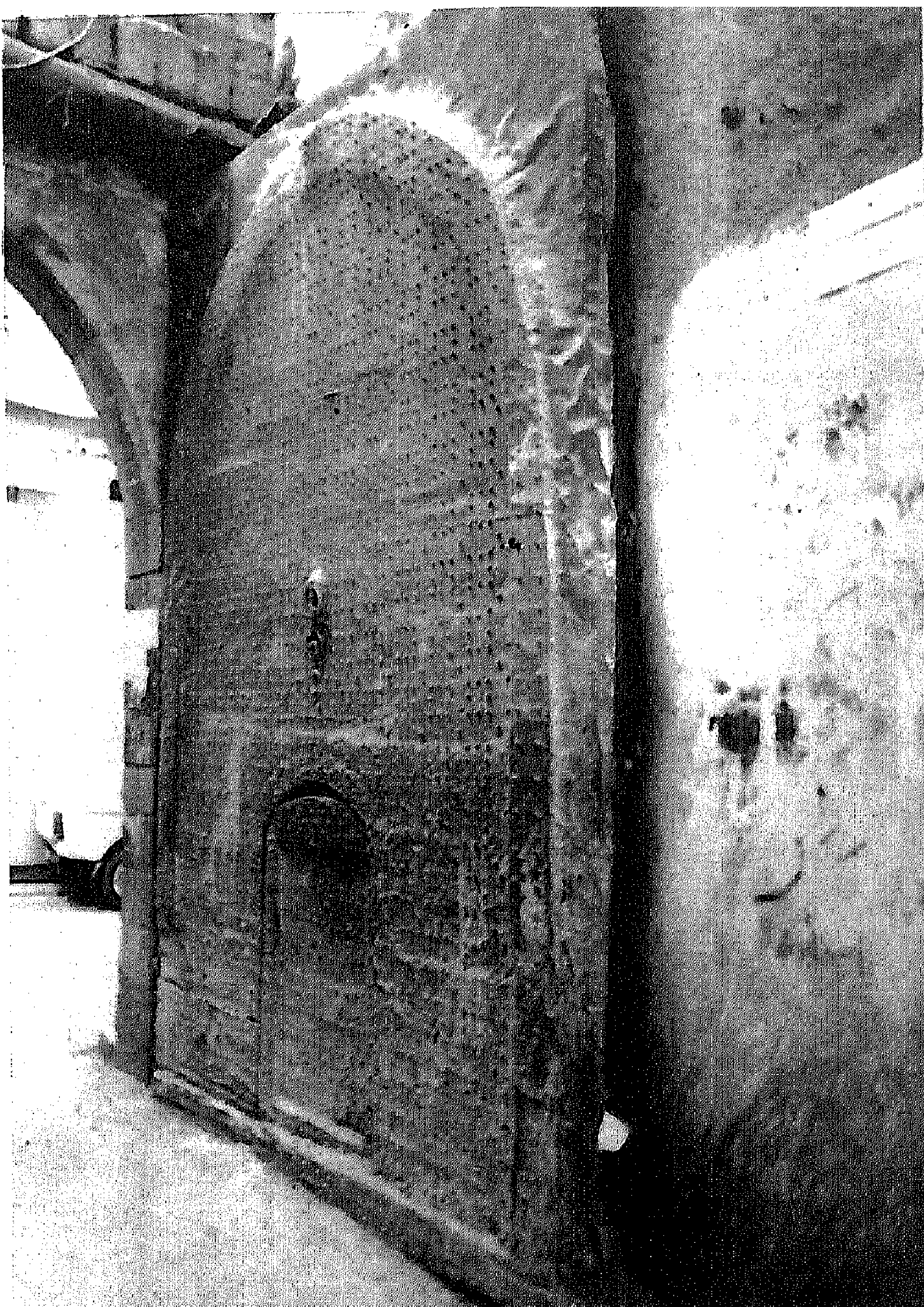
ولا تزال البوّابة قائمة إلى يومنا هذا في مدخل الزقاق الذي أصبح سوقاً (للبالة) بدلاً من البرغل.

ذيل كتاب الطبيخ للبارودي ٩٠

مرآة الشام للعظمة ٥١

معالم دمشق التاريخيّة للإيبش والشهابي

بحث ميداني للمؤلّف



بوابة زقاق البرغل داخل باب الجابية من العهد العثماني، وتتألّف من الخشب المصفّح بالبرونز والمسامير الحديدية، وفي قسمها السفلي باب صغير يعرف باسم (باب خوُخَهْ) وقد تحدثت عنه في النص

(بعدسة المؤلّف صيف عام ١٩٩٦م)

بوآبة الشويكه

حي قبلي باب السريجة

كانت التسميةالأصلية للمحلّة : (الشويكي)، وهي محلّة نسبت إلى البوابة كما يبدو، ثم تحرّف الاسم إلى (الشويكة).

وقد ورد ذكر الشويكة في حوليات ابن اللبّودي ببدايات القرن التاسع للهجرة.

ويقال بأن هذا الحي قد قام على أطلال قرية يمانية داثرة كانت تعرف باسم «الحميريين». وقيل بأن هذه القرية الداثرة كانت محلّة يظاهر دمشق على القنوات بطريق كفرسوسية.

ومن غير المعروف موقع تلك البوآبة، ولا وجود لها اليوم.

ذيل ثمار المقاصد لطلس ٢١٠، ٢١٧
حوليات دمشقية لابن اللبّودي ١٥٢
غوطة دمشق لكرد علي ط٣، ١٦٨ - ١٦٩

بوّابة الصالحيّة

ساحة بين البرلمان وشارع بور سعيد، عند الطرف الغربي لسوق صاروجا

سمي هذا الموضع نسبة إلى قرية الصالحية في سفوح جبل قاسيون الجنوبية لأن الخارج منه يخرج إليها، وذلك قبل أن يمتد العمران بينهما وتصبح هذه حياً من أحياء المدينة، كما شاع الاسم على الطريق الآخذ منه إلى ساحة الجسر الأبيض وصار يعرف باسم (طريق الصالحيّة) وفي بعض الأحيان (جادّة الصالحية). ويطلق على هذه الساحة اليوم رسمياً اسم (ساحة يوسف العظمة).

أما اسم البوّابة فهناك احتمال أنه كانت في هذا الموضع بوّابة حقيقية لحماية محلّة سوق صاروجا التي نشأت في العهد المملوكي، شأنها في ذلك شأن بقيّة بوابات أحياء وحارات دمشق خارج السور، فإذا كان هذا الاحتمال صحيحاً، فلا بدّ أنها كانت قائمة بين مبنى محافظة دمشق (أمانة العاصمة) ومبنى شركة الطيران العربية السورية قبالته وبينهما شارع يوسف العظمة.

ومما يؤكّد هذا الاحتمال (بتحفّظ) وجود خارطة فرنسية مطبوعة في پاريز أيام الإنتداب، وضعها E. G. Rey وعيّن فيها موقع بوابة الصالحية في المكان الذي ذكرت.

والاحتمال الآخر أن تكون التسمية من باب المجاز لأنها المخرج المؤدّي إلى قرية الصالحية كما أسلفت.

ولا وجود لأي بوّابة في هذا الموضع اليوم.

خريطة شرطة دمشق ١٩٢٢ - ١٩٢٤

دمشق في مطلع القرن العشرين للعلاّف ٣٩٣
دليل دمشق ١٩٤٩
دمشق تاريخ وصور للشّهابي ط٢ ص ٣٥٨
معالم دمشق التاريخية للإيبش والشهابي

بوّابة عين الكرش

تؤكد وجود هذه البوّابة خارطة فرنسية مطبوعة في باريزأيام الإنتداب، وضعها E. G. Rey وحدّد موقعها بشكل دقيق في حيّ عين الكرش لصيق ساحة السبع بحرات اليوم. ولا تتوفّر لدينا أية معلومات حولها.

وعين الكرش حيّ كبير إلى الشمال الغربي من سوق ساروجة، سمي بهذا الاسم الغريب نسبة إلى نبعة ماء تسمّى عين الكرش، غير أن موضع هذه العين لم يكن في الحي المذكور، و إنما كانت جنوبي المدرسة الحافظية تحت نهر ثورا. وزالت العين ولا يُعرف موضعها اليوم بالتحديد.

وأقدم ذكر لهذه التسمية كان في العهد الأيوبي، حيث ذكرها المؤرّخ أبو شامة، وقال إنها لم يكن لها طريق إلا من عند مسجد الصفي الذي بالعقيبة، ثم قام شبل الدولة كافور الحسامي بفتح طريق للناس من غربي الشامية البرّانية إلى طريق عين الكرش. وكذلك ذكر المؤرّخ ابن شداد بها «مسجد عين الكرش».

وذكرها في أخبارالقرن الثامن الهجري المؤرّخ ابن قاضي شهبة، وقال: يدخل الماء إلى البلد من قناة عين الكرش. وذكرها أيضاً المؤرّخ يوسف ابن عبد الهادي في القرن التاسع الهجري، وبها: طاحون عين الكرش. كما ذكرها معاصره النعيمي. وكذلك في القرن العاشر ذكر المؤرّخ ابن طولون الصالحي عين الكرش مراراً عديدة في كتابه (القلائد الجوهرية).

ثم ذكر المؤرخ ابن كنّان الصالحي (بستان عين الكرش) في حوادثه اليومية في النصف الأول من القرن الثاني عشر. وأخيراً، ذكر نعمان القساطلي في أواخر القرن الماضي بكتابه (الروضة البهيّة): وأما منتزه ماء عين الكرش، الواقع شمالي

ثمن سوق ساروجة على الطريق العام الموصل إلى محلّة مهاجري الأكراد في ثمن الصالحيّة، فعلى الطريق المذكور من الطرفين جنائن وبساتين من أنزه المنتزهات البديعة.

وأما عن الإشتقاق اللغوي لاسم عين الكرش فمن المرجّح أنه غير مشتقّ من العربية، والأرجح أن تكون تسميته آرامية محضة، ففي السريانية (عين، عينو) هي نبع الماء أو عين الماء كما في العربية. وأمّا (الكرش) فلعلّها من (قرش)، أي: بَرَدَ، تجلّدَ. أو من (قورشا) بمعنى القَرْس أو البَرْد. فإن جذر (ق ر ش) في الآرامية يفيد البرودة والتجمّد.

و صيغة (عين قرشا) بمعنى العين الباردة أو (القارسة) بالأحرى، هي الأقرب إلى الصواب بالمعنى و المبنى، وتندرج في ذلك مجرى المُطلق في كون جميع أسماء المياه بدمشق آراميّة أو سريانية صرفة لقدمها.

و يبقى أن نشير إلى أن الإقلاب بين القاف والكاف أمر شائع بين اللغات الساميّة، وكلاهما من الحروف الحلقيّة.

ذيل الروضتين لأبي شامة ١٥٠

الأعلاق الخطيرة لابن شدّاد ١٥٧

معجم البلدان لياقوت الحموي ٤/ ٤٥١

تاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٣٠٠

ثمار المقاصد لابن عبد الهادي ١٣٠، ١٥٩

الدارس للنعيمي ١/ ٥٣١، ٢/ ٥٦٣

ذخائر القصر لابن طولون، مخطوط AUB

القلائد الجوهرية لابن طولون ١/ ٢٦٥

إعلام الورى لابن طولون ٢٨٦

الحوادث اليومية لابن كنّان ٤١٧

الروضة البهية للقساطلي ٥٠

مدينة دمشق لصفوح خير ٤٩٩

موسوعة حلب المقارنة للأسدي ٦/ ٣٤٠

المعجم الذهبي للألتونجي ٤٦٣

معجم اللباب للقرداحي ٢/ ٤٤١

معالم دمشق التاريخيّة للإيبش والشهابي

بوابة الله

في الطرف الجنوبي لحي الميدان الفوقاني

من المستحيل الجزم بوجود بوّابة أو عدم وجودها في هذا الموقع الذي يشكّل الحدّ الجنوبي النهائي لحي الميدان الفوقاني، والذي يعرف في أيامنا بساحة الأشمر نسبة للشيخ محمد الأشمر البطل المعروف إبّان الثورة السورية (١٩٢٥ - ١٩٢٧م.

ولعل التسمية أطلقت على بوّابة الله من باب المجاز دون وجود بوّابة فعلية، والسبب في إطلاقها أن موضعها كان الحد النهائي للطريق السلطاني الذي يمتدّ من محلّة السنجقدار حتى نهاية طريق الميدان من جهة الجنوب، حيث يبارح موكب الحجّ والمحمل حدود المدينة عندها متوجّهاً إلى الحجاز لأداء الفريضة المقدّسة.

- تعدّد تسميات هذا الموضع على ألسنة الناس فكانت: (بوّابة الله) و(باب الله)، ثم صحّفتها العامّة إلى (بَوّابْطَلّه) بعد إدغامها وتفخيم التاء طاءً، وفي بعض الأحيان كانوا يلفظونها: (بابْطَلّه). وفي نفس الوقت عُرفت باسم: (بوّابة مصر) و(باب مصر) لأن الذاهب إلى مصر كان يمرّ عبرها. كذلك سمّيت (بوّابة الميدان) و(باب الميدان) نسبة للحي الذي تقع عنده.

ذيل ثمار المقاصد لطلس ١٩٥

معالم دمشق التاريخية للإيبش والشهابي

الروضة البهيّة في فضائل دمشق المحميّة لعربي كاتبي ٣٠

الآثار الإسلامية في دمشق لڤاتسنگر ٢١١

أبواب دمشق

(في منتخبات من المصادر التاريخيّة حسب التسلسل الزمني)

لا بدّ لاستكمال البحث من ذكر الأبواب والبوّابات الواردة في أهم المصادر التاريخيّة للعهود المتلاحقة داخل المدينة وخارجها مع الإشارة إلى مواقعها، وهي:

في تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (المتوفى ٥٧١ هـ):

آ - *أبواب المدينة*:

- باب توما: ورد في البحث.
- باب الجابية: ورد في البحث.
- باب الجنان المسدود: أنظر باب النصر.
- باب الجينيق: ورد في البحث
- باب الحديد: ورد في البحث.
- باب حارة الخاطب ويعرف بباب ابن اسماعيل: في السور الجنوبي (أنظر مخطط أبواب دمشق).
- باب السلامة: ورد في البحث.
- الباب الشرقي: ورد في البحث.
- الباب الصغير: ورد في البحث.
- باب العمارة المسدود: أنظر باب الفرج.
- باب عند باب السلامة: أنظر باب الفراديس.
- باب الفراديس: ورد في البحث.
- باب الفرج: ورد في البحث.

- باب كيسان : ورد في البحث .

- باب في المربّعة : يحتمل في السور الجنوبي ؟

ب - *أبواب في المدينة* :

- باب البريد : ورد في البحث .

- باب جيرون : ورد في البحث .

- باب الخضراء : في الجدار القبلي للجامع الأموي ، يؤدّي لقصر الخضراء كما يعرف أيضاً بباب السرّ .

- باب الخوّاصين : عند سوق الخيّاطين الحالي .

- باب دار البطّيخ : في سوق صاروجا جنوب المدرسة الشامية الكبرى .

- باب درب القصّاعين : في منطقة الخضيرية اليوم .

- باب زقاق عطّاف : داخل باب الجابية .

- باب الشاغور : أنظر الباب الصغير .

- باب القلعة : أنظر باب الحديد لقلعة دمشق .

في الأعلاق الخطيرة لابن شدّاد (المتوفى ٦٨٤ هـ) :

- باب ابن اسماعيل في حارة الخاطب : في السور الجنوبي (أنظر مخطط أبواب دمشق) .

- باب البريد : ورد في البحث .

- باب توما : ورد في البحث .

- باب الجابية : ورد في البحث .

- باب الجنان : أنظر باب النصر .

- باب جيرون : ورد في البحث .

- باب الجينيق : ورد في البحث .
- باب الحديد : ورد في البحث .
- باب الخوّاصين : عند سوق الخيّاطين الحالي .
-باب دار السعادة : أنظر باب النصر .
- باب الزيادة : الباب الجنوبي للجامع الأموي .
- باب الساعات : البابين الجنوبي والشرقي للجامع الأموي .
- باب السعادة : أنظر باب النصر .
- باب السلامة : ورد في البحث .
- باب الشاغور : أنظر الباب الصغير .
- الباب الشرقي : ورد في البحث .
- الباب الصغير : ورد في البحث .
- باب العمارة : أنظر باب الفراديس
- باب الفراديس : ورد في البحث .
- باب الفرج : ورد في البحث .
- باب كيسان : ورد في البحث .
- باب الناطفانيّين : الباب الشمالي للجامع الأموي .
- باب النصر : ورد في البحث .

في تاريخ ابن قاضي شُهْبَة (المتوفى ٨٥١ هـ) :
- باب البريد : ورد في لبحث .
- باب توما : ورد في البحث .
- باب الجابية : ورد في البحث .

- باب الجابية الكبير : أنظر باب الجابية .
- باب الحديد : ورد في البحث .
- باب الخطابة : ورد في البحث .
-باب الخوّاصين : في سوق الخيّاطين اليوم .
- باب دار السعادة : من أبواب سرايا الحكم التي كانت في سوق الأروام إلى الجنوب القريب من قلعة دمشق
- باب الزيادة : ورد في البحث .
- باب الساعات : (في الجامع الأموي) ورد في البحث .
- باب السر (في الجامع الأموي) : ورد في البحث .
- باب السرّ (في قلعة دمشق) ورد في البحث .
- باب السلامة : ورد في البحث .
- الباب الشرقي : ورد في البحث .
- الباب الصغير : ورد في البحث .
- باب الفراديس : ورد في البحث .
- باب الفرج : ورد في البحث .
- الباب القبلي في الجامع الأموي : ورد في البحث .
- باب القيمريّة (في الجامع الأموي) : ورد في البحث .
- الباب الكبير : بحرم الجامع الأموي .
- باب كيسان : ورد في البحث .
- باب المشهد الشرقي : في مشهد الرأس بالجامع الأموي .
- باب مشهد على : في مشهد الرأس بالجامع الأموي .
- باب الميدان : المقصود به هنا بداية الميدان من جهة السويقة .

- باب الميدان الشرقي : عبارة غامضة لم أتوصّل إلى حل طلاسمها، فقد ذكر ابن قاضي شُهْبة في حوادث سنة ٧٨٦ هـ أن باب الميدان الشرقي كان عند اسطبل السلطان. ومن المعروف أن هذا الاسطبل كان قائماً قبالة قلعة دمشق، فهل قصد بعبارته باب الاسطبل الذي كان مهدّماً في ذلك الوقت وتحوّل إلى فسحة سماويّة عرفت بالميدان ؟
- باب الناطفانيين : ورد في البحث.
- باب النصر : ورد في البحث.

في مفاكهة الخلاّن لابن طولون (المتوفى ٩٥٣ هـ) :
- باب الإسطبل : تجاه دار العدل في منطقة الدرويشية اليوم.
- باب البريد : ورد في البحث.
- باب بيت الخطابة : بالجامع الأموي.
- باب توما : ورد في البحث.
- باب الجابية : ورد في البحث.
- باب الجامع الأموي الشرقي.
- باب جبّ الهريشة أو الهربشة ؟ : بالجامع الأموي.
- باب الحبس : ؟
- باب الحجر : في طريق كفرسوسيا.
- باب الحديد : ورد في البحث.
- باب الخطابة : أنظر باب بيت الخطابة.
- باب خوخة الخاتونيّة : بجوار جامع تنكز.

- باب دار السعادة : أنظر باب النصر . .
- باب دار الطعم العتيقة : قبالة الباب الغربي لقلعة دمشق .
- باب الزيادة : الباب الجنوبي للجامع الأموي .
- باب السرّ : الباب الغربي لقلعة دمشق .
- باب سرّ القلعة : أنظر باب السرّ .
- باب السريجة : ورد في البحث .
- باب السلامة : ورد في البحث .
- باب سوق البصل : بمحلّة قبر عاتكة .
- الباب الشرقي : ورد في البحث .
- الباب الصغير : ورد في البحث .
- باب العادلية الصغرى : باب المدرسة العادلية الصغرى في العصرونية .
- باب العنبرانيين : الباب الجنوبي للجامع الأموي .
- الباب الغربي للجامع الأموي .
- باب الفراديس : ورد في البحث .
- باب الفرج : ورد في البحث .
- باب القشر : في سوق البزوريّة .
- باب قلعة دمشق .
- باب كيسان : ورد في البحث .
- باب المارستان النوري : بمحلة الحريقة .
- باب المدرسة الزنجيليّة : هي المدرسة الزنجاريّة ، كانت بمحلّة السبعة أنابيب ، بين باب توما وباب السلامة .
- باب المزابل : في حارة المزابل خارج باب الفراديس .

- باب المصلّى : ورد في البحث.
- باب الناطفانيين : الباب الشمالي للجامع الأموي.
- باب النصر : ورد في البحث.
- باب النفطيّين والطبرداريّة : بالجامع الأموي.

في المواكب الإسلامية لابن كنّان (المتوفي ١١٥٣ هـ)
- باب البريد : ورد في البحث.
- باب جيرون : ورد في البحث.
- باب العنبرانيّة : أنظر أبواب الجامع الأموي.
- باب الجابية : ورد في البحث.
- باب الجنيق : ورد في البحث.
- باب الحديد : ورد في البحث.
- باب السرّ : ورد في البحث.
- باب الساعات : البابين الجنوبي والشرقي للجامع الأموي فانظرهما.
- باب السلام : ورد في البحث.
- باب الزيادة : أنظر أبواب الجامع الأموي.
- باب الفرج : ورد في البحث.
- باب العمارة : أنظر باب الفراديس.
- باب الميقات : تسمية لم يذكرها غيره والمقصود بها باب الساعات في الجامع الأموي.
- باب النصر : ورد في البحث.
- باب الفراديس : ورد في البحث.

- الباب الشرقي : ورد في البحث .
- الباب الصغير : ورد في البحث .
- باب كيسان : ورد في البحث .
- باب توما : ورد في البحث .
- باب الهوى : ورد في البحث .
- باب المقصورة (في الجامع الأموي) : أنظر باب مقصورة الخطابة .
- باب الناطفيين : أنظر أبواب الجامع الأموي .
- باب الله : ورد في البحث .

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٢/ ٢٢١
الأعلاق الخطيرة لابن شدّاد ٣٧٩
تاريخ ابن قاضي شهبة (الفهارس)
مفاكهة الخلاّن لابن طولون (الفهارس)
المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية لابن كنّان

مراجع البحث

فتوح الشام، الواقدي، دار الجيل، بيروت

فتوح البلدان، البلاذري، مؤسّسة المعارف، بيروت ١٩٨٧

تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت ١٩٩٢

تاريخ الطبري، دار التراث، بيروت.

مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت ١٩٨٩

ذيل تاريخ دمشق، ابن القلانسي، مكتبة المتنبّي، القاهرة،

تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، تحقيق د. صلاح الدين المنجّد، المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٤

مختصر تاريخ ابن عساكر، ابن المنظور، دار الفكر، دمشق ١٩٨٤.

الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٦

ذيل الروضتين، أبو شامة، دار الجيل، بيروت ١٩٧٤

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، المقدسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٧

عيون الأنباء، ابن أبي أصيبعة.

الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني.

رحلة ابن جبير، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

مقدّمة علم الساعات والعمل بها، رضوان بن محمد الساعاتي، تحقيق محمد أحمد دهمان، مكتب الدراسات الإسلامية، دمشق.

الأعلاق الخطيرة (تاريخ مدينة دمشق)، ابن شدّاد، تحقيق د. سامي الدهّان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ١٩٥٦

عيون التواريخ، ابن شـاكر الكتبي، تحقيق نبيلة عبد المنعم داوود، و د. فيصل السـامر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٨٤

البداية والنهاية، ابن كثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٨.

رحلة ابن بطّوطة، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

تاريخ ابن خلدون، دار الفكر، بيروت ١٩٨٨.

صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القلقشندي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة.

حوليـات دمشـقيّة، ابن اللبّودي، تحقيق د. حسـن حبشـي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٨

تاريخ ابن قاضي شُهْبة، تحقيق د. عدنان درويش، المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ١٩٧٧، ١٩٩٤

عجائب المقدور في نوائب تيمور، ابن عربشاه، تحقيق أحمد فايز الحمصي، مؤسّسة الرسالة، بيروت ١٩٨٦

خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ابن الوردي، دار الشرق العربي، بيروت وحلب، ١٩٩١

الدرّة المضيّة في الدولة الظاهريّة، ابن صَصْرَى، تحقيق د. وليم م. برينر، مطبوعات جامعة كاليفورنيا، الولايات المتّحدة الأمريكية ١٩٦٣

تحفة ذوي الألباب، الصفدي.

مسالك الأبصار، ابن فضل الله العمري.

نزهة الأنام في محاسن الشام، أبو البقاء البدري، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٨٠

ثمار المقاصد في ذكر المساجد، ابن عبد الهادي، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٥

ذيل ثمار المقاصد، أسعد طلس، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٥

الأسواق والخانات، ابن عبد الهادي، رسائل دمشقيّة، تحقيق صلاح محمد الخيمي، دار ابن كثير، دمشق١٩٨٨

تاريخ البصروي، تحقيق أكرم حسن العلبي، دار المأمون للتراث، دمشق ١٩٨٨
الدارس في تاريخ المدارس، عبد القادر النعيمي، تحقيق الأمير جعفر الحسني، القاهرة ١٩٨٨
مفاكهة الخلاّن في حوادث الزمان، ابن طولون، تحقيق محمد مصطفى، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة ١٩٦٢
إعلام الورى، ابن طولون، تحقيق محمد أحمد دهمان، دار الفكر، دمشق ١٩٨٤
القلائد الجوهرية، لابن طولون، تحقيق محمد أحمد دهمان، منشورات مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٨٠
الشمعة المضيّة في أخبار القلعة الدمشقيّة، ابن طولون، مكتبة القدسي والبدين، دمشق ١٩٢٩
قرّة العيون في أخبار باب جيرون، ابن طولون، تحقيق د. صلاح الدين المنجّد، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٤
ذخائر القصر، ابن طولون، مخطوط في الجامعة الأمريكية ببيروت.
شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
بدائع الزهور في وقائع الدهور، ابن أياس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٢
المواكب الإسلامية، ابن كنّان، تحقيق د. حكمت اسماعيل، مراجعة محمد المصري، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٢
حوادث دمشق اليومية، البديري الحلاّق، تحقيق د. أحمد عزّت عبد الكريم، القاهرة ١٩٥٩
الكواكب السائرة، نجم الدين الغزّي، تحقيق د. جبرائيل جبّور، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٧٩
لطف السمر وقطف الثمر، نجم الدين الغزّي، تحقيق محمود الشيخ، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٨٢
خلاصة الأثر، المحبّي، دار صادر، بيروت.

عُرف البشـــام، المرادي، تحقيق مطيع الحافظ ورياض مراد، مجمـع اللغـة العربيـة بدمشـق ١٩٧٩

ترويح القلوب في ذكر الملوك بني أيوب، المرتضى الزبيـدي، تحقيق د. صلاح الدين المنجّد، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٨٣

تاريخ حسن آغا العبد. تحقيق د. يوسف نعيسة، دار دمشق ١٩٨٦.

غرائب البدائع وعجائب الوقائع. ابن الصدّيق، تحقيق د. يوسف نعيسة، دار المعرفة، دمشق ١٩٨٨

منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، عبد القادر بدران، المكتب الإسلامي، دمشق ١٩٦٠

الروضة الغنّاء في دمشق الفيحاء، نعمان قساطلي، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٨٢

قاموس الصناعات الشامية، القاسمي والعظم، دار طلاس، دمشق ١٩٨٨

الروضة البهيّة في فضائل دمشق المحميّة، عز الدين عربي كاتبي، دمشق.

الآثار الإسلامية في مدينة دمشق، ڤاتسنكر وڤولتسينگر، ترجمة قاسم طوير، تعليق د. عبد القادر الريحاوي، دمشق ١٩٨٤

منتخبات التواريخ لدمشق، أديب تقي الدين الحصني، دمشق ١٩٢٧

غوطة دمشق، محمد كرد علي، دار الفكر، دمشق ١٩٨٤

مرآة الشام، عبد العزيز العظمة، دار رياض الريّس، لندن ١٩٨٧

دمشق في مطلع القرن العشرين، أحمد حلمي العلاّف، تعليق علي جميل نعيسة، دار دمشق ١٩٨٣

ذيل كتـاب الطبيخ، الكاتب البغدادي، تحقيق فخـري البارودي، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٦٤

دمشق الشام، جان سوڤاجيه، تعريب فؤاد أفرام البستاني، تحقيق أكرم حسن العلبي، دار الوارف، دمشق ١٩٨٩

الآثار التاريخية في دمشق، جان سوفاجيه، تحقيق أكرم حسن العلبي، دار الطبّاع، دمشق ١٩٩١

الجامع الأموي، علي الطنطاوي، وزارة الأوقاف، دمشق.

دمشق القديمة، د. صلاح الدين المنجّد (أسوارها، أبراجها، أبوابها) مديرية الآثار، دمشق ١٩٤٥

خطط دمشق، د. صلاح الدين المنجّد، بيروت ١٩٤٩

مأساة سقوط دمشق ونهاية الأمويين، د. صلاح الدين المنجّد، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٨١

ولاة دمشق في العهد السلجوقي، د. صلاح الدين المنجّد، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٨١

ولاة دمشق في عهد المماليك، محمد أحمد دهمان، دار الفكر، دمشق ١٩٨٤

دمشق في عصر المماليك، د. نقولا زياده، مكتبة لبنان بيروت ١٩٦٦

حركات العامّة الدمشقيّة، د. عبد الله حنّا، دار ابن خلدون، بيروت ١٩٨٥

مدينة دمشق، د. عبد القادر الريحاوي، دمشق ١٩٦٩

مدينة دمشق، د. صفوح خير، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٨٢

الجامع الأموي، د. عفيف البهنسي، دار طلاس، دمشق ١٩٨٨

دليل دمشق، مديرية الشرطة بدمشق ١٩٤٩

دمشق وأهميتها العمرانية والمعمارية، بشير زهدي، منشورات جمعية أصدقاء دمشق ١٩٨٢

وصف دمشق في القرن السابع عشر (من مذكرات الرحّالة الفرنسي الفارس دارڤيو)، ترجمة أحمد الإيبش، دار المأمون للتراث، دمشق ١٩٨٢

قلعة دمشق، د. عبد القادر الريحاوي، هيئة التدريب في القوات المسلّحة، دمشق ١٩٧٩

العمارة العربية الإسلامية، د. عبد القادر الريحاوي، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٧٩ .

دمشق دراسات تاريخية وأثرية (محاضرة أهمية تقديم الصور كدليل هام لدراسة تاريخ سور دمشق)، پول شفدن ، مديرية الآثار، دمشق ١٩٨٠

رحلات ڤارتيما، ترجمة د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤

دمشق بين عصري المماليك والعثمانيين، أكرم حسن العلبي، الشركة المتّحدة، دمشق ١٩٨٢

تيمورلنك وحكايته مع دمشق، أكرم حسن العلبي، دار المأمون للتراث، دمشق ١٩٨٧

الغزو المغولي (أحداث وأشعار)، مأمون فريز جرّار، دار البشير، عمّان ١٩٨٤

سورية في عصر السلوقيين، د. مفيد رائف العابد، دار شمأل، دمشق ١٩٩٣

آثار سورية القديمة، هورست كلينكل، تعريب قاسم طوير، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٨٥

الكتاب المقدّس، أعمال الرسل، الإصحاح التاسع.

مكتشفات مثيرة، أحمد غسّان سبانو، دار قتيبة، دمشق.

مجتمع مدينة دمشق، د. يوسف نعيسة، دار طلاس، دمشق ١٩٨٦

هنا بدأت الحضارة، د. قتيبة الشهابي، دار الأبجدية، دمشق ١٩٨٨

دمشق تاريخ وصور، د. قتيبة الشهابي، مؤسسة النوري، الطبعة الثانية، دمشق ١٩٩٠

أسواق دمشق القديمة، د. قتيبة الشهابي، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٠

معالم دمشق التاريخية، أحمد الإيبش و د. قتيبة الشهابي، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٦

المجلاّت و المقالات والأبحاث

مجلة العمران، عدد خاص عن دمشق، وزارة البلديات، دمشق ١٩٦٧

مقالة (باب توما)، للأب أيوب سميا، مجلّة الإيمان، دمشق ١٩٥٨

مقالة (شيلوه - شيلون) للأب أيوب سميا، المجلّة البطريركية، دمشق ١٩٦٦

مقالة (الشارع المستقيم) للأب أيوب سميا، مجلّة النعمة، دمشق ١٩٦٠، ١٩٦١

المعاجم

معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٧٩

الروض المعطار في خبر الأقطار، الحميري، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت ١٩٨٠

المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت ١٩٩٢

قاموس اللباب (سرياني - عربي)، الأباتي جبرائيل القرداحي ١٩٩٤

معجم الأساطير اليونانيّة والرومانيّة، سهيل عثمان وعبد الرزّاق الأصفر، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٨٢

معجم الأساطير، ماكس شاپيرو وردا هندريكس، ترجمة حنّا عبّود، دار الكندي ١٩٨٩

الأعلام (قاموس تراجم)، خير الدين الزركلي، بيروت ١٩٦٩

معجم قبائل العرب، عمر رضا كحّالة، مؤسسة الرسالة، بيروت.

موسوعة حلب المقارنة، خير الدين الأسدي، جامعة حلب، ١٩٨٧

معجم الألفاظ التاريخيّة في العصر المملوكي، محمد أحمد دهمان، دار الفكر بدمشق ١٩٩٠

معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية، د. أنيس فريحة، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٩٢

معجم الحضارات السامية، هنري س. عبّودي، جرّوس برس، لبنان، طرابلس ١٩٩١.
المعجم الذهبي، د. محمد ألتونجي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٩
معجم ألقاب أرباب السلطان في الدول الإسلامية، د. قتيبة الشهابي، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٥

المصادر الأجنبيّة

Sir John Maundeville : Early Travels in Palastin, London.

Gucci, Georgio : Son Voyage.

Travels of Fray Sebastien Manrique.

Von Kremer: Topographie von Damascus.

Porter, J. L.: Five years in Damascus,

Nikita Elisséeff: LaDescription de Damas d'Ibn Asakir. L'Institut Français de Damas.

Larousse Encyclopedia of Mythology.

Dussaud,R.:TopographieHistoriquedelaSyrieAntiqueetMédiévale Geuthner, Paris 1927.

Von Kremer: Topographie von Damaskus,Wien.

Greek Mythology : Richard Patric, Chartwell Books. Inc. New Jersey. 1974

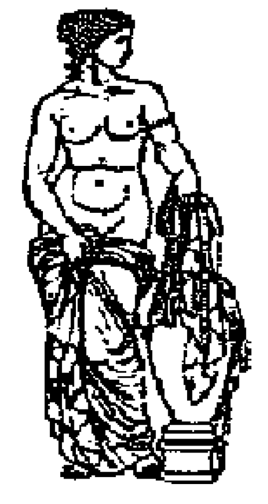
Greek Sculpture : John Boardman, Thames & Hudson, London, 1985

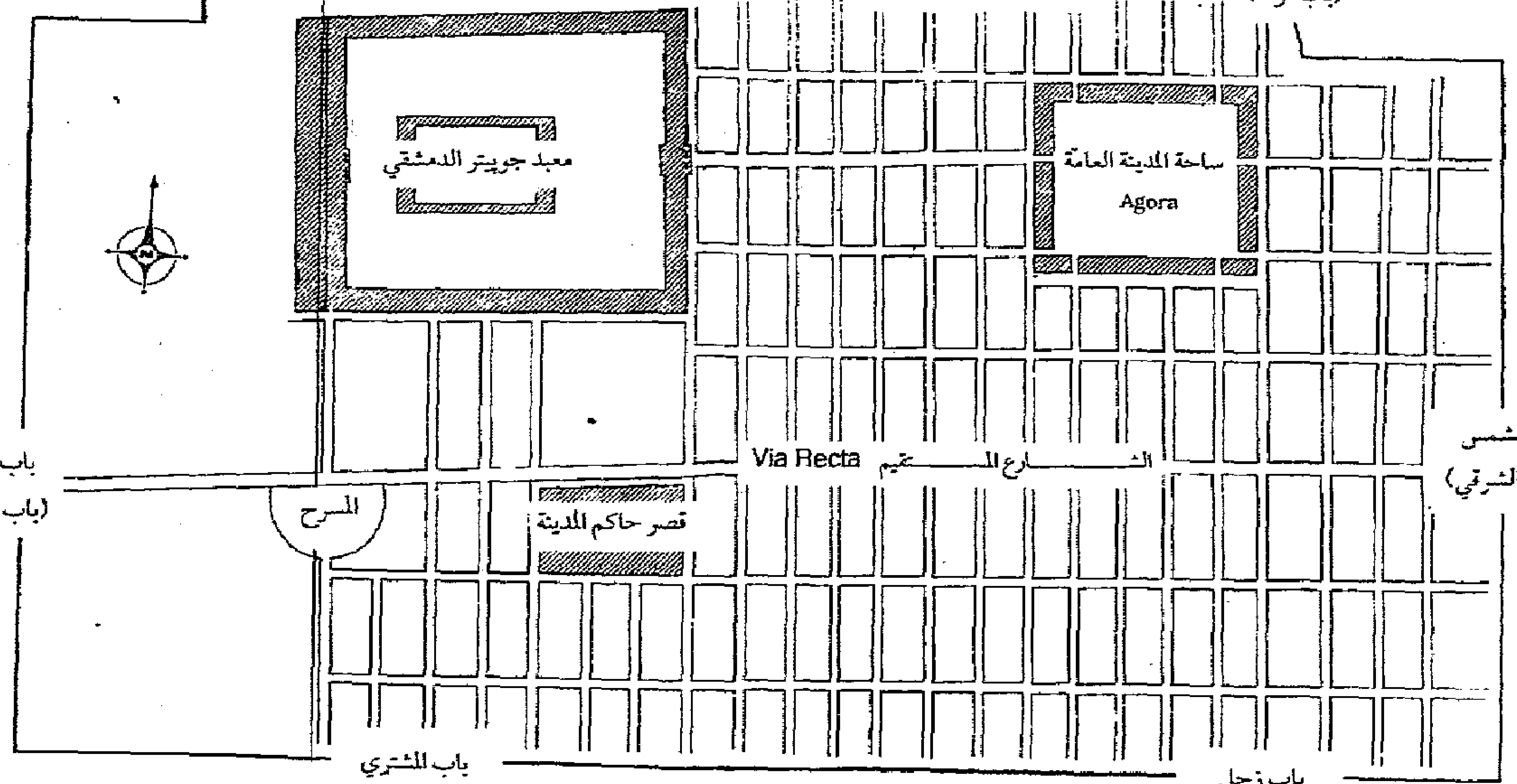
مخطط تقريبي لدمشق
في العصرين اليوناني والروماني
ونسبة أبوابها إلى الكواكب والآلهة

(وضع: د. قتيبة الشهابي)


إله التجّار (هرمس) عند الإغريق
يقابله (ميركوري) عند الرومان

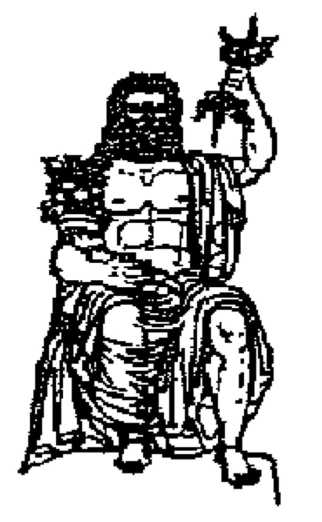

إلهة القمر (سيلينه) عند الإغريق
والتي عرفت لاحقاً باسم (أرتيميس)
تقابلها (لونا) عند الرومان

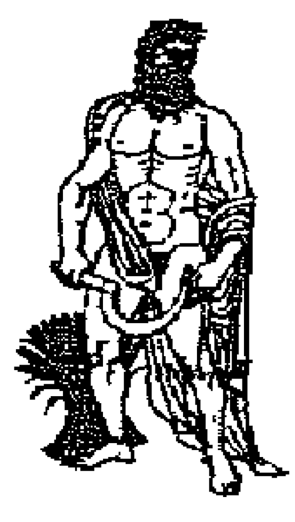

إلهة الحب (أفروديت) عند الإغريق
تقابلها (ڤينوس) عند الرومان

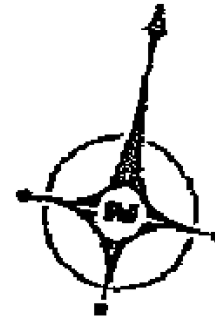



إله الشمس (هيليوس) عند الإغريق
يقابله (سول) عند الرومان


إله الحرب (آريس) عند الإغريق
يقابله (مارس) عند الرومان

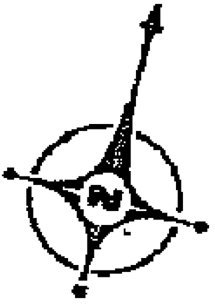

كبير الآلهة (زيوس) عند الإغريق
يقابله (جوبيتر) عند الرومان

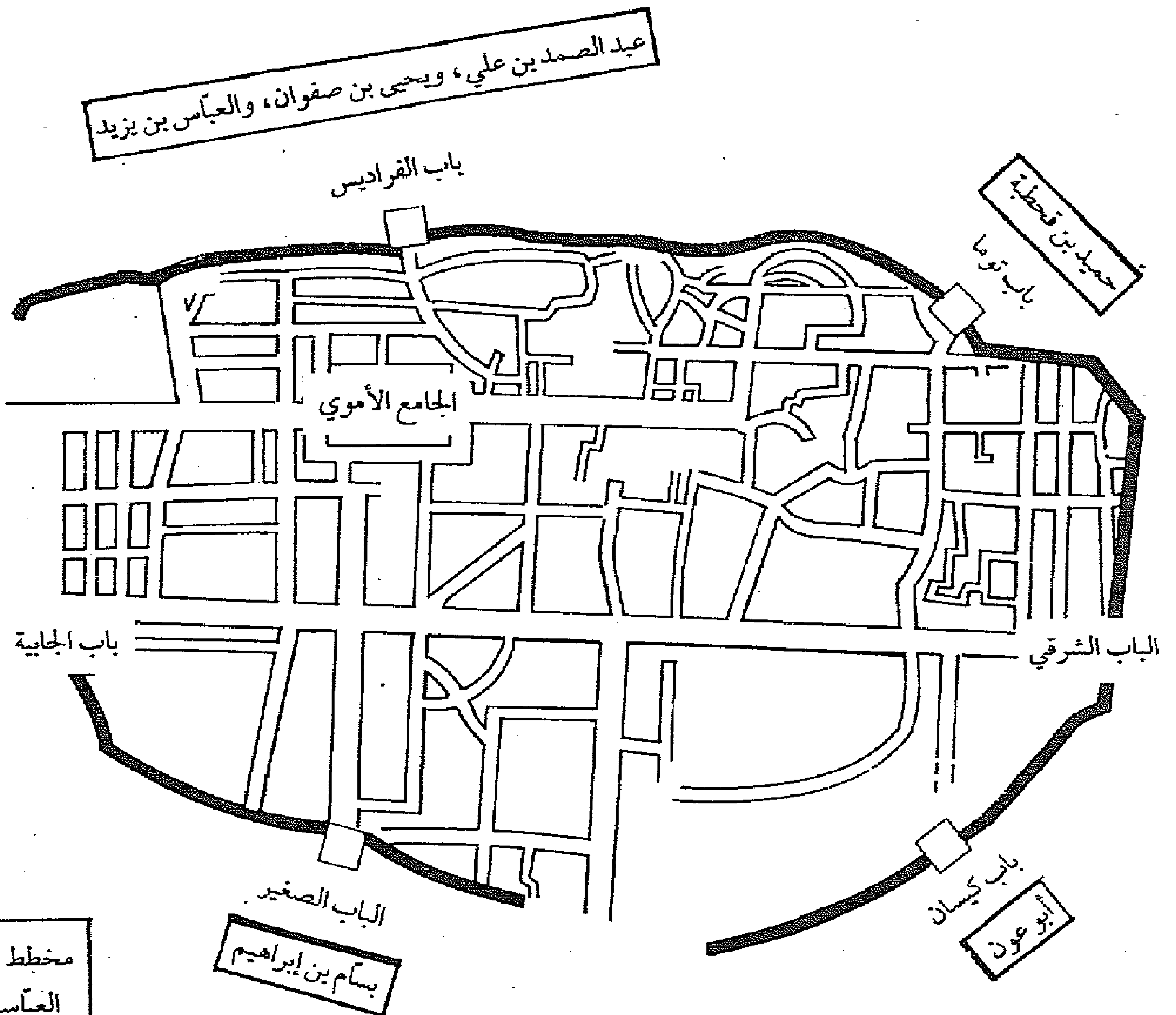

إله الزمن (كرونوس) عند الإغريق
يقابله (ساتورن) عند الرومان



مخطط لأبواب دمشق التي نزل عليها القادة العرب المسلمون يوم الفتح سنة (١٤ هـ)

وضع: د. قتيبة الشهابي





مخطط لأبواب دمشق التي نزل عليها القادة العبّاسيون عند حصارها سنة (١٣٢ هـ)

وضع: د. قتيبة الشهابي

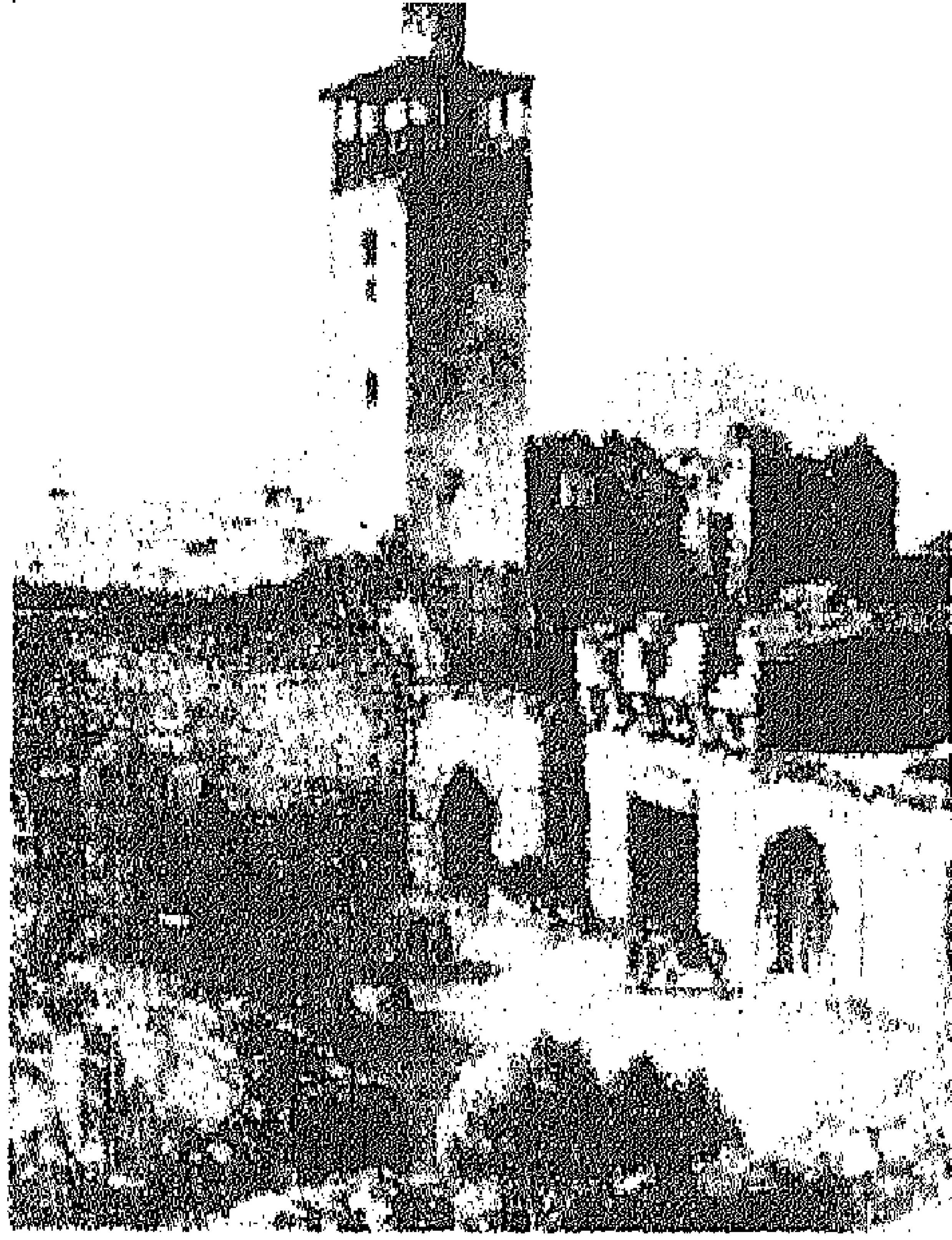
باب الجنيق
(لا وجود له)
باب السلام
(باب السلامة)
باب الفراديس
(باب العمارة)
باب الفرج
(باب المناخلية)
باب توما
برج الملك الصالح أيوب
قلعة دمشق
الجامع الأموي
باب البريد
باب جيرون
باب النصر
(أزيل)
الشارع المستقيم
الباب الشرقي
باب الجابية
(الباب الكبير)
برج نور الدين
الباب الصغير
(باب الحديد)
باب كيسان
باب ابن اسمعيل
(أزيل)

مخطط تقريبي لأبواب دمشق وسورها وأبراجها
(وضع د. قتيبة الشهابي)

ـ السور والابواب من العهد الروماني
ـ الابواب والابراج من العهود الاسلامية

أبواب دمشق الأصلية ومن نزل عليها من الفاتحين أو الغزاة في الأزمنة المختلفة

- وضع د. قتيبة الشهابي -

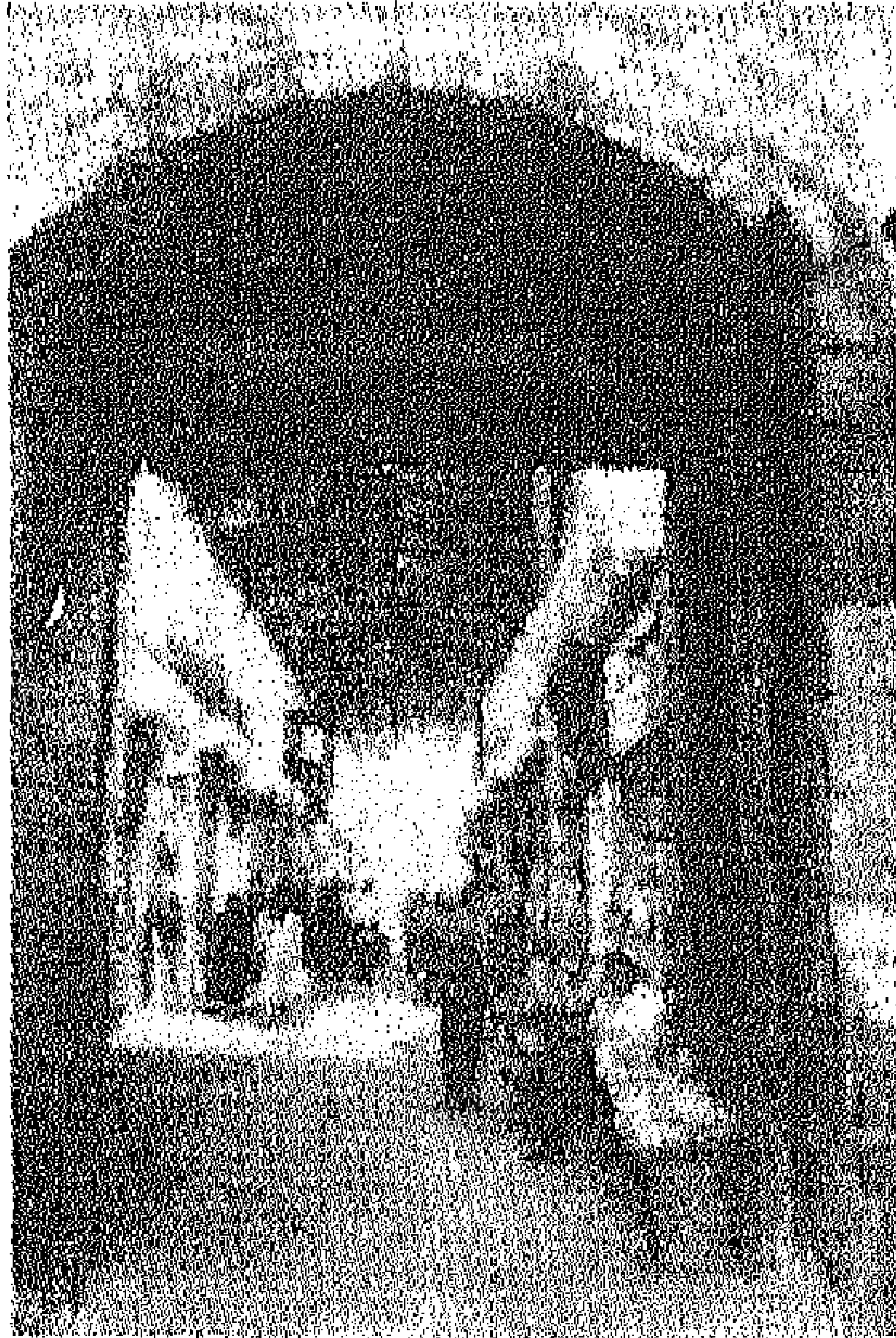


الباب الشرقي

- نزل عليه خالد بن الوليد ودخل منه حرباً يوم فتح دمشق سنة (١٤ هـ).

- نزل عليه عبد الله بن علي واقتحمه عند حصار العباسيين لدمشق سنة (١٣٢ هـ).

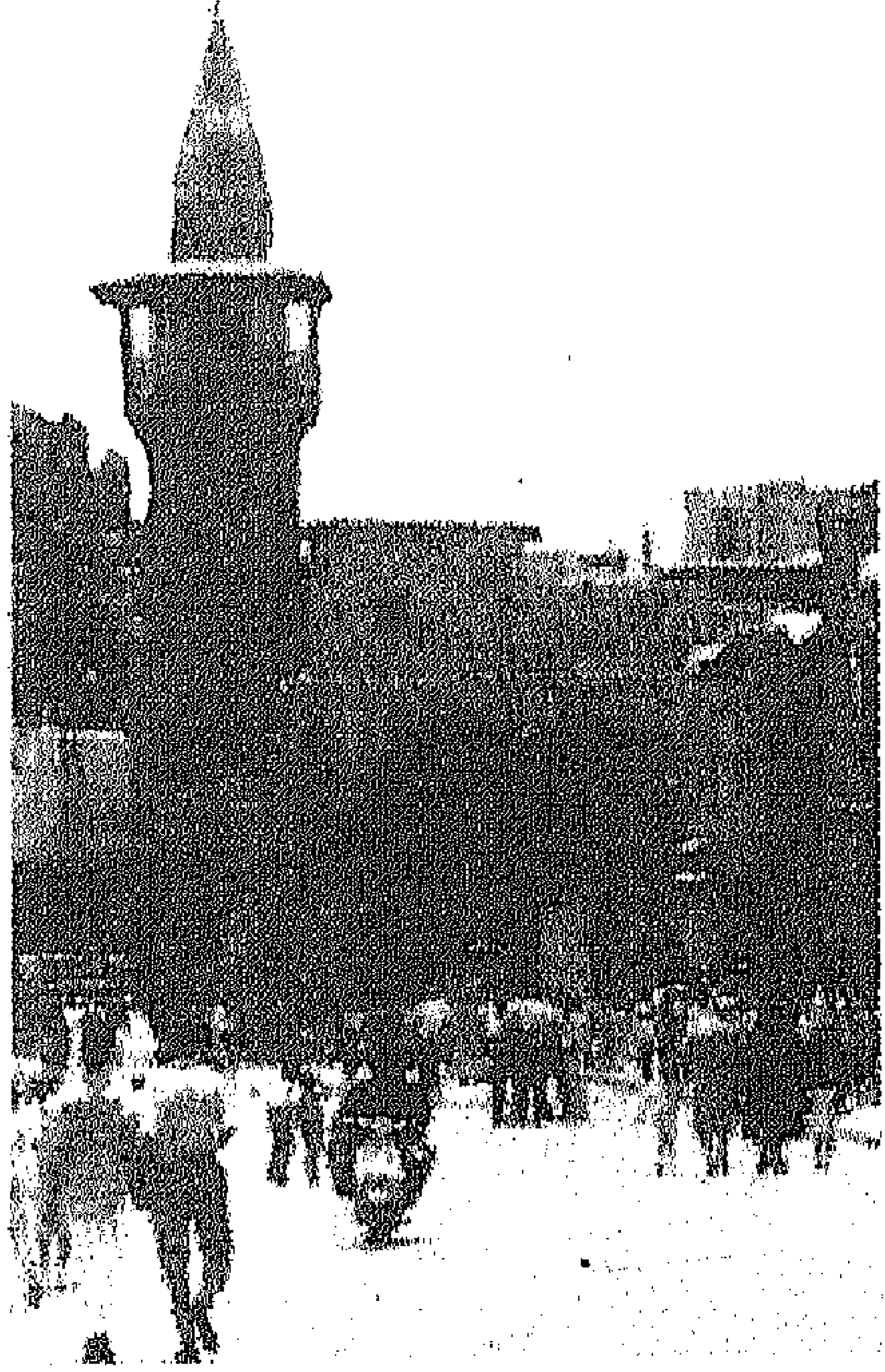
- دخل منه نور الدين الشهيد إلى دمشق وأسّس الدولة الأتابكية النورية سنة (٥٤٩ هـ).



باب الفراديس

- نزل عليه شرحبيل بن حسنة وقيل (عمرو بن العاص) يوم فتح دمشق سنة (١٤ هـ).

- نزل عليه عبد الصمد بن علي، ويحيى بن صفوان، والعبّاس بن يزيد عند حصار العباسيين لدمشق سنة (١٣٢ هـ).



الباب الصغير

- نزل عليه وعلى باب كيسان يزيد بن أبي سفيان يوم فتح دمشق سنة (١٤ هـ).

- نزل عليه بسّام بن إبراهيم عند حصار العباسيين لدمشق سنة (١٣٢ هـ).

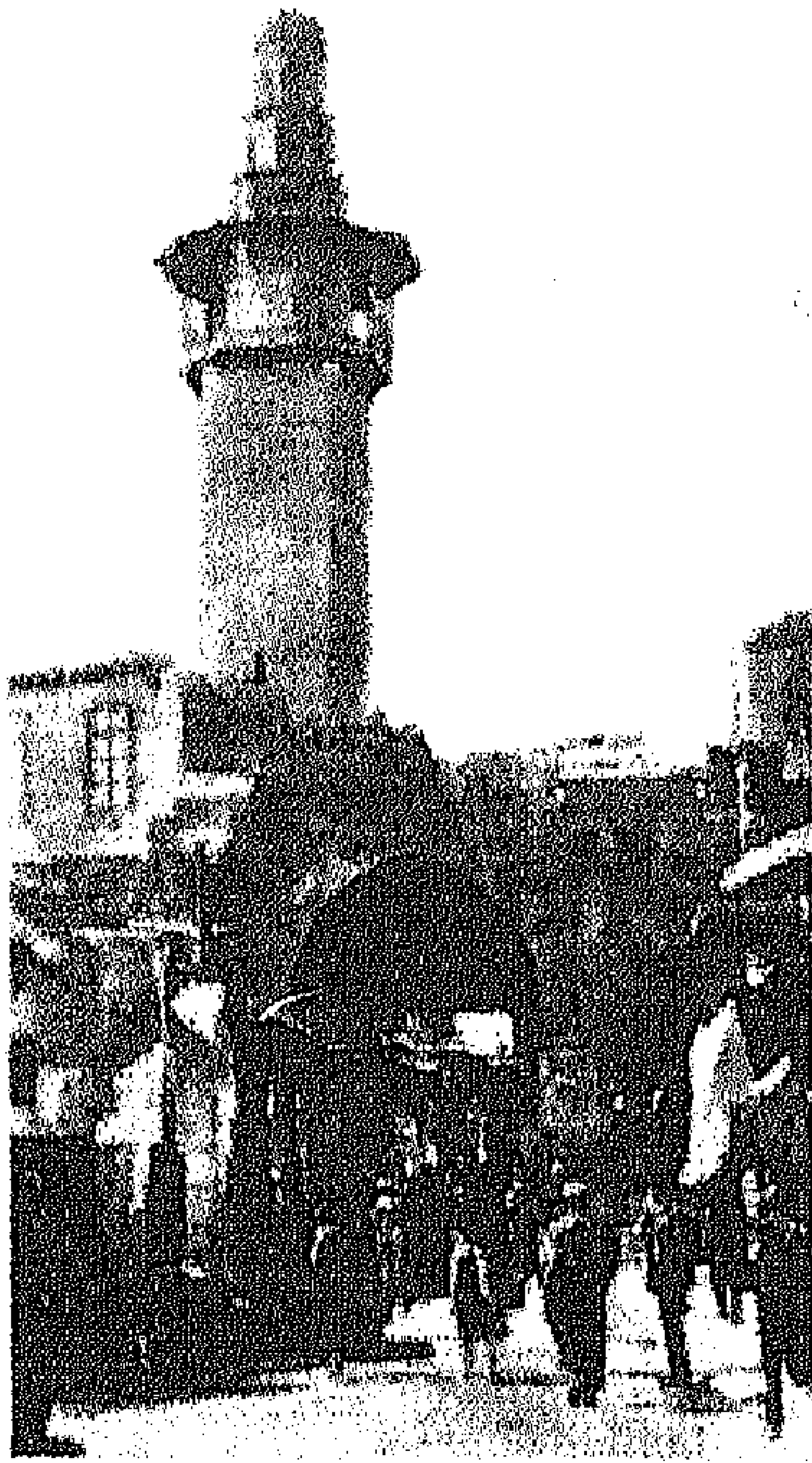
- نزل تيمورلنك خارجه، ومنه دخل التتار إلى دمشق بالخدعة سنة (٨٠٣ هـ).



باب كيسان

- نزل عليه وعلى الباب الصغير يزيد بن أبي سفيان يوم فتح دمشق سنة (١٤ هـ).

- نزل عليه أبو عون عند حصار العباسيين لدمشق سنة (١٣٢ هـ).



باب توما

- نزل عليه عمرو بن العاص وقيل (شرحبيل بن حسنة) يوم فتح دمشق سنة (١٤ هـ).

- نزل عليه حميد بن قحطبة عند حصار العباسيين لدمشق سنة (١٣٢ هـ).



باب الجابية

- نزل عليه أبو عبيدة بن الجرّاح ودخل منه صلحاً يوم فتح دمشق سنة (١٤ هـ).

- نزل عليه صالح بن علي عند حصار العباسيين لدمشق سنة (١٣٢ هـ).

أبواب الجامع الأموي

الجامع الأموي

الباب الشمالي
باب العمارة
باب الكلاّسة
باب الفراديس
باب السلسلة
باب الناطفانيين

حي الكلاّسة

الباب الشرقي
باب جيرون
باب الساعات
باب النوفرة
باب القيمريّة
باب اللبّادين

حي النوفرة

الباب الغربي
باب البريد
باب المسكيّة

سوق المسكيّة

باب البرادة
باب السنجق

الباب الجنوبي
باب الساعات
باب الزيادة
باب القوّافين
باب العنيرانيّة

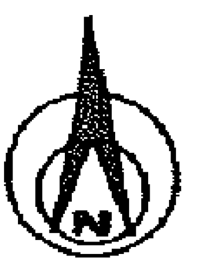
سوق الصاغة

باب مقصورة الخطابة

الباب البيزنطي المكتشف
بعد هدم سوق القباقبية

باب الخضراء
باب السرّ

أبواب قلعة دمشـــق



الباب الشمالي
(باب الحديد)

نهـــر بردى

ســوق الهـــال

مسجد أبي الدرداء

الســـروجيّة

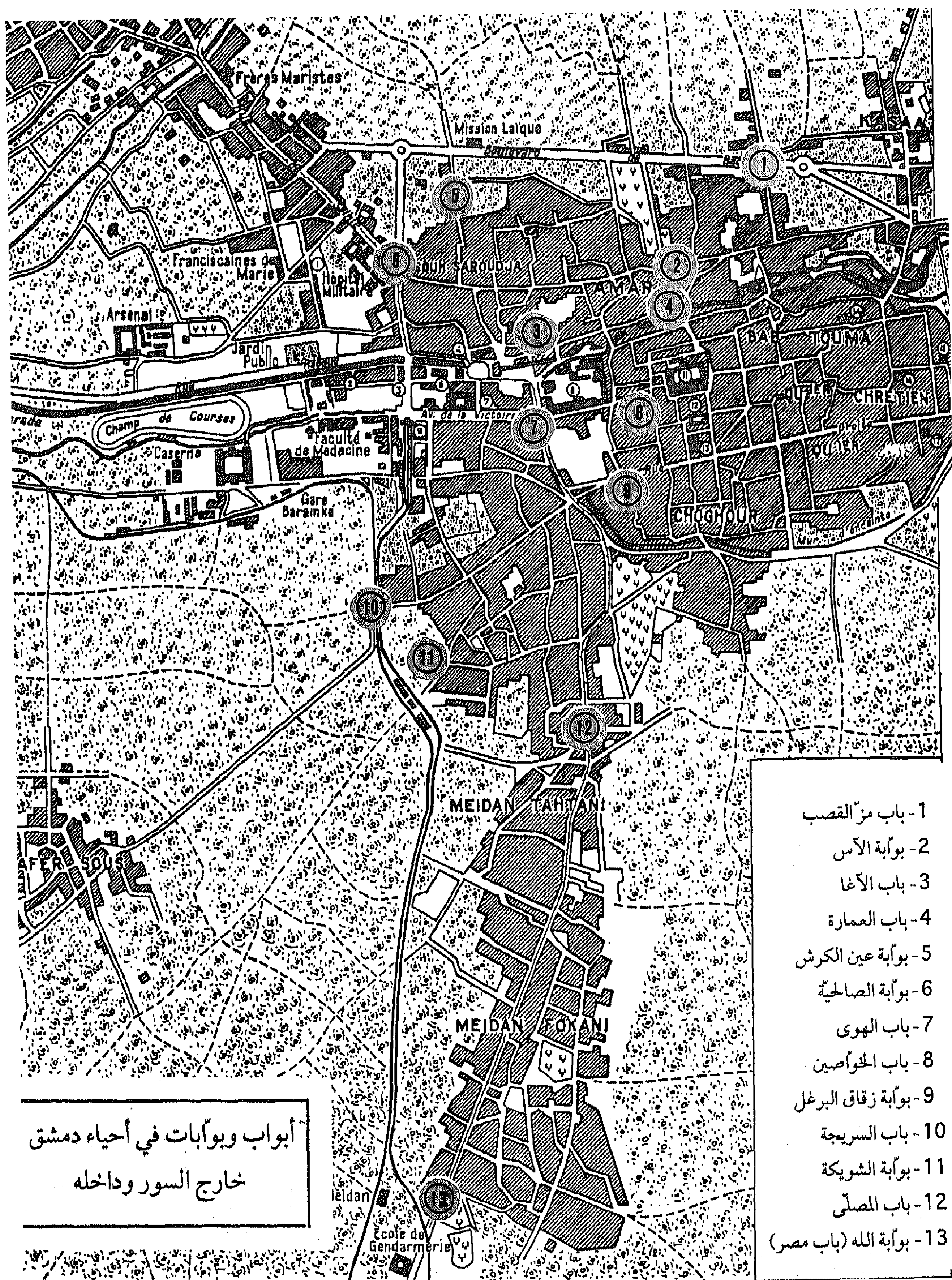
السنجقدار

الباب الغربي
(باب الســرّ)

قلعة دمشـــق

العصرونية

الباب الشرقي
(باب المدينة)



أبواب وبوّابات في أحياء دمشق خارج السور وداخله

المحتوى

همسة شكر	٥
قبل البداية	٧
مدخل تاريخي لدمشق	٩
دمشق في المرحلة الآرامية	١٣
دمشق في المرحلة اليونانية	٢١
دمشق في المرحلة الرومانية والبيزنطية	٢٧
الأبواب ونسبتها إلى الكواكب	٣١
دمشق العربية الإسلامية	٤٣
السور والأبراج والأبواب عند الرحالة والباحثين	٦٥
أبواب دمشق الأصليّة	
باب توما	٩٣
باب الجابية	١١٣
الباب الشرقي	١٣٥
الباب الصغير	١٥٩
باب الفراديس	١٨١
باب كيسان	١٩٣

أبواب دمشق الإسلامية

باب السلامة	٢٠٧
باب الفَرَجَ	٢١٥

أبواب دمشق الدارسة

باب الجنيق	٢٢٧
باب النصر	٢٣٣

أبواب معبد جوپيتر

باب البريد	٢٣٩
باب جيرون	٢٤٩

أبواب الجامع الأموي

الجامع الأموي	٢٥٩
الباب الشرقي	٢٦١
الباب الشمالي	٢٦٧
الباب الغربي	٢٧١
الباب القبلي	٢٧٧
أبواب داخليّة	٢٧٩
قلعة دمشق	٢٨٥
باب الحديد	٢٨٩
باب السرّ	٢٩٦
باب المدينة	٢٩٩

أبواب وبوّابات داخل السور وخارجه

أبواب الأحياء والحارات وبوّاباتها ٣٠٧
باب الآغا ٣١١
باب الخوّاصين ٣١٣
باب السريجة ٣١٥
باب المصلّى ٣١٧
باب الهوى ٣١٩
بوّابة الآس ٣٢١
بوّابة زقاق البرغل ٣٢٣
بوّابة الشويكة ٣٢٧
بوّابة الصالحيّة ٣٢٩
بوّابة عين الكرش ٣٣١
بوّابة الله ٣٣٥
أبواب دمشق في منتخبات من المصادر التاريخية ٣٣٧
مراجع البحث ٣٤٥
المجلات والمقالات والأبحاث والمعاجم ٣٥١
المصادر الأجنبية ٣٥٢

٣٠٠٠ ط١ /١٢/١٩٩٦